# كتاب الأغاني

تأليف
أبي الفرج الأصفهاني

المجلد السادس

القسم ٢١ - ٢٤

الناشر
دار الثقافة
بيروت
١٩٥٦

# كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد السادس

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

# المجلد السادس

# من كتاب الاغاني

## اخبار الصمة القشيري ونسبه

**نسبه :**

هو الصِّمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفَيل بن قُرَّة بن هُبَيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير ابن قُشَيرِ بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعةَ بن معاوية بن بكر بن هَوازن ابن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ إسلاميّ بَدَويّ مُقِلّ، من شعراء الدولة الأمويّة . وَجدّه قُرَّة بن هُبيرة صحبة بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم وآله .

أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمد الرّازي وعمي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ وابن دَأب وغيرِهما من الرُّواة قالوا :

وفد قُرَّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير بن قُشَير بن كعب بن ربيعة الى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقال له : يا رسول الله، إنّا كنّا نعبد الآلهة

لا تنفعنا ولا تضرّنا؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نِعْم ذا عقلًا».

**حبه وزواجه:**

وقال ابن دأب: وكان من خبر الصِّمَّة أنه هَوِي امرأةً من قومه ثم من بنات عمه دِنيةً[1] يقال لها العامريّة بنت غُطَيف بن حَبيب بن قُرَّة بن هُبيرة؛ فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوّجه إياها؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبي بَراء بن مالك ابن مُلاعِب الأسنَّة بن جعفر بن كِلاب، فزوّجه إياها. وكان عامر قصيراً قبيحاً؛ فقال الصِّمَّة بن عبد الله في ذلك:

فإن تُنكِحوها عامراً لاطّلاعكم  اليـه يُدَهدِهكم[2] برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذي يُدَهدِهُ البعرةَ برجليه.

قال: فلما بَنى بها زوجها، وَجد الصِّمَّةُ بها وَجْداً شديداً وحزِن عليها؛ فزوّجه أهله امرأةً منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشيّ بن الطُّفَيل بن قُرَّة بن هُبيرة؛ فأقام عليها مُقاماً يسيراً، ثم رحل الى الشام غضباً على قومه، وخلّف امرأته فيهم، وقال لها:

كُلي التمرَ حتى تَهرَمَ النخلُ واضْفِري  خِطامَكِ ما تدرين ما اليوم من أمسِ

وقال فيها أيضاً:

لَعَمْري لئن كنتم على النأي والقِلَى  بكم مثلُ ما بي إنكم لصديقُ
اذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن في الحَشى  رُدِدن ولم تُنهَجْ لهنّ طريقُ

وقال فيها أيضاً:

اذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم  أتتنا بِرَيّاكم فطاب هُبوبُها

(١) دنية أي لاصقة النسب.

(٢) دهده: دحرج.

أتتنا بريح المسك خالَطَ عنبراً ‏ ‏ وريحِ الُخزامى باكَرَتها جَنوبُها

وقال فيها أيضاً :

هل تَجزِيَنّي العامرِيّةُ موقفي ‏ ‏ على نسوةٍ بين الِحمى وغَضى الجمرِ
مَرَرْنَ بأسبابِ الصِبا فذكَرنَها ‏ ‏ فأومأتُ إذ ما من جوابٍ ولا نُكرِ

**موته :**

وقال ابن دَأب : وأَخبرني جماعة من بني قُشَير أنَّ الصِمَّة خرج في غَزِيٍّ[١] من المسلمين الى بلد الدَّيلم فمات بطَبَرِستان .

قال ابن دَأب : وأنشدني جماعة من بني قُشَير للصِمَّة :

## صوت

أَلا تسألانِ اللهَ أن يَسقيَ الِحمى ‏ ‏ بَلى فسقى اللهُ الِحمى والَمطالِيا[٢]
وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِر الِحمى ‏ ‏ فهل يسألنْ عَني الِحمى كيف حالِيا

الغناء في هذين البيتين لإسحاق، ولحنه من الثقيل الاول بالوسطى، وهو من مختار الأغاني ونادرها .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع وعمي قالا حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبدالله بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفريّ عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدّثني رجل من أهل طَبَرِستانَ كبيرُ السنّ قال :

---

(١) غزي : اسم جمع لغاز .

(٢) المطالي : جمع مطلاء، وهو مسيل ضيق من الارض او هو ارض سهلة لينة تنبت العضاه .

بينا أنا يوماً أمشي في ضَيعة لي فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروحٍ عليه أهدامٌ خُلْقانٌ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم، فأصغيت اليه فإذا هو يقول بصوت خَفيّ:

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّك لا تَرى  بَشامَ الحِمى أخرى الليالي الغَوابِرِ
كأنّ فؤادي من تذكُّرِه الحِمى  وأهل الحِمى يَهفُو به ريشُ طائرِ

قال: فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه؛ فسألت عنه فقيل لي: هذا الصِمَّة بن عبد الله القُشَيْريّ.

أخبرني عمي قال حدّثنا الخَرّاز أحمد بن الحارث قال:

كان ابن الأعرابيّ يستحسن قول الصمّة:

## صوت

أما وجلالِ الله لو تذكُرينني  كذِكريكِ ما كَفكفتِ للعين مَدمَعا
فقالت بَلى والله ذكراً لَوَ انّه  يُصَبّ على صُمِّ الصَّفا لتصدّعا

— غنّى في هذين البيتين عُبيد الله بن أبي غَسّان ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. وفيهما لعَريبَ خفيفُ رَمَل —.

ولمّا رأيتُ البِشرَ[1] قد حال بيننا  وجالت بناتُ الشوق في الصدر نُزَّعا
تَلفّتُّ نحوَ الحيّ حتى وجدتُني  وَجِعتُ من الإصغاء لِيتاً وأخدَعا[2]

أخبرني أبو الطيِّب بن الوَشّاء قال:

(١) البشر: جبل.

(٢) الأخدع: عرق في العنق في موضع الحجامة.

قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزديّ : لو حلف حالفٌ أنّ أحسنَ ابياتٍ قِيلت في الجاهليَّة والإسلام في الغزل قولُ الصِمّة القُشَيْريّ ما حنِث :

حَننْتَ الى رَيّا ونفسُك باعدتْ　　مَزارَك من رَيّا وَشعباكُما مَعا
فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعاً　　وتجزَعَ أن داعي الصبابة أسمعا
بكتْ عينيَ اليُمنى فلما زجرتُها　　عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

## صوت

وأذكُرُ أيّامَ الحِمى ثم أنثني　　على كَبِدي من خشيةٍ أن تَصدّعا
فليست عشيّاتُ الحِمى برَواجع　　عليك ولكن خَلِّ عينيك تَدمَعا

غنّت في هذين البيتين قُرَشيَّة الزّرقاء لحناً من الثقيل الاول عن الهشاميّ . وهذه الأبيات التي أوّلها « حننت الى ريّا » تُروى لقَيس بن ذَريح في أخباره وشعرِه بأسانيدَ قد ذُكرت في مواضعها، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرت أيضاً في أخباره . والصحيح في البيتين الأوّلين أنهما لقَيس بن ذَريح وروايتها له أثبت، وقد تواترت الروايات بأنها له من عدّة طرق ؛ والأُخَر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصِمّة .

**كان ابو حاتم يستجيد بيتين من شعره :**

أنشدنا محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم للصِمّة القُشَيْريّ قال : وكان أبو حاتم يستجيدهما، وأنشدنيهما عمي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم :

اذا نأتْ لم تُفارِقني عَلاقتُها　　وإن دنتْ فصدود العاتب الزّاري
فحال عينيَ من يومَيكِ واحدةٌ　　تبكي لفَرطِ صدودٍ أو نَوى دارِ

## تذكر محبوبته وبكى:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سَلّام قال حدّثني أبي عن شُعيب بن صَخر عن بعض بني عُقَيل قال:

مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشيريّ يوماً وهو جالس وحدَه يبكي ويخاطب نفسه ويقول: لا والله ما صدَقَتكَ فيما قالت؛ فقلت: من تَعني؟ وَيحك! أجننتَ! قال: أعني التي أقول فيها:

أمَا وجلالِ اللهِ لو تذكُرينني  كذِكريكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكراً لوَ أنّه  يُصَبّ على صُمّ الصَّفا لتَصدّعا

أسلي نفسي عنها وأخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي.

## قصته في خطبة ابنة عمه:

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العَبدي عن موسى بن عبد الله التَّيميّ قال:

خطب الصِّمَّة القُشيريّ بنتَ عمه وكان لها مُحبّاً، فاشتطّ عليه عمُّه في المهر؛ فسأل أباه أن يعاونه وكان كثيرَ المال فلم يُعِنه بشيء؛ فسأل عَشيرَته فأعطَوْه؛ فأتى بالإبل عمَّه؛ فقال: لا أقبل هذه في مهر ابنتي، فاسأل أباك أن يُبدِلَها لك؛ فسأل ذلك أباه فأبى عليه؛ فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلها وخَلّاها، فعاد كلّ بعير منها الى أُلّافه. وتحمّل الصِّمَّة راحلاً. فقالت بنت عمه حين رأته يتحمّل: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبعِرة. ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر؛ فقال وقد طال مُقامه وأشتاقها ونَدِم على فعله:

أتبكي على ريّا ونفسُك باعدتْ  مَزاركَ من ريّا وَشعباكُما معا
فما حسنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعاً  وتجزَعَ أن داعي الصبابة أسمعا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة قال حدثني حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ: أن الصِمّة خطب ٱبنة عمه هذه الى أبيها؛ فقال له: لا أزوّجكها إلا على كذا وكذا من الإبل؛ فذهب الى أبيه فأعلمه بذلك وشكا اليه ما يَجِد بها؛ فساق الإبلَ عنه الى أخيه؛ فلما جاء بها عدّها عمّه فوجدها تنقُص بعيراً، فقال: لا آخذها إلا كاملةً؛ فغضِب أبوه وحلف لا يَزيده على ما جاء به شيئاً. ورجع الى الصِمّة؛ فقال له: ما وراءك؟ فأخبره؛ فقال: تالله ما رأيت قطّ ألأمَ منكما جميعاً؛ وإني لَألأم منكما إن أقمتُ بينكما؛ ثم ركب ناقته ورحل الى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات. وقال في ذلك:

أمِن ذكر دارٍ بالرّقاشَيْن[1] أصبحتْ … بها عاصفاتُ الصيف بَدْءاً ورُجّعا
حننتَ الى ريّاً ونفسُك باعدت … مزارَك من ريّا وشعباكما معا
فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً … وتجزَع أن داعي الصبابة أسمعا
كأنك لم تشهد وَداعَ مُفارقٍ … ولم ترَ شَعْبَيْ صاحبين تقطّعا
بكت عينيَ اليسرى فلما زجرتُها … عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تحمّل أهلي من قنين وغادروا … به أهلَ ليلى حين جِيدَ[2] وأمرعا
ألا يا خليليّ اللذين تواصيا … بلوميَ إلّا أن أطيع وأسمعا
قِفا إنه لا بدّ من رَجْع نظرة … يمانيّة شتّى بها القومُ أو معا
لمُغتصَبٍ قد عزّه[3] القومُ أمرَه … حياءً يكفّ الدمعَ أن يتطلّعا
تبرّض[4] عينيه الصبابةُ كلّما … دنا الليل أو أوفى من الأرض مَيفَعا[5]
فليستْ عشيّاتُ الحمى برواجعٍ … اليكَ ولكن خلِّ عينيك تدمعا

(١) الرقاشان: جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلاب.

(٢) جيد: أصابه الجود وهو المطر الغزير.

(٣) عزه: غلبه وسلبه.

(٤) أي تأخذ الصبابة ماء عينيه شيئاً فشيئاً.

(٥) الميفع: المكان المشرف.

# صوت

## من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ

قُلْ لأسماء أنجزي الميعادا     وأنظري أن تُزوِّدي منكِ زادا
إن تكوني حللتِ رَبعاً من الشا     م وجاورتِ حِميراً أو مُرادا
أو تناءتْ بِكِ النَّوى فلقد قُدْ     تِ فؤادي لحَينه فأنقادا
ذاك أني عَلِقتُ منكِ جوى الحبّ     ولِيداً فزدتُ سِنّاً فزادا

الشعر لداود بن سَلْم . والغناء لدَحمان، ولحنه المختار من الثقيل الاول بالوسطى . وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيي عن إسحاق منسوباً الى المرقّش، وطلبناه في أشعار المرقّشين جميعاً فلم نجده، وكنّا نظنّه من شاذّ الروايات حتى وقع الينا في شعر داود بن سلم، وفي خبرٍ أنا ذاكره في أخبار داود . وإنما نذكر ما وقع الينا عن رُواته؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فَرَط منا غيرَه، وما لم يَجرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطإٍ لم نتعمده ولا أخترعناه، وإنما حكيناه عن رواته وأجتهدنا في الإصابة . وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله .

# أخبار داود بن سلم ونسبه

**نسبه وولاؤه :**

داود بن سَلْم مولى بني تَيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ ؛ ثم يقول بعضُ الرواة؛ إنّه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم : إنه مولى آل طَلْحة . وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يقال له داود الآدم وداود الأرمك[1] . وكان من أقبح الناس وجهاً . وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذاتَ يوم يَخطِر خَطرةً منكَرة فدعا به، وكان يتولى المدينةَ، فضربه ضرباً مبرِّحاً؛ وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخَطْرة التي تخايل فيها في مِشيته . فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابنَ رُهَيمة :

ضرب العادلُ سعدٌ ... ابنَ سلمٍ في السَّماجه
فقضى اللهُ لسعد ... من أميرٍ كلَّ حاجه

**مدح آل معمر لان أمه من مواليهم :**

أخبرني محمد بن سليمان الطُّوسي قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال :

سألت محمدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم، هل هو مولاهم ؟ فقال : كذلك يقول الناسُ، هو مولانا، أبوه رجل من النَّبَط، وأمه بنتُ حَوْط مولى عمر بن عبيد الله بن مَعمر ؛ فانتسب الى ولاء أمه . وفي ذلك يقول ويمدح ابنَ مَعمر :

---

(١) الأرمك : الأسود .

وإذا دعا الجاني النصيرَ لنصره وارتْني الغُرَرُ النصيرةُ مَعشرُ
مُتخازِرينَ(١) كأنّ أُسدَ خَفِيّةٍ(٢) بعقامِها مستبسلاتٌ تَزْأرُ
متجاسِرين بحمل كل مُلِمّةٍ متجبّرين على الذي يتجبّرُ
عُسُلُ الرِّضا فإذا أردتَ خصامَهم خلَطَ السِّمامَ بفيكَ صابٌ مُمقِرُ(٣)
لا يَطبَعون ولا ترى أخلاقهم إلّا تطيبُ كما يطيب العنبرُ
رفَعوا بِنايَ بعتْقِ حَوْطٍ دِنيّةً جدّي وفضلِهم الذي لا يُنكَرُ

**كان أسود بخيلاً وله شعر في الكرم :**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر ابن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال :

كان داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مرّة ، وكان يقال له : الآدم لشدّة سواده ، وكان من أبخل الناس ؛ فطرقه قوم وهو بالعقيق ، فصاحوا به : العَشاءَ والقِرى يابنَ سَلْم ؛ فقال لهم : لا عَشاءَ لكم عندي ولا قِرى ؛ قالوا : فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها :

يا دار هندٍ ألا حُيّيتِ من دارِ لم أقضِ منكِ لُباناتي وأوطاري
عُوِّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نبّهني عَقْرَ العِشارِ(٤) على يُسري وإعساري

قال : لستم من أولئكَ الذين عنيتُ .

(١) تخازر الرجل : ضيق جفنه ليحدّد النظر .

(٢) الخفية : غيضة ملتفة يتخذها الاسد عرينه .

(٣) عسل : جمع عاسل وعسول أي حلو . والممقر : الشديد المرارة .

(٤) العشار جمع عشراء ، وهي من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر .

**عزى السريّ بن عبد الله عن ابنه :**

قال : ودخل على السريّ بن عبد الله الهاشميّ ، وقد أُصيب بأبن له ، فوقف بين يديه ثم أنشده :

يا من على الأرض من عُجم ومن عَرَبٍ ... إسترجعُوا خاسَتِ[1] الدّنيا بعَبّاسِ
فُجعت من سبعة قد كنتُ آمُلُهم ... من ضِنْء[2] والدهم بالسيّد الرّاسِ

قال : وداود بن سلم الذي يقول :

قُلْ لأسماء أنجزي الميعادا ... وأنظري أن تزوّدي منكِ زادَا
إن تكوني حَللتِ ربعاً من الشا ... م وجاورتِ حميراً أو مُرادا
أو تناءت بكِ النوى فلقد قُدْ ... تِ فؤادي لحَينه فأنقادا
ذاكِ أني عَلِقتُ منكِ جَوى الحبّ ... وليداً فزدتُ سِناً فزادا

قال أبو زيد : أنشدنيها أبو غسّان محمد بن يحيي وإبراهيم بن المُنذر لداود ابن سَلم .

## نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء

## صوت

يا دارَ هند ألا حُيّيتِ من دارِ ... لم أقضِ منك لُباناتي وأوطاري

يَتم ويُنسب[3] .

(١) خاست : غدرت .

(٢) الضنء : الولد، ويطلق على الاصل ايضاً .

(٣) في سائر الاصول : « وينسب . انتهى » . ولا معنى لهذه الزيادة .

**مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره :**

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني مُصعب بن عثمان قال :

دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بن إبراهيم بن طلحةَ بن عمر بن عُبيد الله بن مَعمَر التَّيميّ أيامَ كان بالمدينة الى ولاية القضاء. فأبى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين[1] يسرقون له مغسلاً في السجن ، وجاء بنو طلحة فأنسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ ابن زيد فأرسل اليه فأُتي به ؛ فقال : إنك تلاَججتَ عليّ ، وقد حلفتُ ألا أرسِلك حتى تعملَ لي ، فأبرِر يميني ؛ ففعل ؛ فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه ؛ فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال :

طلبوا الفقه والمروءةَ والحِلْــــمَ وفيك اجتمعنَ يا إسحاقُ

فقال : ادفعوه ، فدفعوه ، فنُحِّي عنه ؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ؛ فأعفاه الحسن ابن زيد من القضاء ؛ فلما سار الى منزله أرسل الى داود بن سلم بخمسين ديناراً ، وقال للرسول : قل له : يقول لك مولاك : ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه ؟ استعن بهذه على أمرك .

**ضربه سعد بن ابراهيم في المسجد :**

أخبرني الحرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني مُحرز ابن سعيد قال :

بينا سعد بن إبراهيم في مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، ومعه داود بن سَلْم مولى

---

(١) « مسرفين يسرفون » ( بالفاء ) . وفي حـ : « مسروقين يسرقون له معسلاً » . ولم نوفق الى وجه الصواب فيها .

التَّيميّين ، وعليهما ثياب ملوَّنة يجرّانها ؛ فأومأ أن يُؤتى بهما ، فأشار الى زيد أن اجلس ، فجلس بالقرب منه ، وأومأ الى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثله ، ثم قال لعَوْن من أعوانه : ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله، فدُعي له فجاء أحسنَ الناس سَمتاً وتشميراً ونقاء ثياب ؛ فأشار اليه فجلس ؛ ثم أقبل على زيد فقال له : يابن أخي ، تَشبَّه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه ، ولا تَعُد الى هذا اللبس، قُمْ فانصرف . ثم أقبل على ابن سَلْم وكان قبيحاً ، فقال له : هذا ابنُ جعفر أحتمل هذا له، وأنت لأيّ شيء أحتمل هذا لك ؟ أللؤم أصلِك ، أم لسماجة وجهك ! جَرِّد يا غلام ؛ فجرّد فضربه أسواطاً . فقال ابن رُهيمة :

جلد العــادلُ سعدٌ ابنَ سَلْمٍ في السَّماجهْ
فقضى اللهُ لسعــدٍ من أميرٍ كلَّ حاجهْ

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال حدّثني عبد الملــك بن عبد العزيز بن الماجِشون عن يوسف بن الماجِشون قال :

قال لي أبي — وقد عُزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء — يا بنيّ تعجّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سعد بن إبراهيم، فإن القاضي إذا عُزل لم يزل الناسُ ينالون منه؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سعد بن إبراهيم، فإذا صوتٌ عالٍ ؛ فقال لي أيُّ شيء هذا ؟ أرى أنه قد أعجل عليّ ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سلم أربعين سوطاً ، فأقبل عليّ سعدٌ وعلى أبي ، فقال : لم تَرَ مثلَ أربعين سوطاً في ظهر لئيم . قال : وفيه يقول الشاعر :

ضرب العادلُ سعــدٌ ابنَ سَلْم في السماجهْ
فقضى اللهُ لسعــدٍ من أميرٍ كلَّ حاجه

## كان يمدح الحسن بن زيد :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزُّبير بن بَكّار قال حدَّثني أبو يحيى الزُّهريّ واسمه هارون بن عبد الله قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال :

كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سَلْم مولى بني تَيْم إذا جاءته غَلّة من الخانِقين[1] أن يَصِلَه . فلما مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد ، أغضب ذلك الحسنَ ؛ فقدِم من حجّ أو عُمرة ، ودخل عليه داودُ مسلّماً ، فقال له الحسن : أنت القائل في جعفر :

وكنّا حديثاً قبلَ تأميرِ جعفرٍ … وكان المُنى في جعفر أن يُؤمَّرا

حَوى المِنبَرَين الطاهرَين كليهما … إذا ما خطا عن مِنبرٍ أمَّ مِنبرا

كأن بني حَوّاء صُفُّوا أمامَه … فَخُيِّر من أنسابهم فتخيَّرا

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداءكم ، فكنتم خِيرة اختياره ؛ وأنا الذي أقول :

لعَمْري لئن عاقبتَ أو جُدتَ مُنعِماً … بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعذِرا

لأنتَ بما قدّمتَ أولى بمدحةٍ … وأكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنصُرا

هو الغُرَّةُ الزَّهراء من فرع هاشمٍ … ويدعو عليّاً ذا المعالي وجعفرا

وزيدَ[2] النَّدى والسِّبطَ سِبطَ محمدٍ … وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكيَّ المطهَّرا

وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ … إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا

بحقّكمُ نالوا ذُراها فأصبحوا … يَرَوْن به عزّاً عليكم ومَفخَرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له الى ما كان عليه ، ولم يزل يَصِلُه ويُحسن اليه حتى

(١) خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد .

(٢) يعني به زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب الذي خرج على هشام بن عبد الملك في خلافته فقتله .

مات . قال أبو يحيى : يعني بقوله : « وإن كان مُعذِرا » أن جعفراً أعطاه بأبياته الثلاثةِ ألفَ دينار ، فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه .

**إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له :**

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد قال :

كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاء ابنِ أزهر (على ستة أميال من المدينة، حِيالَ ذي الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوساً في القمر، وأبو السائب المخزوميّ معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسماع والغزَل، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَريك[1] فنحن نُصيب منه ، والحسن يومئذ عاملُ المنصور على المدينة ؛ فأنشد الحسنُ قول داود بن سَلْم وجعل يَمُدّ به صوته ويُطرِبه :

## صوت

فعرَّسنا ببطن عُرَيْتِنـاتٍ[2] ليَجْمَعَنا وفاطمـةَ المَسيرُ
أتنسى إذ تَعرّضُ وهو بادٍ مُقلّدُها كما بَرَق الصَّبيرُ[3]
ومَن يُطِعِ الهوى يُعرَفْ هواه وقـد يُنبيك بالأمر الخبيرُ
على أني زَفَرْتُ غداةَ هَرْشَى[4] فـكاد يُريبهم مني الزَّفيرُ

— الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للهُذَليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وأظنّه هـذا اللحنَ — قال : فأخذ أبو

(١) الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .
(٢) عريتنات : اسم واد .
(٣) الصبير : السحاب الابيض لا يكاد يمطر .
(٤) هرشى : ثنية قرب الجحفة في طريق مكة يرى منه البحر .

السائبِ الطبَقَ! فوحّش[1] به الى السماء، فوقع الفريكُ على رأس الحسن بن زيد؛ فقال له: ما آك؟ وَيحك! أجننتَ! فقال له أبو السائب: أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما أعدتَ إنشادَ هذا الصوتِ ومدَدْته كما فعلتَ! قال: فما مَلَكَ الحسنُ نفسَه ضحكاً، وردّ الحسنُ الأبياتَ لاستحلافه إياه. قال ابنُ أبي الزناد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يا بنَ أبي الزناد، أما سمعتَ مدَّه:

ومن يُطِع الهوى يُعرَفْ هواه

فقلت نعم؛ قال: لو علمتُ أنه يقبل مالي لدفعتُه اليه بهذه الثلاثة الأبيات.

أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمد الرازيّ وعمي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ.

**ما وقع بين ضبيعة العبسيّ وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب:**

أخبرني الحرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثتني ظَبيةُ مولاةُ فاطمةَ بنت عمر بن مُصعَب قالت:

أرسلتني مولاتي فاطمةُ في حاجة، فمررتُ برَحبة القضاء، فإذا بضُبَيعةَ العبسيّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضي بين الناس؛ فأرسل إليّ فدعاني، وقد كنت رطّلت[2] شَعري وربطت في أطرافه من ألوان العِهن؛ فقال: ما هذا؛ فقلت شيء أتملّح به؛ فقال: يا حرَسيّ قنِّعها بالسَّوط. قالت: فتناولتُ السوط بيدي وقلت: قاتلك الله! ما أبينَ الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم! سعدٌ يجلِد الناس في السَّماجة، وأنت تجلِدهم في المَلاحة؛ وقد قال الشاعر:

جلَد العادل سعدٌ ابنَ سَلْم في السماجهْ

---

(١) وحش: رمى.

(٢) رطل شعره: لينه بالدهن وكسره ومشطه وأرسله.

فقضى اللهُ لسعدٍ من أميرٍ كلَّ حاجةْ

قالت: فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال: خَلِّ عنها. قالت: فكان يَسُوم بي، وكانت مولاتي تقول: لا أبيعها إلّا أن تهوى ذلك، وأقول: لا أريد بأهلي بدلاً؛ الى أن مررت يوماً بالرَّحبة وهو في مَنظَرة دار مَروان ينظر؛ فأرسل إليّ فدعاني، فوجدتُه من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به، وحازمٌ وجرير جالسان؛ فقال لي حازم: الأمير يريدك؛ فقلت: لا أريد بأهلي بدلاً؛ وكُشِفَتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان، فأرتعتُ لذلك فقلت: آه؛ فقال: ما لكِ؟ فقلت:

سمعتُ بذكر الناس هنداً فلم أزَلْ أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ الى هندِ

قال: فأبصرتِ ماذا؟ وَيحكِ! فقلت:

فأبصرتُ هنداً حُرَّةً غيرَ أنها تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْدِ

قالت: فضحك حتى استلقى، وأرسل الى مولاتي ليبتاعَني؛ فقالت: لا والله لا أبيعها حتى تَستبيعني؛ فقلت: والله لا أستبيعُكِ أبداً.

**يذكر قثم بن عباس بجارية كان يهواها:**

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا يونس ابن عبد الله عن داود بن سَلم قال:

كنت يوماً جالساً مع قُثَمَ بنِ العباس قبل أن يُملَّكوا بفنائه، فمرّت بنا جارية، فأُعجِب بها قُثَم وتمنّاها فلم يُمكِنه ثمنُها. فلمّا وَلِي قُثَم اليمامةَ اشترى الجارية إنسانٌ يقال له صالح. قال داود بن سلم: فكتبتُ الى قُثَمَ:

يا صاحبَ العيسِ ثم راكبَها أبلغْ اذا ما لقيتَه قُثَما
أنّ الغزال الذي أجاز بنا مُعارِضاً إذ توسّط الحَرَما
حَوّله صالحٌ فصار مع الإنسِ وخلّى الوحوشَ والسَّلَما

قال : فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها، فوجدها قد ماتت .

**وفد على حرب بن خالد ومدحه :**

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدثني زهير بن حسن مولى آل الربيع ابن يونس :

أن داود بن سلم خرج الى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نزل به حط غلمانه متاع داود وحلوا عن راحلته فلما دخل عليه أنشأ يقول :

ولما دفعت لأبوابهم ولاقيت حرباً لقيت النجاحا
وجدناه يحمده المجتدون ويأبى على العسر إلا سماحا
ويغشون حتى يرى كلبهم يهاب الهرير وينسى النباحا

قال : فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار . فلم يعنه أحد من غلمانه ولم يقوموا اليه؛ فظن أن حرباً ساخط عليه، فرجع اليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له : سلهم لم فعلوا بك ذلك . قال : فسألهم، فقالوا : إننا ننزل من جاءنا ولا نرحل من خرج عنا . قال : فسمع الغاضري حديثه فأتاه فحدثه فقال : أنا يهودي إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسن من شعرك .

**شعره في الغزل :**

وذكر محمد بن داود بن الجراح أن عمر بن شبة أنشده ابن عائشة لداود بن سلم، فقال : أحسن والله داود حيث يقول :

لججت من حبي في تقريبه وعميت عيناي عن عيوبه
كذاك صرف الدهر في تقليبه لا يلبث الحبيب عن حبيبه

أو يغفرَ الأعظمَ من ذنوبهِ

قال : وأنشدني أحمد بن يحيي عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلم قال :

وما ذرَّ(١) قرنُ الشمسِ إلا ذكرتُها وأذكرها في وقت كلِّ غروبِ
وأذكرها ما بين ذاك وهــذهِ وبالليل أحلامي وعند هُبوبي
وقد شفَّني شوقي وأبعدني(٢) الهوى وأعيا الذي بي طِبَّ كلِّ طبيبِ
وأعجَبُ أني لا أموتُ صبابةً وما كمَدٌ من عاشقٍ بعجيبِ
وكلُّ محبٍّ قــد سلا غيرَ أنني غريبُ الهوى، يا وَيحَ كلِّ غريبِ
وكم لام فيها من أخٍ ذي نصيحةٍ فقلت له أقصِر فغيرُ مُصيبِ
أتأمر إنساناً بفُرقــة قلبــه أتصلح أجسامٌ بغير قلوبِ

**في مدحه قثم بن العباس :**

أخبرني إسماعيل بن يونُس الشِيعي قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني أبو غَسان قال :

كان داود بن سَلم منقطعاً الى قُثم بن العباس، وفيه يقول :

عَتَقتِ من حِلِّي ومن رِحلتي يا ناقُ إن أدنيتني من قُثمْ
إنــكِ إن أدنيتِ منه غــداً حالفني اليسر ومات العــدمْ
في وجهه بدرٌ وفي كفِّــه بحرٌ وفي العِرنــين منه شَممْ
أصمُّ عن قِيل الخنـــا سمعُــه وما عن الخير به من صَممْ
لم يدر ما «لا» و«بلى» قد درى فعافها وأعتاض منها «نَعمْ»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبَّة قال لي إسحاق : لنَظم العَمياء في هذه الأبيات صنعةٌ عجيبة، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها).

(١) ذر : طلع .
(٢) أبعده : أهلكه وأقصاه .

# أخبار دحمان ونسبه

## كان مغنياً صالحاً :

دَحمان لقبٌ لُقِّب به، واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مَولى بني لَيث بن بكر ابن عبد مَناة بن كنانة . ويُكنى أبا عمرو، ويقال له دَحمان الاشقر . قال إسحاق: كان دَحمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثيرَ الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِناً للحجّ؛ وكان كثيراً ما يقول : ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء .

قال إسحاق : وحدَّثني الزُّبيري أنّ دَحمان شَهِد عند عبد العزيز بن المطَّلِب ابن عبد الله بن حَنطَب المخزوميّ، وهو يَلي القضاء لرجل ٍ من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعَدّله(١)؛ فقال له العِراقيّ : إنه دَحمان؛ قال: أعرفه، ولو لم أعرفه لسألتُ عنه؛ قال : إنه يغنّي ويعلِّم الجواري الغناء؛ قال : غفر الله لنا ولك، وأيُّنا لا يتغنّى ! اخرُج الى الرجل عن حقِّه .

وفي دحمان يقول أعشى بني سُلَيم :

إذا ما هَـزِجَ الواديْ أو ثَقَّل دَحمـانْ
سمعتَ الشَّدوَ من هذا ومن هـذا بميزانْ
فهـذا سيّـد الإنس وهـذا سيّد الجـانْ

وفيه يقول أيضاً :

كانوا فحُولاً فصاروا عند حَلبتهم لمَّا أنبرى لهم دَحمانُ خِصيانا

---

(١) وعدّله : زكاه .

فأبلغوه عن الأعشى مقالتَــه أعشى سُلَيم أبي عمرٍو سليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصُحبتــه يا ليت دَحمانَ قبـل الموت غنّانا

**كان من تلاميذ معبد :**

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَيدَلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم ابن المهديّ أنه حدّثه عن ابن جامع وزُبير بن دَحمان جميعاً :

أنّ دحمان كان معدّلا مقبولَ الشهادة عند القضاة بالمدينــة، وكان أبو سعيدٍ مولى فائد أيضاً ممن تُقبل شهادته . وكان دحمان من رُواة مَعبد وغلمانِه المتقدّمين . قال : وكان معبد في اول أمره مقبولَ الشهادة، فلما حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الَهنات وغنّى له سقطتْ عدالته، لأنه اجتمع مع الوليد عـلى ما كان يستعمله .

**منزلته عند ابراهيم الموصلي :**

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثّنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال إسحاق :

كان دحمان يُكنى أبا عمرو، مولى بني لَيْث، واسمه عبد الرحمن، وكان يَخضِب رأسه ولحيته بالِحنّاء؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحاق : وكان أبي لا يضعــه بحيث يضعه الناس، ويقول : لو كان عبداً ما اشتريته على الغنــاء بأربعمائة درهم . وأشبهُ الناس به في الغناء ابنُه عبد الله، وكان يفضِّل الزُّبيرَ ابنَــه تفضيلاً شديداً على عبد الله أخيه وعلى دَحمان أبيه .

**كان المهدي يجزل صلته :**

أخبرني يحيى عن أبي أيّوب عن أحمد بن الَمكيّ عن عبد الله بن دَحمان قال :

رجع أبي من عند الَمهديّ وفي حاصلِه مائةُ ألفِ دينار .

أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال :

بلغني أنّ المهديّ أعطى دَحمان في ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار ؛ وذلك أنه غنّى في شعر الأحوص :

قَطُوفُ المَشْيِ إذ تمشي ... تَرى في مَشْيِهـا خَرَقَا[1]

فأعجبه وطرِب، وأستخفَّه السرور حتى قال لدَحمـان : سَلْني ما شئت ؛ فقال : ضَيعتان بالمدينة يقال لهما رَيَّان وغالِب ؛ فأقطعه إيّاهما . فلما خرج التوقيع بذلك الى أبي عبيد الله وعمر بن بَزِيع راجعا المهديّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلّا خليفة، وقـد استقطعهما ولاةُ العهود في أيام بني أمية فلم يُقطَعوهما ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ؛ فَصُولح عنهما على خمسين ألفَ دينار .

## نسبة هذا الصوت

سَرى ذا الهمُّ بل طَرقَا ... فَبِتُّ مسهَّـداً قَلِقَا
كذاك الحبّ ممـا يُحـدِثُ التسهيـدَ والأَرَقَا
قَطُوفُ المشيِ إذ تمشي ... تَرى في مشيهـا خَرَقَا
وتُثقِلهـا عَجيزَتُهـا ... إذا ولّت لتنطلقَـا

الشعر للأحوص . والغنـاء لدَحمان ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ؛ وذكر الهِشاميّ أنه لابن سُرَيج .

أخبرني إسماعيل بنُ يونس قال حدّثنا عمر بن شبَّة عن إسحاق قال :

(١) قطوف المشي : بطيئته . وخرقا : تحيرا ودهشا .

مرّ دحمان المغنّي وعليه رداء جيّد عدَنيّ ؛ فقال له مَن حضر : بكم اشتريتَ هذا يا أبا عمرو ؟ قال :

ب ما ضرّ جيرانَنا إذ انتجعُوا

## نسبة هذا الصوت

## صوت

ما ضرّ جيرانَنا إذ انتجعُوا لو أنهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا[١]
أحموا[٢] على عاشقٍ زيارتَه فهو بهجران بينِهم قُطَع[٣]
وهو كأنّ الهيام خالطه وما به غير حبّها ذَرَع[٤]
كأنّ لُبنَى صَبِير[٥] غاديةٍ أو دُمْيةٌ زُيِّنتْ بها البِيَعُ
الله بيني وبين قيّمها يَفِرّ عنّي بها وأتّبعُ

### اشترى الوليد منه جارية وأكرمه :

أخبرني وكيع عن أبي أيّوب المدينيّ إجازةً عن أبي محمد العامريّ الأُوَيسيّ قال :

كان دحمان جمّالًا يُكري الى المواضع ويتّجر ، وكانت له مروءةٌ ؛ فبينا هو ذات يوم قد أكرَى جِماله وأخذ ماله إذ سمع رنّة ، فقام واتّبع الصوتَ ، فإذا جاريةٌ قد خرجتْ تَبكي ؛ فقال لها : أمملوكةٌ أنتِ ؟ قالت : نعم ؛ فقال : لمن ؟

(١) ربعوا : تمهلوا وانتظروا .

(٢) أحموا : حظروا ومنعوا .

(٣) القطع ( كصرد ) : من يهجر رحمه ويعقها ويقطعها .

(٤) الذرع : الطمع .

(٥) الصبير : السحاب الابيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

فقالت : لأمرأة من قريش ، وسمّتها له ؛ فقال : أتبيعك ؟ قالت : نعم ، ودخلتْ الى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني ؛ فقالت : ائذني له ، فدخل ، فساما حتى استقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتي دينار ، فنقدها إياها وانصرف بالجارية . قال دَحمان : فأقامت عندي مدةً أطرَح عليها ويطرَح عليها مَعبَد والأبجر ونظراؤهما من المغنين ؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك الى الشام وقد حَذَقتْ ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أنزِل الأكرياء[1] ناحيةً، وأنزل معتزلًا بها ناحيةً في مَحمِل وأطرَح على المحمِل من أعبية[2] الجمّالين ، وأجلس أنا وهي تحت ظلّها ، فأُخرج شيئاً فنأكله ، ونضع رِكْوَة[3] فيها لنا شراب ، فنشرب ونتغنّى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشام . فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلقي عليها لحني :

## صوت

لو ردّ ذو شَفَقٍ حمامَ منيّةٍ     لرددتُ عن عبد العزيز حِماما
صلى عليكَ اللهُ من مستودَعٍ     جاورتَ يوماً في القبور وهاما[4]

— الشعر لكُثَيّر يرثي عبدَ العزيز بن مَروان . وزعم بعضُ الرواة أن هذا الشعر ليس لكثيّر وأنه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له . والغناء لدَحمان ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر —

قال : فرددتُه عليها حتى أخذَتْه واندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلع فسلّم علينا فردَدْنا عليه السلام ؛ فقال : أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً ؟ قلنا : نعم ، فنزل؛ وعرضتُ عليه طعامَنا وشرابَنا فأجاب، فقدّمنا اليه السُّفرةَ فأكل

(١) الأكرياء : جمع كريّ وهو المكاري .

(٢) الاعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية .

(٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

(٤) الهام : طير الليل وهو الصدى، واحده هامة .

وشرب معنا ، وٱستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أتغنّين لدَحمان شيئاً ؟ قالت نعم . قال : فغنّته أصواتاً من صنعتي ، وغمزتُها ألا تُعرّفه أني دَحمان ؛ فطرِب وٱمتلأ سروراً وشرب أقداحاً والجارية تغنّيه حتى قرُب وقتُ الرحيل ؛ فأقبل عليّ وقال : أتبيعني هذه الجاريةَ ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار ؛ قال : قد أخذتُها بها ، فهلمّ دواةً وقِرْطاساً ، فجئته بذلك ؛ فكتب : « ادفع الى حامل كتابي هذا حينَ تقرأه عشرةَ آلافِ دينار ، وٱستوصِ به خيراً وأعلمني بمكانه » وختم الكتابَ ودفعه إليّ ؛ ثم قال : أتدفع إليّ الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض مالكَ ؟ فقلت : بل أدفعها اليك ؛ فحملها وقال : إذا جئتَ البَخراءَ[1] فسَلْ عن فلان وٱدفع كتابي هذا اليه واقبضْ منه مالك ؛ ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلما وردت البَخراء سألت عن اسم الرجل ، فدللت عليه ، فإذا دارُه دارُ مُلك ، فدخلتُ عليه ودفعت اليه الكتابَ ، فقبّله ووضعه على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال لي : اجلس حتى أعلِم أميرَ المؤمنين بك ؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك ، وقد كان أمر لي بأنزال[2] وكان بخيلاً ، فٱغتنمتُ ذلك فٱرتحلتُ ؛ وقد كنت أصِبت بجملين ، وكانت عدّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ . قال : وسأل عنّي الوليدُ ، فلم يَدْرِ القهرَمانُ أين يطلُبني ؛ فقال له الوليد : عدّةُ جِماله خمسةَ عشرَ جملاً فٱردُدْه إليّ ؛ فلم أُوجَد ، لأنه لم يكن في الرُّفقة من معه خمسةَ عشرَ جملاً ، ولم يعرف ٱسمي فيسألَ عنّي . قال : وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن ٱستبرئت[3] وأصلح من شأنها ، فظلّ معها يومَه ، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها : غنّيني لدَحمان فغنّت ؛ وقال

---

(١) البخراء : أرض ومائة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز ، وبها قتـل الوليد بن يزيد ابن عبد الملك .

(٢) الأنزال : جمع نزل ( بضمتين وبضم فسكون ) وهو ما هيء للضيف أن ينزل عليه .

(٣) استبراء الرجل الجارية : ألا يمسها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين حالها أهي حامل أم لا .

لها : زيديني فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوَ ما سمعتَ غناء دَحمان منه ؟ قال لا ؛ قالت : بلى والله ؛ قال : أقول لك لا ، فتقولين بلى والله ! فقالت : بلى والله لقد سمعتَه ؛ قال : وما ذاكِ ؟ وَيحكِ ! قالت : إنّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دَحمان؛ قال : أوَ ذاك هو ؟ قالت : نعم، هو هو؛ قال : فكيف لم أعلم ؟ قالت : غمزني بألّا أعلمك . فأمر فكُتب الى عامل المدينة بأن يُحمل اليه دَحمان ، فحمل فلم يزل عنده أثيراً .

**دحمان في مجلس أمير :**

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا ابن جامع قال :

تذاكروا يوماً كِبَر الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القولَ ؛ ثم قال بعضهم : إنما يكون كبر أيرِ الرجل على قدرِ حِرِ أمه؛ فالتفت الأميرُ الى دَحمان فقال : يا دَحمان ، كيف أيرك ؟ فقال له : أيها الأمير ، أنت لم تُرد أن تعرف كبر أيري ، وإنما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أمي . وكان طيّباً ظريفاً .

**ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه :**

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال :

أوّل ما عُرف من ظَرْف دَحمان أن رجلًا مرّ به يوماً ، فقال له : أيرِ حماري في حِرِ أمّك يا دُحيم ؛ فلم يفهم ما قاله ، وفهمه رجل كان حاضراً معه فضحك ؛ فقال : ممّ ضحكت ؟ فلم يُخبره ؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلّا أخبرتَني ؛ قال : إنه شتمك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرَني كائناً ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حماري في حِرِ أمّك ؛ فضحك ثم قال : أعجبُ والله وأغلظ عليّ من شَتمه كِنايتُك عن أيرِ حمارِه وتصريحك بحِرِ أمي لا تَكنِي .

## جعفر بن سليمان والمغنون :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبي قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثنا عبد الله بن الرّبيع المديني قال حدثني الرّبعي المغنّي قال :

قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغدُوا على قصري بالعَقيق غداً ؛ وكنت أنا ودحمان وعطرّد ، فغدوتُ للموعد ، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة ، فإذا هو وعطرّد قد اجتمعا على قِدرٍ يطبُخانها ، وإذا السماء تَبغَش[١] ، فأذكرتها الموعدَ ، فقالا : أما ترى يومنا هذا ما أطيبَه ! اجلس حتى نأكلَ من هذه القِدر ونُصيبَ شيئاً ونستمعَ من هذا اليوم ؛ فقال : ما كنت لأفعل مع ما تقدّم الأمير به إليّ ؛ فقالا لي : كأنا بالأمير قد انحلّ عزمُه ، وأخذك المطرُ الى أن تبلغ ، ثم ترجع الينا مبتلًّا فتقرَع الباب وتعود الى ما سألناك حينئذٍ . قال : فلم ألتفت الى قولهما ومضيت ، وإذا جعفرٌ مُشرف من قصره والمَضارب[٢] تُضرَب والقدور تُنصب ؛ فلما كنت بحيث يسمع تغنّيتُ :

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوا وملّوا من الإدلاج جئتكم وَحدي

قال : وما ذاك ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : يا غلام ، هات مائتي دينار أو أربعمائة دينار — الشك من إسحاق الموصلي — فأنثرها في حِجر الرّبعي ، اذهب الآن فلا تحُلَّ لها عُقدةً حتى تُريها إياها ؛ فقلتُ : وما في يدي من ذلك ! يأتيانكَ غداً فتُلحِقها بي ؛ قال : ما كنتُ لأفعل ؛ قلتُ : فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل ، فحَلَف . فمضيتُ اليهما ، فقرَعتُ الباب فصاحا وقالا : ألم نقل لك إن هذه تكون حالَك ؛ فقلت : كلّا ! فأرَيتُهما الدنانيرَ ؛ فقالا : إنّ الأمير لحيٌّ كريم ، ونأتيه

---

(١) تبغش : أمطرت البغشة وهي المطرة الضعيفة .

(٢) المضارب : جمع مضرب وهو الفسطاط العظيم .

غداً فنعتذرُ اليه فيدعوه كَرَمُه الى أن يُلحِقنا بك ؛ فقلت : كذَبَتكما أنفسكما ، والله إني قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الإيمانَ ألّا يفعل ؛ فقالا : لا وصلتْك رَحِم .

**غنى هو وابن جندب بالعقيق :**

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مُزاحِم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجِشون قال :

صلّينا يوماً الصبحَ بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العقيق ، فخرجنا من المسجد مُبادرين الى العقيق ، فأنتهينا الى العَرْصة[1] ، فإذا من وراء الوادي قُبالتنا دَحمانُ المغنّي وابن جُندَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً هو :

أسكنُ البَدْوَ ما سكنتِ ببدوٍ     فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أطيبُ صوتٍ في الدنيا . قال : وكان أخي يَكره السّماع ؛ فلمّا سمعه طرب طرباً شديداً وتحرّك ؛ وكان لغناء دَحمانَ أشدّ استحساناً وحركة وأرتياحاً ؛ فقال لي : يا أخي ، اسمع الى غناء دحمان ، والله لكأنّه يسكُب على الماء زيتاً .

نسبة هذا الصوت

## صوت

أَوْحشَ الجُنبُذانِ[2] فالدَّيرُ منها     فقُراها     فالمنزلُ المحظورُ

---

(١) العرصة ( بالفتح ) : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٢) الجنبذ معرب كنبذ بالفارسية، ومعناه : الأزج المدوّر كالقبة . والشاعر هنا يريد به مكاناً بعينه .

أَسكنُ البدوَ ما أقمتِ ببدوٍ ... فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ
أيُّ عيش ألَذُّه لستِ فيه ... أوْ تُرَى نَعْمةٌ به وسُرورُ

الشعر لحسَّان بن ثابت . والغناء لأبن مِسجَح رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

**دحمان والفضل بن يحيى :**

أخبرنا محمد بن خلف بن المَرزُبان قال حدَّثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمانَ البَصْري قال :

قال دحمان : دخلتُ على الفضل بن يحيى ذاتَ يوم ؛ فلما جلسنا ، قام وأومأ إليَّ فقمتُ ، فأخذ بيدي ومضى بي الى مَنظَرة له على الطريق ، ودعا بالطعام فأكلنا ، ثم صِرنا الى الشراب ؛ فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حِجازيّة تغنّي :

أَهجُريني أو صِليني ... كيفما شئتِ فكوني
أنتِ واللهِ تحبّيني ... وإن لم تُخبِريني

فطَرِب وقال : أحسنتِ ! ادخلي فدخلتْ ، فأمر بطعام فقُدِّم اليها فأكلتْ ، وسقاها أقداحاً ، وسألها عن مواليها فأخبرته ؛ فبعث فأشتراها ، فوجدها من أحسن الناس غناء وأطيبهم صوتاً وأملحِهم طبعاً ؛ فغلبتْني عليه مدّة وتناساني ؛ فكتبتُ اليه :

أخرجتِ السَّوداء ما كان في ... قلبك لي من شدَّة الحبِّ
فإن يدُم ذا منك لا دام لي ... متُّ من الإعراض والكَرْبِ

قال : فلمّا قرأ الرُّقعة ضحك ، وبعث فدعاني ووصلني ، وعـاد الى ما كان عليه من الأُنس .

قال مؤلف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرزُبان بهذا الخبر ، وأظنّه غلطاً ؛ لأنّ دَحمان لم يُدرك خلافة الرشيد ، وإنما أدركها ابناه زُبَير وعبد الله ؛ فإمّا أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيي .

## ومما في المائة المختارة من صنعة دحمان

## صوت

### من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيي

وإنّي لآتي البيتَ مـا إن أُحِبُّه وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حَبيبُ
وأغضي على أشياء منكم تَسوءُني وأُدْعَى الى مـا سَرَّكم فأُجيبُ
وأحبِسُ عنكِ النَّفسَ والنفسُ صَبَّةٌ بقُرْبِـكِ والمَمْشى اليكِ قريبُ

الشعر للأحوص . والغناء لدَحمان ثقيلٌ أوّلُ . وقد تقدّمتْ أخبارُ الأحوص ودَحمان فيا مضى من الكتاب .

## صوت

### من المائة المختارة

حَيِّيَا خَولَةَ منّي بالســلامِ دُرَّةَ البحر ومِصباحَ الظلامِ
لا يكُن وَعدُكِ برقاً خُلَّباً كاذباً يلمـع في عُرض الغمامِ

وأذكري الوعدَ الذي واعدتنا    ليلةَ النصف من الشَّهر الحرامِ

الشعر لأعشى هَمدان . والغناء لأحمد النَّصْبيّ ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وعروضه من الرَّمل . والخُلَّب من البرق : الذي لا غيث معه ولا يُنتفع بسحابه . وتَضربُ المثلَ به العربُ لمن أخلف وعدَه ؛ قال الشاعر :

لا يكنْ وعدك برقاً خُلَّباً    إنَّ خيرَ البرق ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة : الناحية منها .

# أخبار أعشى همدان ونسبه

## نسبه وكنيته :

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نِظام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جُشم بن حاشد بن جُشَم بن خَيوان بن نَوف ابن هَمدان بن مالك بن زيد بن نَزار بن أَوْسلة بن رَبيعة بن الخِيار بن مالكِ ابن زيد بن كهلان بن سَبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان، ويُكنى أبا المُصَبِّح، شاعرٌ فصيح، كوفيّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوجَ أخت الشَّعبيّ الفقيه، والشعبيُّ زوجَ أخته. وكان أحدَ الفقهاء القُرّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ، وآخى أحمد النَّصيّ بالعَشِيرِيّة[1] والبَلَديّة، فكان إذا قال شعراً غنّى فيه أحمدُ. وخرج مع ابن الأشعث، فأُتي بـه الحَجّاج أسيراً في الأسرى، فقتله صَبراً.

أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحَسَنُ بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا الحسن ابن عُلَيل العنزيّ عن محمد بن معاوية الأسدي أنه أخذ أخباره هذه عن كُناسة عن الهَيثم بن عَدِيّ عن حماد الراوية وعن غيرهم من رُواة الكوفيين. قال حدّثنا عمر بن شبَّة وأبو هِفّان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهَيثم بن عديّ عن عبد الله ابن عَيّاش الهمدانيّ. قال العنزيّ: وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعيّ. وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفرداً.

أخبرني المهلّبيّ أبو أحمد حَبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا حدّثنا عمر بن

(١) العشيرية: نسبة الى العشير او العشيرة وهم رهط الرجل وقبيلته.

شبَّة وأبو هِفَّان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش الهمدانيّ قال :

كان الشعبيّ عامرُ بنُ شَراحيل زوجَ أختِ أعشى هَمدان ، وكان أعشى هَمدان زوجَ أختِ الشعبيّ ؛ فأتاه أعشى همدان يوماً ، وكان أحدَ القُرّاء للقرآن ، فقال له : إني رأيت كأني أدخلت بيتاً فيه حِنطة وشعير ، وقيل لي : خذ أيّهما شئتَ ، فأخذتُ الشَّعير ؛ فقال : إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآن وقراءته وقلت الشعر ؛ فكان كما قال .

## أسر في الديلم فأحبته ابنة الامير وهربت معه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العنزيّ عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كُناسة ، قال العنزي وحدّثني مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة والأصمعي قالا ، وافق روايتهم الهيثمُ بن عديّ عن حمّاد الراوية قال :

كان أعشى همدان أبو المصبّح ممن أغزاه الحجّاجُ بلدَ الدَّيلم ونواحيَ دَستبى[١] ، فأُسِر ، فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم مدّة . ثم إن بنتاً للعلج الذي أسره هَوِيَتْه ، وصارت اليه ليلاً فمكّنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمانيَ مرّات ؛ فقالت له الديلميةُ : يا معشر المسلمين ، أهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال لها : هكذا نفعل كلّنا ؛ فقالت له : بهذا العمل نُصرتم ؛ أفرأيتَ إن خلّصتك ، أتصطفيني لنفسك ؟ فقال لها نعم ، وعاهدها . فلما كان الليلُ حلّت قيودَه وأخذت به طُرُقاً تعرفها حتى خلّصته وهربتْ معه . فقال شاعر من أسرى المسلمين :

فمن كان يَفديه مِن الأسر مالُه فهَمْدانُ تَفديها الغداةَ أيورُها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم :

---

(١) دستبى : كورة كانت مقسومة بين الري وهمذان .

# صوت

لمن الظّعائنُ سيرُهنّ تزَحُّفُ[١] عَوْمَ السَّفين إذا تقاعس مِجذَفُ
مرّتْ بذي خُشُبٍ[٢] كأنّ حُمولَها نَخلٌ بيثرِبَ طَلْعُه مُتضعِّفُ

— غنّى في هذين البيتين أحمد النّصْبي ، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ . وفيها لمحمد الزّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو — :

عُولِينَ ديباجاً وفاخرَ سُندسٍ وبخزّ أكسية العراق تُحفَّفُ
وغدتْ بهم يومَ الفراق عَرامِسٌ[٣] فُتْلُ المرافق بالهوادج دُلَّفُ[٤]
بان الخليط وفاتني برحيله خَوْدٌ إذا ذُكرت لقلبك يُشغَفُ
تجلو بمِسْواكِ الأراكِ مُنظَّماً عَذْباً إذا ضحكتْ تهلّلَ يَنطِفُ
وكأنّ ريقتَها على عَلَل الكرى عَسلٌ مصفًّى في القِلال وقَرْقَفُ[٥]
وكأنما نظرتْ بعينيْ ظبيةٍ تحنو على خِشف لها وتَعطّفُ
وإذا تنوء[٦] الى القيام تدافعتْ مثلَ النّزيف[٧] ينوء ثُمّتَ يَضعُفُ
ثَقُلتْ روادفُها ومال بخصرها كَفَلٌ كما مال النّقا المتقصّفُ
ولها ذراعا بَكرةٍ رحبيّةٍ ولها بَنانٌ بالخضاب مُطرَّفُ[٨]

(١) التزحف : الاضطراب الشديد .
(٢) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .
(٣) العرامس : جمع عرمس وهي الناقة الصلبة .
(٤) دلف : جمع دالف وهو الماشي بالحمل الثقيل مقارباً للخطو .
(٥) القلال : جمع قلة وهي الجرة العظيمة او عامة ، والقرقف : الخمر .
(٦) تنوء : تنهض بجهد ومشقة .
(٧) النزيف : الذي سال دمه حتى يفرط فيضعف .
(٨) طرّفت المرأة بنانها : خضبت أطراف أصابعها بالحناء .

وعوارضٌ مصقولةٌ وترائبٌ بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكة مُخطَفُ[1]
ولها بَهاءٌ في النساء وبَهجةٌ وبها تَخلُّ الشمسُ حين تُشرِّفُ
تلك التي كانت هوايَ وحاجتي لو أنَّ داراً بالأحبَّة تُسعِفُ
وإذا تُصِبْكَ من الحوادث نكبةٌ فاصبر فكل مصيبةٍ ستكشَّفُ
ولئن بكيتُ من الفراق صَبابةً إنّ الكبيرَ إذا بكى ليُعَنَّفُ
عجباً من الأيام كيف تصرَّفتْ والدارُ تدنو مرّةً وتقذَّفُ
أصبحتُ رَهناً للعُداة مكبَّلاً أمسي وأصبح في الأداهم أرسُفُ
بين القليسم فالقيول فخامن فاللهزمين ومضجعي مُتكنَّفُ

— هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنَّفته الهموم بها —

لِجبال ويمة ما تزال مُنيفةً يا ليت أنّ جبال ويمة تُنسَفُ

— ويمة وشلبة : ناحيتان من نواحي الريّ —

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جَذلانَ آبى أن أضام وآنفُ
واستنكرتْ ساقي الوَثاقَ وساعدي وأنا امرؤٌ بادِي الأشاجع أعجَفُ[2]
ولقد تُضرّسني الحروبُ وإنني أُلفى بكلّ مخافة أتعسَّفُ
أتسربل الليلَ البهيمَ وأسترِي في الخَبْت إذ لا يسترُونَ وأوجِفُ
ما إن أزال مقنَّعاً أو حاسراً سَلَفَ[3] الكتيبة والكتيبةُ وُقَّفُ
فأصابني قومٌ فكنتُ أُصيبهم فالآن أصبر للزمان وأعرفُ
إني لطلّابُ التِّراتِ مطلَّبٌ وبكل أسباب المنيَّة أشرِفُ
باقٍ على الحِدْثان غيرُ مكذَّبٍ لا كاسفٌ بالي ولا متأسِّفُ
إن نلتُ لم أفرح بشيءٍ نِلتُه وإذا سُبقتُ به فلا أتلهَّفُ

---

(١) مخطف : ضامر .

(٢) الأشاجع : أصول الاصابع او عروق الكف . وأعجف : قليل اللحم .

(٣) السلف : المتقدِّم .

إني لأحمي في المضيق فوارسي وأكرّ خلف المستضاف[1] وأعطف
وأشدّ إذ يكبو الجبان وأصطلي حرّ الأسنّة والأسنّة ترعف

## صوت

فلئن أصابتني الحروبُ فربّما أدعى إذا منع الرّدافُ فأردِفُ
ولربّما يروى بكفّي لهذمٌ ماض ومطّرد الكعوب مثقّفُ[2]
وأغير غاراتٍ وأشهد مشهداً قلبُ الجبان به يطير ويرجفُ
وأرى مغانم لو أشاء حويتها فيصدّني عنها غنًى وتعفّفُ

– غنّى في هذه الأبيات دحمانُ، ولحنه ثقيل أوّلُ بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميّ: فيها لمالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى، ووافقه في هذا ابن المكيّ –

قالوا جميعاً:

**خرج مع جيش الحجاج الى مكران فمرض وقال شعراً:**

ثم ضُرب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة الى مُكران[3]، فأخرجه الحجّاج معهم، فخرج اليها وطال مُقامه بها ومرِض، فاجتواها وقال في ذلك – وأنشدني بعض هذه القصيدة اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ –:

طلبتَ الصِّبا إذ علا المَكبَرُ وشاب القَذالُ[4] وما تُقصِرُ
وبان الشبابُ ولذاته ومثلك في الجهل لا يُعذَرُ

(١) المستضاف: من يفزع اليه غيره ويلتجئ به، يريد به الكميّ الشجاع.

(٢) مطرد الكعوب: الرمح، واطراد كعوبه: تتابعها. والمثقف: المقوّم المسوّى.

(٣) مكران: ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى وهي بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند في شرقيها.

(٤) القذال: جماع مؤخر الرأس، وقيل: ما بين نقرة القفا الى الأذن.

وقال العواذل هل ينتهي  فيَقْدَعَه[١] الشيبُ أو يُقصِرُ
وفي أربعينَ توفّيتُها  وعَشرٍ مضتْ ليَ مُستبصَر
وموعظةٌ لامرئٍ حازمٍ  إذا كان يسمعُ أو يُبصر
فلا تأسفنَّ على ما مضى  ولا يَحزُننَّك ما يُدبِر
فإنَّ الحوادثَ تُبلي الفتى  وإنَّ الزمانَ به يعثُر
فيَوماً يُساء بما نابَه  ويوماً يُسَرّ فيَستبشر
ومن كلِّ ذلك يَلقى الفتى  ويُمنى له منه ما يُقدَر
كأنّيَ لم أرتَحِلْ جسرةً  ولم أُجفِها بعد ما تضمُر[٢]
فأُجشِمَها كلَّ ديمومةٍ[٣]  ويَعرفُها البلدُ المُقفِر
ولم أشهدِ البأسَ يومَ الوغى  عليّ المُفاضةُ والمِغفَر[٤]
ولم أخرِق الصفَّ حتى تَميل  دارعةُ[٥] القومِ والحُسَّر
وتحتيَ جرداءُ خيفانةٌ  من الخيل أو سابحٌ مُجفَر[٦]
أطاعن بالرمح حتى اللّبا  نُ[٧] يَجري به العَلَق الأحمر
وما كنتُ في الحرب إذ شمّرت  كمَنْ لا يُذيب ولا يُختِر[٨]
ولكنّني كنتُ ذا مِرّةٍ  عَطوفاً إذا هتفَ المَحجِر[٩]

(١) يقدعه : يكفه .

(٢) ارتحل الرجل البعير : شد عليه الرحل . والجسرة : الناقة العظيمة الطويلة . وأجفاها : أتعبها ولم يدعها تأكل ولا علفها قبل ذلك، وذلك اذا ساقها سوقاً شديداً .

(٣) الديمومة : الفلاة الواسعة .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والمغفر : زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به .

(٥) دارعة القوم : الفرقة اللابسة الدروع .

(٦) الجرداء : القصيرة الشعر . والخيفانة : السريعة . والمجفر : الواسع الجفرة أي الوسط .

(٧) اللبان : الصدر أو وسطه .

(٨) لا يذيب ولا يختر : أي متردد متحير .

(٩) المحجر : لعله يريد به هنا ما حول القرية .

أُجيبُ الصَّريخَ إذا ما دعا وعند الهياج أنا المِسعَرُ[١]
فإن أمسِ قد لاح في المَشيبُ أمَّ البنين، فقد أذكُرُ
رخاءً منَ العيش كُنّا بـه إذِ الدهرُ خالٍ لنا مُصحِرُ[٢]
وإذ أنا في عُنفوان الشبا بِ يُعجِبُني اللَّهوُ والسَّمَرُ
أصيد الحِسانَ ويَصطَدنني وتُعجِبُني الكاعبُ المُعصِرُ[٣]
وبيضاءَ مثلُ مَهاة الكثيبِ لا عَيبَ فيها لمن ينظُرُ
كأنَّ مُقلَّدَها إذ بدا به الدُّرُّ والشَّذرُ[٤] والجوهرُ
مُقلَّدُ أدماءَ نَجديَّةٍ يَعِنُّ لها شادِنٌ أحوَرُ[٥]
كأنَّ جَنَى النحلِ والزَّنجبيلَ والفارسيَّةَ[٦] إذ تُعصَرُ
يُصَبُّ على بَرْدِ أنيابها مُخالِطُه المِسكُ والعنبرُ
إذا انصرفَتْ وتلوَّتْ بها رِقاقُ المجاسِدِ[٧] والمِئزرُ
وغَصَّ السِّوارُ وجال الوِشاحُ على عُكَنٍ[٨] خَصرُها مُضمَرُ
وضاق عن الساق خَلخالُها فكاد مُخدَّمُها يَندُرُ[٩]
فَتورُ القيامِ رخيمُ الكلا مِ يُفزِعُها الصوتُ إذ تُزجَرُ
وتُنمى الى حَسَبٍ شامخٍ فليستْ تُكذَّبُ إذ تَفخَرُ
فتلك التي شَفَّني حبُّها وحمَّلني فوق ما أقدِرُ

---

(١) المسعر : موقد نار الحرب كأنه آلة في إيقادها .

(٢) المصحر : المتسع الواضح المنكشف .

(٣) المعصر من النساء : التي بلغت شبابها أو أدركت .

(٤) الشذر : اللؤلؤ الصغير .

(٥) الأدماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية .

(٦) الفارسية : الخمر .

(٧) المجاسد : الأثواب التي تلي البدن .

(٨) العكن : جمع عكنة، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً .

(٩) المخدم : موضع الخلخال .

فلا تعذِلانيَ في حبّهـا فإنّي بمعـذرةٍ أجدَر

— ومن ها هنا رواية اليزيدي —

وقُولا لذي طَرب عاشقٍ: أشطّ المزارُ بمن تذكُرُ؟
بكوفيَّة أصلُهـا بالفُرا ت تبدو هنالـك أو تَحضُر[1]
وأنت تسـير الى مُكّران فقد شحَط الوِردُ والمَصْدَر
ولم تكُ من حاجتي مُكّران ولا الغزوُ فيهـا ولا المَتجَر
وخُبّرتُ عنهـا ولم آتها فمـا زلتُ من ذكرها أذعَر
بأنّ الكثيرَ بهـا جائعٌ وأنّ القليـل بهـا مُقتِر
وأنّ لِحَى الناس من حَرّها تطـول فتُجلَم[2] أو تُضفَر
ويزْعم مَن جاءها قبلَنـا بأنّا سَنَسهَم[3] أو نُنحـرَ
أعـوذ بربّي من المَخزيا ت فيا أُسِرّ ومـا أجهَر
وحُدّثت أنْ ما لنا رَجعةٌ سنينَ ومن بعدهـا أشهر
الى ذاك مـا شاب أبناؤنا وبادَ الإخـلّاء والمَعْشَر
وما كان بي من نشاطٍ لهـا وإنّي لذو عُـدّة مُوسِر
ولكنْ بُعثتُ لهـا كارهاً وقيـل انطلق كالذي يُؤمر
فكان النَّجاءُ[4] ولم ألتفت اليهمْ وشرّهمُ منكر
هو السيف جُرّد من غمـده فليس عن السيف مستأخَر
وكم من أخٍ ليَ مستأنِس يَظَلّ به الدمـعُ يَستحسر
يودّعني وانتحتْ عبرةٌ له كالجداول أو أغزر

---

(١) بدا: أقام بالبادية. وحضر: أقام بالحضر.

(٢) تجلم: تقطع بالجلم، وهو المقص.

(٣) سهم الرجل سهوماً وسهومة: تغير لونه وبدنه مع هزال ويبس.

(٤) النجاء: السرعة في السير.

فلستُ بلاقيه من بعدهـا يدَ الدهر[١] ما هبّت الصَّرْصَرُ
وقد قيل إنكم عابرو ن بحراً لها لم يكن يُعبَرُ
الى السّند والهند في أرضهم همُ الجنّ لكنّهم أنكر
وما رام غزواً لها قبلنا أكابرُ عادٍ ولا حِمْيَرُ
ولا رام سابورُ غزواً لها ولا الشيخُ كِسرى ولا قيصر
ومن دونها مَعبَرٌ واسعٌ وأجرٌ عظيم لمن يؤجَر

**قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي :**

وذكر محمد بن صالح بن النّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عنه أبيه :

ان أعشى همدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرقاء الرّياحيّ ودَستبى[٢]، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسهم، فلما قدم خالدٌ من مَغزاه خرج جواريه يتلقّينه وفيهنّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدر عنده، فجعل الناسُ يَمرّون عليها الى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النُّعاس؛ فقالت أمُّ ولد خالد بنِ عتّاب لجواريها : إن امرأة خالد لَتُفاخرني بأبيها وعمّها وأخيها، وهل يزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش. وسمعها الأعشى فقال : مَن هذه؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جارية خالد؛ فضحك وقال لها : اليكِ عنّي يا لَكعاء؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُدريكِ ما فرسٌ جَرُورٌ[٣] وما يدريك ما حَمْل السّلاحِ
وما يدريكِ ما شيخٌ كبيرٌ عَداه الدهر عن سَنَن المِراحِ
فأُقسِمُ لو ركبتِ الوَرْدَ يوما وليلتَه الى وَضَح الصّباح

(١) يد الدهر : كناية عن الأبد.

(٢) انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٥ من هذا الجزء.

(٣) الفرس الجرور : الذي لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه.

إذاً لنظرتُ منكَ الى مكان كسَحْقِ البُرْدِ أو أثَرِ الجِراحِ

قال : فأصبحت الجاريةُ فدخلت الى خالد فشكت اليه الأعشى ؛ فقالت : والله ما تُكرَم، ولقد اجترِئَ عليكَ[2] ! فقال لها: وما ذاكِ ؟ فأخبرته أنها مرّت برجل في وجه الصبح، ووصفته له وأنه سبَّها؛ فقال : ذلك أعشى همدان ؛ فأيّ شيء قال لك ؟ فأنشدته الأبيات . فبَعث الى الأعشى، فلما دخل عليه قال له : ما تقول؟ هذه زَعمتْ أنك هجوتَها؛ فقال : أساءت سمعاً، إنما قلتُ :

مررتُ بنسوة متعطِّرات كضوء الصبح أو بَيض الأداحِي[3]
على شُقر البغال فَصِدن قلبي بحُسن الدَّلِّ والحَدَق المِلاحِ
فقلتُ مَنِ الظباءُ؛ فقلن سِربٌ بدا لك من ظِباء بَني رِياحِ

فقالت : لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبيات؛ فقال له خالد : أما إنها لولا أنها قد وَلَدتْ منّي لوهبتُها لك، ولكنّي أفتدي جنايتَها بمثل ثمنها، فدفعه اليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألّا تُعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرَط منك .

وذكر هذا الخبرَ العَنَزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرَها، ولم يأتِ به على هذا الشرح .

### خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي :

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعاً :

وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يَعِنيه إيّاه ويَعِدُه به : إن وُلِّيتُ عملاً

(١) السحق : الثوب البالي، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .

(٢) في ب، س : « .. ولقد اجترأ » .

(٣) الأداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .

كان لك ما دون الناس جميعاً، فمتى استُعمِلتُ فخذ خاتَمي واقضِ في أمور الناس كيف شئتَ . قال : فاستُعمل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل الى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع الى الكوفة وقال فيه :

تُمَنِّيني إمارَتَها تَميم وما أُمِّي بأمِّ بني تميم
وكان أبو سليمانٍ أخاً لي ولكنَّ الشِّراكَ[1] من الأديم
أتينا أصبهانَ فهزَّلتنا وكنَّا قبلَ ذلك في نعيمِ
أتذكرنا ومُرَّةَ إذ غزونا وأنتَ على بُغَيْلك ذي الوُشوم
ويركب رأسَه في كل وَحْلٍ ويعثُر في الطريق المستقيم
وليس عليك إلا طَيلسانٌ نَصيبيٌّ وإلا سَحقُ نِيم[2]
فقد أصبحتَ في خَزٍّ وقَزٍّ تَبَختر ما تَرى لك من حميم
وتحسب أن تلقَّاها زماناً كذبتَ وربِّ مكةَ والحطيم

— هذه رواية ابن النطَّاح، وزاد العَنَزيّ في روايته — :

وكانت أصبهانُ كخيرِ أرضٍ لمُغتَرِبٍ وصُعلوكٍ عديم
ولكنَّا أتيناها وفيها ذوو الأضغان والحقد القديم
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتني وجوهٌ ما تُخَبِّر عن كريم
وكان سفاهة منّي وجهلاً مَسيري لا أسير الى حميم
فلو كان ابنُ عتابٍ كريماً سما لرواية الأمر الجسيم
وكيف رجاء من غلبَتْ عليه تنائي الدارِ كالرَّحِم العقيم

قال ابنُ النطَّاح : فبعث اليه خالد : مَن مُرَّة هذا الذي أدعيتَ أني وأنت غزَوْنا معه على بغل ذي وُشوم؟ ومتى كان ذلك؟ ومتى رأيتَ عليَّ الطَّيلسان والنِّيم اللذين وصفتَها؟ فأرسل اليه : هذا كلام أردتُ وصفَك بظاهره، فأمَّا تفسيره،

(١) الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

(٢) النيم : الفرو، أو هو ثوب ينام فيه من القطيفة .

فإن مُرّةَ مَرارةُ ثمرةٍ ما غرستَ عندي من القبيح . والبغل المركَّبُ الذي ارتكبتَه مني لا يزال يعثُر بكَ في كل وَعْثٍ وجَدَد ووَعْر وسَهل . وأما الطَّيلسان فما ألبِسك إياه من العار والذمّ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميل فراجعتُه لك؛ فقال : لا، بل أراجع الجميلَ وتُراجعه ؛ فوصَله بمال عظيم وترضّاه . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

لما ولِي خالدُ بنُ عتّاب بن وَرقاء أصبهانَ، خرج اليه أعشى همدان، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة، فلم يَجد عنده ما يحبّ ؛ وأعطى خالدٌ الناس عطايا فجعله في أقلّها وفضّل عليه آلَ عُطارد ؛ فبلغه عنه أنه ذمّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه ؛ فقال يهجوه :

وما كنتُ ممن ألجأته خصاصةٌ ... اليك ولا ممن تَغُرّ المواعدُ
ولكنّها الأطماعُ وهي مُذِلّةٌ ... دنتْ بي وأنت النازح المتباعدُ
أتحبِسني في غير شيء وتارةً ... تلاحظني شَزْراً وأنفُك عاقِدُ
فإنك لا كابنَيْ فَزارة فاعلمنْ ... خُلِقتَ ولم يُشبِهما لك والدُ
ولا مُدرِكٌ ما قد خلا من نَداهما ... أبوكَ ولا حوضَيهما أنت واردُ
وإنك لو ساميتَ آلَ عُطارد ... لَبذّتك أعناقٌ لهم وسواعدُ
ومَأثرةٌ عاديّةٌ لن تنالَها ... وبيتٌ رفيع لم تخُنه القواعدُ
وهل أنت إلا ثعلبٌ في ديارهم ... تُشَلّ[1] – فتَعساً – أو يقودُك قائدُ
أرى خالداً يختال مشياً كأنه ... من الكبرياء نَهشَلٌ أو عُطارِدُ[2]
وما كان يَربُوع شبيهاً لدارمٍ ... وما عدَلَتْ شمسَ النهار الفَراقدُ

(١) تشل : تطرد .

(٢) نهشل وعطارد : قبيلتان من العرب ينتسبان الى دارم بن مالك بن حنظلة . وخالد — المقصود في الشعر هنا — من رياح ورياح من دارم .

## خرّض اهل الكوفة للقتال مع ابن الاشعث ضد الحجاج :

قالوا : ولما خرج ابنُ الأشعث على الحجّاج بن يوسف حشَد معه أهل الكوفة، فلم يَبقَ من وجوههم وقرّائهم أحدٌ له نَباهة إلا خرج معه لثِقَل وطأة الحجّاج عليهم . فكان عامر الشّعبيّ وأعشى هَمدان ممن خرج معه، وخرج أحمد النَّصْبي أبو أسامة الهَمداني المغنّي مع الأعشى لالفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرّض أهلَ الكوفة بأشعاره على القتال، وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه :

يأبى الإلهُ وعزةُ ابن محمد ... وجدودُ مُلك قبلَ آل ثمودِ
أن تأنسوا بمذمّمين، عروقُهم ... في الناس إن نُسبوا عروقُ عَبيدِ
كم من أبٍ لك كان يعقد تاجه ... بجبين أبلجَ مِقولٍ صِنديدِ
وإذا سألتَ : المجدُ أين محلّه ... فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٌ ... بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولودِ
ما قصّرتْ بكَ أن تنال مَدى العُلا ... أخلاقُ مَكرُمةٍ وإرثُ جدودِ
قَرْمٌ[1] اذا سامى القُرومَ ترى له ... أعراقَ مجدٍ طارفٍ وتَليدِ
وإذا دعا لعظيمةٍ حُشدتْ له ... هَمدان تحت لوائه المعقودِ
يمشون في حَلَق الحديد كأنهم ... أُسد الإباء سمعنَ زأرَ أسودِ
واذا دعوتَ بآل كِندة أجفلوا ... بكهول صدقٍ سيّد ومَسودِ
وشبابِ مأسدةٍ كأنّ سيوفَهم ... في كلّ مَلحمةٍ بروقُ رعودِ
ما إن ترى قيساً يقارب قيسكم ... في المَكرُمات ولا ترى كسعيدِ

وقال حَمّاد الراوية في خبره : كانت لأعشى هَمدان مع ابن الأشعث مواقفُ

---

(١) القرم : السيد العظيم .

محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة؛ وكان الأعشى من أخواله؛ لأنّ أمّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهمداني. قال: فلما صار ابن الأشعث الى سِجستانَ جَبى مالاً كثيراً، فسأله أعشى همدان أن يُعطيه منه زيادةً على عطائه فمنعه؛ فقال الأعشى في ذلك:

هل تعرف الدارَ عفا رسمُها ... بالحَضْر[١] فالروضةِ من آمِدِ[٢]
دار لخَوْدٍ طَفلةٍ رُودةٍ ... بانَتْ فأمسى حبُّها عامِدي[٣]
بيضاءَ مثلِ الشمس رَقْراقةٍ ... تبسِم عن ذي أُشُرٍ[٤] باردِ
لم يُخطِ قلبي سهمُها إذ رمتْ ... يا عجباً من سهمِها القاصدِ
يأيها القرْمُ الهجانُ[٥] الذي ... يَبطِش بطشَ الأسد اللابدِ
والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذي ... يُنمى الى الغائب والشاهدِ
كم قد أُسدِّي لك من مِدحةٍ ... تُروى مع الصادر والواردِ
وكم أجبنا لك من دَعوةٍ ... فاعرفْ فما العارفُ كالجاحدِ
نحن حَمَيناكَ وما تحتمي ... في الرَّوْع من مَثْنى ولا واحدِ
يومَ انتصرنا لك مِن عابدٍ ... ويومَ أنجيناك من خالدِ
ووقعةَ الرّيِّ التي نِلتَها ... بجحفلٍ من جَمْعنا عاقدِ
وكم لَقينا لك من واترٍ ... يصرِف نابَيْ حَنِقٍ حاردِ[٦]
ثم وَطِئناه بأقدامنا ... وكان مثلَ الحيّة الراصدِ
الى بلاءٍ حسنٍ قد مضى ... وأنتَ في ذلك كالزاهدِ

---

(١) الحضر: مدينة بإزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات.

(٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر.

(٣) الخود: المرأة الشابة ما لم تصر نصفاً.

(٤) الأشر: التحزيز الذي يكون في الاسنان، يكون خلقة ومصنوعاً.

(٥) الهجان: الخالص وخيار كل شيء.

(٦) صرف نابه وبنابه: حرقه فسمع له صوت. والحارد: الغاضب.

فاذكر أيادينا وآلاءنا بعودة من حلمك الراشد
ويوم الأهواز فلا تنسه ليس الثنا[١] والقول بالبائد
إنا لنرجوك كما نرتجي صوب الغمام المبرق الراعد
فانفح بكفيك وما ضمتا وافعل فعال السيد الماجد
ما لك لا تعطي وأنت امرؤ مثر من الطارف والتالد
تجبي سجستان وما حولها متكئاً في عيشك الراغد
لا تهب الدهر وأيامه وتجرد[٢] الأرض مع الجارد
إن يك مكروه تهجنا له وأنت في المعروف كالراقد
ثم ترى أنا سنرضى بذا كلا ورب الراكع الساجد
وحرمة البيت وأستاره ومن به من ناسك عابد
تلك لكم أمنية باطل وغفوة من حلم الراقد
ما أنا إن هاجك من بعدها هيج بآتيك ولا كابد
ولا إذا ناطوك[٣] في حلقة بحامل عنك ولا فاقد
فأعط ما أعطيته طيباً لا خير في المنكود والناكد[٤]
نحن ولدناك فلا تجفنا والله قد وصاك بالوالد
إن تك من كندة في بيتها فإن أخوالك من حاشد[٥]
شم العرانين وأهل الندى ومنتهى الضيفان والرائد
كم فيهم من فارس معلم وسائس للجيش أو قائد

---

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .

(٢) جرد الارض : جعلها جرداء .

(٣) ناطه : علقه .

(٤) المنكود : الذي يلح عليه في المسألة . والناكد : الملح .

(٥) حاشد : حي من همدان .

وراكبٍ للهولِ يجتابُه مثلَ شهابِ القَبَسِ الواقدِ
أو ملإٍ يُشفى بأحلامهم من سَفَه الجاهل والماردِ[1]
لم يجعل اللهُ بأحسابنا نقصاً وما الناقص كالزائدِ
وربَّ خالٍ لكَ، في قومه فرعٌ طويلُ الباعِ والساعدِ
يَحتضِر البأسَ وما يبتغي سوى إسار البَطَل الناجدِ
والطعنِ بالراية مستمكِناً في الصفِّ ذي العادية الناهدِ[2]
فأرتحْ لأخوالك واذكرْهمُ وأرحمهمُ للسَّلَف العائدِ
فإنَّ أخوالك لم يَبرحوا يُربُون بالرِّفد على الرّافدِ
لم يَبخلوا يوماً ولم يَجبُنوا في السَّلَف الغازي ولا القاعدِ
ورُبَّ خالٍ لكَ في قومه حمَّال أثقال لها واجدِ
مُعترفٍ للرزء في ماله والحقِّ للسائل والعامدِ

## مدح النعمان بن بشير عامل حمص :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزدي قال حدَّثني عمي عن العبَّاس بن هشام عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيي عن حمَّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ، وأخبرني عمي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ، وذكره العنزيّ عن أصحابه، قالوا جميعاً :

خرج أعشى همدان الى الشام في وِلاية مَروان بن الحكَم، فلم يَنَل فيها حظّاً؛ فجاء الى النعمان بن بشير وهو عامل على حِمص، فشكا اليه حاله؛ فكلَّم له النعمانُ بنُ بشير اليمانية وقال لهم : هذا شاعرُ اليمن ولسانُها، وأستاحهم له؛ فقالوا : نعم، يعطيه كلّ رجل منا دينارين مِن عطائه؛ فقال : لا، بل أعطوه

(١) المارد : العاتي والباغي.

(٢) الناهد : الأسد.

ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعجّلاً ؛ فقالوا : أعطِه إيّاه من بيت المال واحتسبها على كلّ رجل من عطائه ؛ ففعل النُّعمان — وكانوا عشرين ألفاً — فأعطاه عشرين ألفَ دينار وارتجعها منهم عند العَطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان :

ولم أرَ للحاجاتِ عنـد التماسها ... كنُعْمانَ نُعمانِ النَّـدى ابن بَشيرِ
إذا قال أوْفى ما يقول ولم يكن ... كمُدْلٍ الى الأقوام حبلَ غُرُورِ
متى أكفُرِ النعمانَ لم ألفَ شاكراً ... وما خيرُ من لا يقتدي بشكُورِ
فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازلٍ ... ثَوى ما ثَوى لم يَنقَلِبْ بنَقيرِ [١]

**شعره في حرب نصيبين :**

وقال الهيثم بن عديّ في خبره : حاصَرَ المُهلّبُ بن أبي صُفرة نَصيبينَ ، وفيها أبو قارب يَزيد بن أبي صَخر ومعه الخَشَبيّة [٢] ؛ فقال المهلّب : يأيها الناس ، لا يَهُولنّكم هؤلاء القومُ فإنما هم العَبيد بأيديها العِصيّ . فحمَـل عليهم المهلّبُ وأصحابُه فلَقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم . فدسّ المهلّبُ رجلاً من عبد القيس الى يزيد بن أبي صَخر ليغتاله ، وجعل له على ذلك جُعلاً سنياً — قال الهيثم : بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبلَ أن يمضيَ ووعده بمثلها إذا عاد — فاندسّ له العَبْديّ فأغتاله فقتله وقُتِل بعده . فقال أعشى همدان في ذلك :

يُسمَّوْن أصحابَ العِصيّ وما أرى ... مع القوم إلا المَشرفيّةَ مِن عَصاَ
ألا أيُّها اللّيثُ الذي جاء حاذِراً [٣] ... وألقى بنا جرمى الخيامَ وعرّصاَ
أتحسَبُ غزوَ الشام يوماً وحربَه ... كبِيضٍ يُنظِّمن الجُمانَ المفصّصاَ

(١) النقير : النكتة في ظهر النواة .

(٢) الخشبية : أتباع المختار بن ابي عبيد .

(٣) حاذراً : متأهباً مستعداً .

وسيرِكَ بالأهــواز إذ أنتَ آمِنٌ وشربِكَ ألبانَ الخلايا[١] المُقَرَّصَا
فأقسمتُ لا تَجبي لكَ الدهرَ درهماً نَصِيبون حتى تُبتَلى وتُمَحَّصَا
ولا أنتَ من أثوابِها الخضرِ لابسٌ ولكنْ خُشباناً شِداداً ومِشقَصا[٢]
فكم رَدَّ من ذي حاجةٍ لا ينالُها جُذَيع العَتيـكِ ردَّه اللهُ أبرَصَا
وشيَّد بنياناً وظاهَر كسوةً وطال جُذَيع بعد ما كان أوْقَصا

الأبيات التي كان فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من همدان يقال لها جَزْلة، هكذا رواه الكوفيّون، وهو الصحيح. وذكر الأصمعي أنها خَوْلة، هكذا رواه في شعر الأعشى.

**طلق زوجته أم الجلال وتزوّج غيرها :**

فذكر العنزيّ في أخبار الأعشى المتقدّم إسنادُها: أنها كانت عند الأعشى امرأةٌ من قومه يقال لها أمّ الجلال، فطالت مدتها معه وأبغضها، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جَزْلة – وقال الأصمعي: خولة – فقالت له: لا، حتى تُطلّق أمّ الجلال؛ فطلّقها؛ وقال في ذلك:

تقادَمَ وُدُّكِ أمَّ الجلالِ فطاشت نبالُكِ عند النِّضالِ
وطال لزومُكِ لي حِقبةً فرَثَّتْ قُوى الحبل بعد الوِصالِ
وكان الفؤاد بها مُعجَباً فقد أصبح اليوم عن ذاك سالي
صحاً لا مُسيئاً ولا ظالماً ولكنْ سَلا سَلْوةً في جمالِ
ورُضتِ خلائقَنا كلَّها ورُضنا خلائقَكم كلَّ حالِ
فأعيَيتِنا في الذي بيننا تَسُومِينَني كلَّ أمرٍ عُضالِ

---

(١) الخلايا: الإبل الخلاة للحلب، الواحدة خلية. والمقرّص: اللبن الذي يجعل في المقارس ليصير قارصاً أي حامضاً. والمقارس: الاوعية التي يقرّص فيها اللبن.

(٢) المشقص: نصل عريض، وقيل: سهم فيه ذلك يرمى به الوحش.

وقد تأمُرينَ بقطع الصديق وكان الصديقُ لنا غير قالي
وإتيانِ ما قد تجنَّبْتُه وليداً ولُمتُ عليه رجالي
أفاليومَ أركَبُه بعد ما علا الشَّيبُ مني صَميمَ القَذالِ[1]
لعمرُ أبيكِ لقد خِلتِني ضعيفَ القُوَى أو شديدَ المِحالِ
هلُمِّي أسألي نائلاً فانظُري أأحرِمُكِ الخيرَ عند السؤالِ
ألمْ تعلمي أنني مُعرِقٌ نماني الى المجد عمي وخالي
وأني إذا ساءني منزلٌ عزمتُ فأوشكتُ منه ارتحالي
فبعضَ العتاب، فلا تَهلكي فلا لكِ في ذاكِ خيرٌ ولا لي
فلما بدا ليَ منها البَدا ء صبَّحتُها بثلاثٍ عِجالِ
ثلاثاً خرَجنَ جميعاً بها تخلِّينها ذاتَ بيتٍ ومالِ
الى أهلها غيرَ مخلوعةٍ وما مَسَّها عندنا من نَكالِ
فأمستْ تحِنُّ حنينَ اللِّقا ح من جزَع إثرَ مَن لا يُبالي
فحِنّي حنينَكِ واستيقني بأنا اطَّرحناكِ ذاتَ الشمالِ
وأن لا رجوعَ فلا تُكذَبينَ ما حنَّت النِّيبُ إثرَ الفِصالِ
ولا تحسبيني بأني ندِمتُ كلَّا وخالقِنا ذي الجلالِ

فقالت له أمُّ الجلال: بئس والله بعلُ الحرّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت! ويحك! أعدَدْتَ طول الصحبة والحرمة ذنباً تسبّني وتهجوني به! ثم دعتْ عليه أن يُبغِضه الله الى زوجته التي اختارها، وفارقته. فلما انتقلت الى أهلها؛ وصارت جزلة اليه، ودخل بها لم يَحظَ عندها، ففَرِكَتْه[2] وتنكَّرت له واشتدَّ شغفُه بها؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها:

حَيِّيا جَزْلَةَ مني بالسَّلامِ دُرَّةَ البحرِ ومصباحَ الظلام

---

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس، أو هو ما بين نقرة القفا الى الأذن.

(٢) فركته: أبغضته.

لا تَصُدّي بعد وُدّ ثابتٍ وأسمعي يا أمَّ عيسى من كلامي
إنْ تدُومي لي فوَصلي دائمٌ أو تَهُمّي لي بهَجْر أو صِرامِ
أو تكوني مثلَ برقٍ خُلَّبٍ خادعٍ يلمع في عُرْض الغمامِ
أو كتخييلِ سَراب مُعْرِضٍ بفَلاة أو طُروقٍ في المنامِ
فأعلمي إن كنتِ لمّا تعلمي ومتى ما تفعلي ذاك تُلامي
بعد ما كان الذي كان فلا تُتبِعي الإحسانَ إلا بالتمامِ
لا تَناسيْ كلَّ ما أعطيتِني مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظامِ
وأذكري الوعدَ الذي واعدتِني ليلةَ النِّصف من الشهر الحرامِ
فلئن بَدّلتِ أو خستِ بنا وتجرّأتِ على أمّ صَمامِ (١)
لا تُبالِينَ إذاً مِن بعدها أبداً تركَ صلاةٍ أو صيامِ
راجعي الوصلَ ورُدّي نظرةً لا تَلِجّي في طِماح وأثامِ
وإذا أنكرتِ مني شيمةً ولقد يُنكر ما ليس بذامِ
فأذكريها لي أزُلْ عنها ولا تُسفِحي عينيكِ بالدمع السِّجامِ
وأرى حبلَكِ رَثّاً خَلقاً وحبالي جُدُداً غيرَ رِمامِ (٢)
عَجِبتْ جزلةُ مني أن رأتْ لِمّتي حُفّتْ بشَيب كالثَّغامِ (٣)
ورأت جسمي علاه كَبرةٌ وصروفَ الدهر قد أبلتْ عظامي
وَصليتُ الحربَ حتى تركتْ جسدي نِضواً كأشلاء اللِّجامِ (٤)
وهي بيضاءُ على مَنكِبها قَطَطٌ جَعْدٌ ومَيّالٌ سُخامِ (٥)
وإذا تضحك تُبدي حَبَباً كرُضاب المسك في الرّاح المُدامِ

---

(١) ام صمام : الغدر والحنث .

(٢) حبل رمام : بال .

(٣) الثغام : نبت يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض اذا يبس فيشبه به الشيب .

(٤) النضو : المهزول . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سيور .

(٥) القطط : الشعر القصير . والسخام : الشعر اللين الحسن .

كَمُلَتْ ما بين قَرْنٍ فإلى بموضعِ الخلخالِ منها والخِدامِ[1]
فأراها اليومَ لي قد أحدثتْ خُلُقاً ليس على العهدِ القُدامِ

أخبرني عمي قال حدّثنا محمد بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَري عن الهيثم بن عديّ عن مُجالد عن الشَّعبيّ :

أنه أتى البصرة أيام ابن الزبير ، فجلس في المسجد الى قوم من تميم فيهم الأحنفُ بن قيس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم ، الى أن قال قائل مِن أهل البصرة : وهل أهل الكوفة إلا خَوَلُنا ؟ استنقذناهم من عبيدهم ! (يعني الخوارج) . قال الشعبي : فهجس في صدري أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان :

أفخرتم أن قتلتمْ أعبُداً وهزمتمْ مرّةً آلَ عَزَلْ[2]
نحن سُقناهم اليكم عَنوةً وجمعنا أمرَكم بعد فشلْ
فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجَملْ
بين شيخٍ خاضبٍ عُثنونَه وفتًى أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلْ[3]
جاءنا يرفُل في سابغةٍ فذبحناه ضُحًى ذبحَ الحَملْ
وعَفونا فنَسِيتم عفوَنا وكفرتم نعمةَ اللهِ الأجلّْ

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : يأهل البصرة ، قد فخر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف ، فأحسنوا مجالسته .

---

(١) الخدام : الخلاخيل .

(٢) العزل : الاعتزال والتنحي . ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

(٣) العثنون : اللحية او ما فضل منها بعد العارضين . والرفل من الناس : الطويل الذيل .

**شعر له في هزيمة الزبير الخثعمي بجلولاء :**

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفي قال حدَّثنا العنزي قال حدَّثنا الرياشي عن أبي مُحلِّم[١] عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال :

بعث بِشرُ بن مروان الزبيرَ بنَ خُزَيمة الخثعمي الى الري ؛ فلقيه الخوارج بجَلُولاء[٢] ، فقتلوا جيشه وهزموه وأبادوا عسكره، وكان معه أعشى همدان ، فقال في ذلك :

أُمِرتْ خثعمُ على غير خيرٍ     ثم أوصاهمُ الأميرُ بسيرِ
أين ما كنتمُ تعيفون للنا     س وما تزجُرون من كل طيرِ
ضلّت الطيرُ عنكم بجلولا     ء وغرّتكمُ أماني الزُّبيرِ
قدرٌ ما أُتيح لي من فلسطيـ     ـنَ على فالجٍ[٣] ثقالٍ[٤] وعيرِ
خثعميٌّ مغصّص جرجانيّ     محلّ غزا مع ابن نميرِ

**مدح الاصمعي شعره وفضله :**

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أبو حاتم قال :

سألت الأصمعيَّ عن أعشى همدان فقال : هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر ؛ ثم قال لي : العجب من ابن دَأب حين يزعُم أن أعشى همدان قال :

من دعا لي غُزَيِّلي     أربحَ اللهُ تجارتَه

(١) هو أبو محلم الشيباني . واسمه محمد بن سعد، ويقال محمد بن هشام بن عوف السعدي .

(٢) جلولاء ( بالمد ) : طسوج ( ناحية ) من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ .

(٣) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة .

(٤) الثقال : الثقيل .

ثم قال : سبحان الله ! أمثلُ هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم اسمَ الله عزّ وجلّ ويرفع تجارته وهو نصب . ثم قال لي خلفٌ الأحمر : والله لقد طمِع ابنُ دأب في الخلافة حين ظنّ أن هذا يُقبل منه وأن له من المحل مثلَ أن يجوّز مثلَ هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضاً إن قوله :

من دعا لي غزيّلي

لا يجوز ، إنما هو : من دعا لغزيّلي ، ومن دعا لبعير ضال .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ومحمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال :

أملق أعشى همدان فأتى خالدَ بنَ عتّاب بن ورقاء فأنشده :

رأيتُ ثناء الناس بالقول طيباً ... عليك وقالوا ماجدٌ وابن ماجدِ
بني الحارث السامين للمجد ، إنكم ... بنيتم بناء ذكْرُه غيرُ بائدِ
هنيئاً لِما أعطاكمُ الله واعلموا ... بأني سأُطري خالداً في القصائدِ
فإن يك عتّابٌ مضى لسبيله ... فما مات من يبقى له مثلُ خالدِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان قال :

قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ — ودخل عليه — : أنشدْني يا سابقُ شيئاً من شعر تذكّرني به ؛ فقال : أو خيراً من شعري ؟ فقال : هات ؛ قال قال أعشى همدان :

وبينا المرء أمسى ناعماً جذِلا ... في أهله معجباً بالعيش ذا أنَقِ[1]

(١) الأنق : الفرح والسرور .

غرًّاء أتيح له من حَينه عرض فما تلبَّث حتى مات كالصَّعِقِ
ثُمّتَ أضحى ضُحَى من غبِّ ثالثة مقنَّعاً غيرَ ذي رُوح ولا رَمَقِ
يُبكى عليه وأدنوه لمظلمة تُعلى جوانبُها بالتُّرب والفِلَقِ
فما تزوّد مما كان يجمعه إلا حَنوطاً[٢] وما واراه من خِرَقِ
وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشبّ له وقلّ ذلك من زادٍ لمُنطلِقِ

قال: فبكى عمر حتى أخضلَ لحيته.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الدّيناريّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال:

سأل أعشى همدان شَجَرةَ بن سليمان العَبسيّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه:

لقد كنتَ خيّاطاً فأصبحتَ فارساً تُعَدّ إذا عُدّ الفوارس من مُضَرْ
فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقل كذا وبيِّن لي الجرحَ الذي كان قد دَثَرْ
وإصبعُكَ الوسطى عليه شهيدةٌ وما ذاك إلا وَخزُها الثوبَ بالإبَرْ

قال وكان يقال: إن شجرة كان خيّاطاً، وقد كان ولي للحجّاج بعضَ أعمال السواد. فلما قدم على الحجّاج قال له: يا شجرة، أرني إصبعك أنظرْ اليها؛ قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر الى صِفَة الأعشى؛ فخجل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مُرِ المعطِيَ أن يُعطيَ الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا أتاك امرؤٌ ذو حَسَب ولسان فاشترِ عِرضَك منه.

**أسره الحجاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثنا

(٢) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة.

أحمد بن عمرو الحنفيّ عن جماعة — قال المبرّد : أحسَب أن أحدهم مؤرِّخ بن عمرو السَّدُوسيّ — قالوا :

لما أُتِيَ الحجّاجُ بن يوسف الثقفيّ بأعشى همدان أسيراً ، قال : الحمد لله الذي أمكَن منك ، ألستَ القائل :

لمّا سَفَوْنا[1] للكفور الفتّانْ ... بالسيّد الغِطريف عبد الرحمنْ
سار بجمع كالقَطا[2] من قحطانْ ... ومن مَعَدّ قد أتى ابن عدنانْ
أمكن ربّي من ثقيف همدانْ ... يوماً الى الليل يُسلّي ما كانْ
إنّ ثقيفاً منهم الكذّابانْ ... كذّابُها الماضي وكذّابٌ ثانْ

أولستَ القائل :

يابنَ الأشجّ[3] قَريعِ كِنـ ... ـدةَ لا أبالي فيك عَتْبا
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ ... ـس وأنت أعلى الناس كعبا
نُبّئتُ حجّاجَ بن يو ... سف خرَّ مِن زَلَقٍ فتبّا
فانهض فُديتَ لعلّه ... يجلو بك الرحمنُ كَرْبا
وابعث عطيّةَ في الخيو ... ل يَكُبّهنّ عليه كَبّا

كلّا يا عدوّ الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زَلَقٍ فتبّ، وحار وانكبّ، وما لقِي ما أحبّ؛ ورفع بها صوته وأربدّ وجهُهُ واهتزّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمّتْه نفسُه وارتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير :

أبى اللهُ إلا أن يتمم نورَه ... ويُطفِىء نارَ الفاسقين فتخمُدا

---

(١) سفا : خف وأسرع .

(٢) القطا : « كالدبى » والدبى : الجراد .

(٣) الأشج : هو الاشعث بن قيس الكندي جد عبد الرحمن بن محمد المعني في هذا الشعر . والقريع : السيد .

ويُـنزل ذُلّا بالعراق وأهلِـه　　كما نقضوا العهدَ الوَثيق المؤكّدا
وما لبث الحجاجُ أن سَلّ سيفَه　　علينـا فولّى جمعُنـا وتبدّدا
وما زاحف الحجـاجُ إلا رأيتَه　　حُساماً مُلقًّى للحروب مُعوّدا
فكيف رأيتَ الله فـرّق جمعَهم　　ومزّقهم عُرضَ البلاد وشرّدا
بما نكثوا من بَيعة بعـد بيعة　　إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا[1] بها غدا
وما أحدثوا من بِدعة وعَظيمة　　من القول لم تصعَد الى الله مَصعَدا
ولمّا دلَفنا لابن يوسف ضِلّـة[2]　　وأبرق منـا العارضان وأرعدا
قطعنا اليــه الخندقين وإنمـا　　قطعنا وأفضينا الى الموت مُرصدا[3]
فصادَمَنا الحجاجُ دون صفوفنـا　　كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجُنـد أمير المؤمنين وخيلِـه　　وسلطانه أمسى مُعـاناً مؤيّدا
ليهنِئْ أميرَ المؤمنين ظهورُه　　على أمة كانوا بُغـاةً وحُسّدا
وجدنا بني مروان خيرَ أئمـة　　وأعظمَ هذا الخلق حلماً وسُؤددا
وخيرَ قريش في قريش أرومـةً　　وأكرمَهم إلا النبيَّ محمـدا
إذا ما تدبّرنا عـواقبَ أمرنا　　وجدنا أمير المؤمـنين المسدّدا
سيغلِب قوماً غالبـوا اللهَ جهرةً　　وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يُضِلّ الله من كان قلبُـه　　ضعيفاً ومن والى النفاقَ وألحدا
فقد تركوا الأموال والأهل خلفَهم　　وبيضاً عليهن الجلابيب خُرّدا
يناديهم مستعـبراتٍ اليهمُ　　ويُذرين دمعاً في الخدود وإثمِدا
وإلا تَناولْهنّ منـك برحمة　　يكنّ سبايا والبُعولةُ أعبُدا
تَعطّفْ أميرَ المؤمـنين عليهمُ　　فقد تركوا أمرَ السفاهة والرّدى
لعلهمُ أن يُحدثوا العـامَ توبةً　　وتعرفَ نُصحاً منهمُ وتودّدا
لقد شَمْتَ يابن الأشعث العامَ مصرَنا　　فظلّوا وما لاقوا من الطير أسعُدا

(١) خاس : غدر ونكث .
(٢) الضلة ( بالكسر ) : ضد الهدي .
(٣) مرصدا : مترقبا .

كما شاءمَ اللهُ النُّجيرَ[١] وأهلَه بجَدِّك مَن قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير، خَلِّ سبيلَه ؛ فقال : أتظنون أنه أراد المدح ! لا والله ! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرّض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : أظننت يا عدوّ الله أنك تخدعني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجوَ ! ألستَ القائل ! ويحك ! :

وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه فالمجدُ بين محمدٍ وسعيدِ
بين الأغرِّ وبين قيسٍ باذخٌ بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولودِ

والله لا تبخبخ بعدها أبداً . أولست القائل :

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم فاليوم أصبِر للزمان وأعرف !

كذبتَ والله، ما كنت صبوراً ولا عروفاً . ثم قلت بعده :

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ فاصبرْ فكل غَيابة ستكشَّف

أمَا والله لتكونَنَّ نكبة لا تنكشف غَيابتُها عنك أبداً ! يا حَرَسيُّ، اضربْ عنقه؛ فضرب عنقه .

وذكر مؤرِّج السَّدُوسيّ أن الأعشى كان شديدَ التحريض على الحجّاج في تلك الحروب، فجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث والناس يَرَوْنَه، ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلكم أنكرتم ما صنعتُ ! قالوا : أوَليس هذا موضعَ نَكير ؟ قال : لا، كلُّكم قد سَلَح في سرجه ودِرْعه خوفاً وفَرَقاً، ولكنكم سترتموه وأظهرتُه؛ فحمِيَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم الى الليل، وشاعت فيهم

(١) النجير : حصن باليمن قرب حضرموت .

الجراح والقتلى، وانهزم أهل الشام يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نَكأتهم[1] الحرب؛ وجاء مَدَد من أهل الشام، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتل ابن الأشعث. وقد حُكِيَت هذه الحكاية عن أبي كَلَدة اليَشكُري أنه فعلها في هذه الوقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني في أخبار أبي كَلَدة، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب.

(١) نكأ (بالهمز): لغة في نكي بمعنى أثخن وأكثر الجرح والقتل.

# أخبار احمد النصبي ونسبه

**نسبه :**

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنْصاب . واولُ من غنّى بها وعنه أُخِذ النّصب[1] في الغناء هو أحمد بن أُسامة الَهمداني، من رَهط الأعشى الأدْنيْن . ولم أَجِد نسبَه متَّصلاً فأذكره . وكان يغنّي بالطُّنبور في الإسلام . وكان، فيما يُقال، ينادم عُبَيد الله بن زياد سراً ويغنّيه . وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يَلحقها أَحد من الطُّنبوريين ولا كثير ممن يغنّي بالعود .

**ما ذكره جحظة عنه :**

وذكره جَحظةُ في كتاب الطُّنبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبُه — عفا الله عنا وعنه — في هذا الكتاب أن يَثلِب جميعَ من ذكره من أهل صناعته بأقبح ِ ما قَدَر عليه، وكان يجب عليه ضدُّ هذا، لأن من انتسب الى صناعة، ثم ذكر متقدِّمي أهلها، كان الأجلَ به أن يذكر محاسنَ أخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أن يثلِبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النَّصبي، وبه صَدَّر كتابَه فقال : أحمد النّصبي أولُ من غنى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها؛ ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب .

(١) النصب : ضرب من الغناء أرق من الحداء .

### كان بخيلاً مرابيا :

وحدّثني جماعةٌ من الكوفيين أنه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره، وأنه كان يُقرِض الناسَ بالرِّبا، وأنه اغتصّ في دعوة دُعي اليها بفالوذَجةٍ حارّة فبلعها فجمعتْ أحشاءه فمات. وهذا كلّه باطل. أما الغناء فله منه صنعة في الثقيل الاول وخفيف الثقيل والثقيل الثاني، ليس لكثيرٍ أحدٍ مثلُها. منها الصوت الذي تقدّم ذكره وهو قوله :

حيّيا خولةَ منّي بالسلامِ

ومنها :

سَلَبَتَ الجواري حَليهنّ فلم تَدَعْ ‌ ‌ سِواراً ولا طَوقاً على النحر مُذهَبا

وهو من الثقيل الثاني، والشعر للعُدَيْل بن الفَرْخ، وقد ذكرتُ ذلك في أخباره.

ومنها :

يأيها القلبُ المطيعُ الهوى ‌ ‌ أنى اعتراكَ الطربُ النازحُ

وهو أيضاً من الثقيل الثاني، وأصوات كثيرةٌ نادرة تدل على تقدمه.

وأما ما وَصَفه من بخله وقَرْضه للناس بالرِّبا وموته من فالوذجة حارة أكلها، فلا أدري مَن مِنَ الكوفيين حدّثه بهذا الحديث، ليس يخلو من أن يكون كاذباً، أو نَحَل هو هذه الحكايةَ ووضعها هنا، لأنّ أحمد النَّصي خرج مع أعشى همدان وكان قرابتَه وإلفَه في عسكر ابن الأشعث، فقُتل فيمن قُتل. رَوى ذلك الثِّقات من أهل الكوفة، والعلم بأخبار الناس، وذلك يُذكر في جملة أخباره.

### كان احمد النصي موافيا لأعشى همدان مواصلا له :

أخبرنا محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيي قالا حدّثنا حَمّاد بن

إسحاق عن أبيه، وذكره العَنَزي في أخبار أعشى هَمدان المذكورة عنه عن رجاله المُسمَّين قال:

كان أحمد النَّصبي مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له، فأكثرُ غنائــه في أشعاره مثل صنعته في شعره:

حيِّيـا خولةَ منّي بالسلامِ

و لمن الظُّعائن سيرُهن تزحُّفُ

و يأيها القلب المطيعُ الهوى

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه. قـــال: وكان سبب قوله الشعرَ في سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنبري — وكان منزلُ سَليم ساباطَ[1] المدائن — أن أعشى هَمدان وأحمدَ النَّصبيَّ خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا عــلى سليم فأحسـن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلوفةٍ[2] وقَضيم[3]، وأقسم عليهما أن ينتقلا الى منزله ففعــلا، فعرض عليهما الشراب فأنعَما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان؛ فقــال أحمد النَّصبي للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أغنّي فيه؛ فقال الأعشى يمدحه:

يأيها القلبُ المطيع الهوى — أنّى اعتراكَ الطَّرَبُ النازحُ
تذكُر جُملًا فإذا مـا نأتْ — طار شَعاعاً قلبُـك الطامح
هَلّا تناهيتَ وكنتَ امرأً — يزجُرك المُرشد والنـاصح
ما لك لا تترُكُ جهلَ الصِبا — وقد علاك الشَّمَط الواضح
فصار من ينهـاك عن حبّها — لم تَرَ إلا أنه كاشح
يا جُمل ما حُبّي لكم زائلٌ — عنّي ولا عن كَبِدي نازح

(١) ساباط: موضع بالمدائن لكسرى أبرويز.

(٢) العلوفة: جمع علف، وهو ما تطعمه الدواب.

(٣) القضيم: شعير الدابة.

حُمِّلتَ وُدًّا لكمُ خالصاً جِدًّا اذا ما هزَلَ المازحُ
ثم لقد طال طِلابِيكم أسعى وخيرُ العمل النّاجح
إني توسّمت أمرأً ماجداً يصدُقُ في مِدْحته المادح
ذؤابةَ العنبر فأخترته والمرء قد يُنعِشُه الصالح
أبلَجَ بُهلولاً[1] وظنّي به أنّ ثنائي عنده رابح
سَلِيمُ ما أنتَ بِنِكْسٍ[2] ولا ذمّك لي غادٍ ولا رائح
أعطيتَ وُدّي وثنائي معاً وخَلَّةً ميزانُها راجح
أرعاك بالغيب وأهوى لك الرّشد وجَيْبي[3] فاعلمنْ ناصح
إني لِمَن سالمتَ سِلمٌ ومن عاديتَ أمسي وله ناطح
في الرأس منه وعلى أنفه من نَقَماتي مِيسَمٌ لائح
نِعْم فتى الحيّ إذا ليلةٌ لم يُورِ فيها زَندَهُ القادح
وراح بالشَّوْل[4] الى أهلها مغبرَّةً أذقانُها كالح[5]
وَهبَّت الريحُ شآميةً فانجحَرَ القابسُ والنابح
قد علم الحيّ إذا أمحلوا أنك رَفَّادٌ لهم مانح
في الليلة القالي قِراها التي لا غابِقٌ فيها ولا صابح
فالضيف معروفٌ له حقُّه له على أبوابكم فاتح
والخيلُ قد تعلم يومَ الوغى أنك من جَمرتها ناضح[6]

قال : فغنّى أحمد النّصبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةٌ لسَليم في السطح ،

---

(١) البهلول : السيد الجامع لكل خير .

(٢) النكس ( بالكسر ) : الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم.

(٣) الجيب : القلب والصدر .

(٤) الشول : جمع شائلة . والشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .

(٥) الكالح : الامر الشديد .

(٦) الجمرة : القبيلة فيها الف فارس . والناضح : المدافع الرامي .

فسمعت الغناء، فنزلتْ الى مولاها وقالت : إني سمعت من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال : الشعر لهذا ، وهو أبو المصبّح أعشى همدان ، والغناء لي ، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهمدانيّ ؛ فانكبّ على رأس أعشى همدان فقبله وقال : كتمتماني أنفسكما ، وكِدتما أن تفارقاني ولم أعرفكما، ولم أعلم خبركما ، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين، وقال : خلّفا عندي ما كان من دوابكما ، وارجعا من مَغزاكما إليّ . فمضيا الى مغزاهما ، فأقاما حيناً ثم انصرفا ، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى : إني أرى عجباً ! قال : وما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سليم ثعلباً ؛ قال : لئن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد . فدخلا القرية ، فوجدا سليماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون ، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم . هكذا ذكر إسحاق ، وذكر غيره : أن الحجّاج طالبَ سليماً بمال عظيم ، فلم يخرُج منه حتى باع كل ما يملكه ، وخربتْ قريتُه وتفرّق أهلها ؛ ثم باعه الحجّاج عبداً ، فاشتراه بعضُ أشراف أهل الكوفة ، إما أسماء بنُ خارجةَ وإما بعض نظرائه، فأعتقه .

## نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعره
## وصنع أحمد النصبيُّ لحنه في سَليم

# صوت

يأيها القلبُ المطيع الهوى ... أنى اعتراكَ الطربُ النازحُ
تذكُر جُملا فإذا ما نأت ... طار شَعاعاً قلبُك الطامح
أُعطِيتَ ودّي وثنائي معاً ... وخلّةً ميزانها راجح
إني تخيرت أمرأ ماجدا ... يصدُق في مِدْحته المادح
سَليم ما أنت بنِكسٍ ولا ... ذمُّك لي غادٍ ولا رائح
نِعم فتى الحيِّ إذا ليلةٌ ... لم يُورِ فيها زَنْدَه القادح

وراح بالشَّوْل الى أهلها مُغْبَرَّةً أذقانُها كالحُ
وَهَبَّتِ الريحُ شآميةً فانجحَر القابسُ والنابحُ

الشعر لأعشى همدان . والغناء لأحمد النَّصْبيّ ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لمالكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر .

# صوت

## من المائة المختارة

تَنَكَّرَ من سُعدَى وأقفر من هندِ مُقامُها بين الرَّغامين[1] فالفردِ[2]
محلٌّ لسُعْدَى طالما سكنتْ به فأوحشَ ممن كان يسكنه بَعدي

الشعر لحمّاد الراوية . والغناء لعَبادِل، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر الهشاميّ أنه للهُذَليّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لعَبادِل بن عطيّة .

(١) الرغام : اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم .

(٢) الفرد : جبل من جبلين يقال لهما الفردان في ديار سليم بالحجاز .

# أخبار حماد الراوية ونسبه

## نسبه وولاؤه :

هو حمّاد بن مَيسرة ، فيما ذكره الهيثم بن عديّ ، وكان صاحبَه وراويتَه وأعلمَ الناس به ، وزعم أنه مولى بني شَيبان . وذكر المدائنيّ والقَحْذَميّ أنه حمّاد بن سابور ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أمية تقدّمه وتؤثره وتستزيره ، فيَفِد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويُجزلون صلته .

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ وعمي وإسماعيل العَتَكيّ قالوا حدّثنا الرّياشيّ قال :

قال الأصمعيّ : كان حمّاد أعلم الناس إذا نَصح . قال وقلت لحمّاد : ممن أنتم ؟ قال : كان أبي من سبي سَلمان بن ربيعة ، فطرحتنا سَلمانُ لبني شَيبان ، فولاؤنا لهم . قال : وكان أبوه يُسمّى مَيسرة ، ويُكنى أبا ليلى . قال العَتَكيّ في خبره : قال الرّياشيّ : وكذلك ذكر الهيثم بن عديّ في أمر حمّاد .

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمري عن العُتْبيّ والهيثم بن عديّ ولَقيط[1] قالوا :

قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية : بِمَ استحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أروي لأكثر

---

(١) هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب كان شاعراً سيئ الخلق ، وله من الكتب : كتاب السمر ، وكتاب الجراب واللصوص ، وكتاب أخبار الجن .

منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميّزتُ القديم منه من المحدَث؛ فقال: إنّ هذا لعلم وأبيك كثير! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام؛ قال: سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر، ثم وكّل به من استحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفيَ عليه؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليدَ بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم.

## ما كان بينه وبين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد:

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن مروانَ بن أبي حَفصة، وأخبرني محمد بن خلف بن المَرزُبان قال حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرَم[١] عن مروان بن أبي حَفصة قال:

دخلت أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثّقفيّ والحسين بن مُطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلّما أنشد شاعرٌ شعراً، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر؛ فقلت: من هذا؟ فقالوا: حمّاد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنة لحّانة؛ فأقبل الشيخ عليّ وقال: يابن أخي، إني رجل أكلّم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عنّي الشعرُ كله إلا شعرَ ابن مُقبل؛ فقلت له: نعم، شعرَ ابن مُقبل؛ قال: أنشِدْ، فأنشدتُه قوله:

(١) هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الاصمعي وأبي عبيدة.

سل الدارَ من جَنبي حِبِرٍ فواهبٍ    إذا ما رأى هَضْبَ القَليب المُضَيَّحُ [١]

ثم جُزْتُ ؛ فقال لي : قف فوقفت ؛ فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لي حمّاد : يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال : تراءى الموضعان إذا تقابلا .

**سأل الهيثم بن عدي عن معنى شعر فعجز :**

حدّثني عمي قال حدّثني الكُراني عن العُمَري عن الهيثم بن عديّ قال :

قلت لحمّاد الراوية يوماً : ألقِ عليَّ ما شئت من الشعر أفسّرْه لك ؛ فضحك وقال لي : ما معنى قولِ ابن مُزاحِم الثماليّ :

تَخوّفَ السيرُ منها تامكاً قَرِداً    كما تَخوّفَ عُودَ النَّبعةِ السَّفَنُ [٢] ؟

فلم أدرِ ما أقول ؛ فقال : تخوّف : تنقّص . قال الله عز وجل : ( أوَ يأْخذَهُمْ على تَخوُّفٍ ) أي على تنقّص .

قال الهيثم : ما رأيت رجلاً أعلمَ بكلام العرب من حمّاد .

**كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقر :**

حدّثني محمد بن خلف وَكيع قال حدّثني الكُرانيّ محمد بن سعد عن النَّضر ابن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال :

أنشدني الفرزدق وحمادٌ الراوية حاضر :

---

(١) حبر : جبل لبني سليم وكذلك واهب . وهضب القليب : ماء لبني قنفذ من بني سليم . والمضيح : ماء لبني البكاء .

(٢) التامك : السنام . والقرد : المتلبد الصوف . والسفن : الحديدة التي تبرد بها القسيّ .

وكنتَ كذئب السَّوْء لمَّا رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحالَ[1] على الدمِ

فقال له حمّاد : أنت تقوله ؟ قال : نعم ؛ قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومن يعلم هذا غيرُك ! أفأردتَ أن أتركه وقد نحلنيه الناس ورووْه لي لأنك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعاً غيرَك .

حدَّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثني الفَضْل قال حدَّثني أبن النَّطَّاح قال حدَّثني أبو عمرو الشَّيباني قال :

ما سألت أبا عمرو بنَ العَلاء قطُّ عن حمَّاد الراوية إلا قدّمه على نفسه ، ولا سألت حمّاداً عن أبي عمرو إلا قدّمه على نفسه .

حدَّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم ، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثّقفيّ عن إبراهيم بن عُمر والعامري قالا :

كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقال لهم الحمَّادون : حماد عَجرد ، وحماد بن الزِّبرِقان ، وحماد الراوية ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعاً .

**كان بخيلاً فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه :**

أخبرني الحسن بن يحيي المِرْداسيّ قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخل مُطيع بن إياس ويحيي بن زِياد على حماد الراوية ، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين ، فقال له يحيي بن زياد : يا حماد ، إنك لمُسرف مبتذِل لحرّ المتاع ؛ فقال له مُطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتّسع به ؟ فقال له يحيي : ما أحسنَ

---

(١) احال على الدم : أقبل عليه .

ظنّك به! ومن أين له مثلُ هذه؟ إنما هي وديعة أو عارية؛ فقال له مُطيع: أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس! قال له يحيى: وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يخرج مثلَ هذه من داره ويأمن عليها غيرَه! قال مطيع: ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يُخرج هذه من بيته! فقال لهما حمّاد: قوما عني يا ابنَي الزانيتين وأخرُجا من منزلي، فشرٌّ منكما من يُدخلكما بيته.

حدثني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال حدثني محمد ابن عبد الرحمن العَبْدي عن حُميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشي عن محمد بن أنس، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم ابن عديّ عن حمّاد الراوية، وخبر حمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له.

قال حمّاد الراوية: كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفضت الخلافةُ الى هشام خِفتُه، فمكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً؛ فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرَطيّان قد وقفا عليّ فقالا لي: يا حمّاد، أجب الأميرَ يوسفَ بن عمر؛ فقلت في نفسي: مِن هذا كنت أحذَر، ثم قلت للشُّرَطيَّين: هل لكما أن تَدعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع من لا ينصرف اليهم أبداً ثم أصير معكما اليه؟ فقالا: ما الى ذلك من سبيل. فاستسلمتُ في أيديهما وصرت الى يوسف بن عمر وهو في الإيوان[1] الأحمر، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلامَ، ورمى إليّ كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر، أما بعد، فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعث الى حمّاد الراوية من يأتيك به غيرَ مُروَّع ولا مُتعتَع، وادفع اليه خمسمائة دينار وجملاً مَهرياً[2] يسير عليه اثنتي عشرة

---

(١) الإيوان: الصفة العظيمة كالأزج وهو البيت يبنى طولا.

(٢) المهرية من الإبل: نسبة الى مهرة بن حيدان وهو حي من قضاعة من عرب اليمن وهي نجائب تسبق الخيل.

ليلةً الى دمشق » . فأخذتُ الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جمل مَرْحول ، فوضعت رجلي في الغَرْز[1] وسرتُ اثنتي عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ باب هشام ، فاستأذنتُ فأُذن لي ، فدخلت عليه في دارٍ قَوْراء[2] مفروشة بالرُّخام ، وهو في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيبُ ذهبٍ ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طِنْفِسةٍ حمراء وعليه ثياب خَزّ حُمر وقد تضمّخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه ، فسلّمت فردّ عليّ ، واستدناني فدنوت حتى قبّلت رجله ، وإذا جاريتان لم أرَ قبلها مثلها ، في أُذُني كلّ واحدة منها حَلقتان من ذهب فيها لؤلؤتان تتوقّدان ؛ فقال لي : كيف أنت يا حمّاد وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ؛ قال : أتدري فيم بعثتُ اليك ؟ قلت : لا ؛ قال : بعثت اليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدرِ مَن قاله ؛ قلت : وما هو ؟ فقال :

فدعَوْا بالصَّبوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إبريقُ

قلت : هذا يقوله عَديّ بن زيد في قصيدة له ؛ قال فأنشدْنيها ، فأنشدتُه :

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـح يقولون لي ألا تستفيقُ

ويلومون فيك يابنةَ عبد الله والقلب عندكم مَوْهوق[3]

لست أدري إذ أكثروا العذلَ عندي أعدوٌّ يلومني أو صديق

زانها حسنُها وفَرْعٌ عَميم وأثيثٌ صَلْتُ الجبين أنيق[4]

وثنايا مُفَلَّجات عذاب لا قِصارٌ تُرى ولا هُنّ رُوق[5]

(١) الغرز : ركاب الرحل من جلد، فاذا كان من خشب أو من حديد فهو ركاب .

(٢) قوراء : واسعة .

(٣) الموهوق : المشدود بالوهق، وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والانسان .

(٤) الفرع : الشعر . والأثيث : الكثير، يطلق على الشعر وعلى البدن الممتلئ اللحم، وهو المراد هنا . والصلت : الواضح .

(٥) روق : طوال .

فدَعَوْا بالصَّبوح يوماً فجاءت قَينـةٌ في يمينها إبريقُ
قدّمته على عُقار كعين الديـك صَفّى سُلافَها الرّاووق[1]
مُرّةٍ قبل مزجها فإذا ما مُزجت لذّ طعمَها من يذوق
وطفَت فوقها فقاقيعُ كالدرّ صِغار يُثيرها التَّصفيق
ثم كان المِزاج ماءَ سماء غيرَ ما آجنٍ ولا مَطروق

قال : فطرب، ثم قال : أحسنت والله يا حمّاد، يا جاريةُ اسقيه، فسقتني شَرْبة ذهبت بثلث عقلي . وقال : أعِد، فأعدت، فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي . فقلت : إن سقتني الثالثةَ افتضحت، فقال : سَلْ حوائجك، فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم؛ قلت : إحدى الجاريتين؛ فقال لي : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى : اسقيه، فسقتني شَربةً سقطتُ معها، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي، وإذا عِدّة من الخدم مع كل واحد منهم بَدْرة ، فقال لي أحدهم : أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها، فأخذتُها والجاريتين وانصرفت . هذا لفظ حمّاد عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عُبيد في خبره أنه سقاه شيئاً، ولكنه ذكر أنه طرِب لإنشاده، ووهب له الجاريتين لمّا طلب إحداهما، وأنزله في دار، ثم نقله من غدٍ الى منزل أعدّه له، فانتقل اليه فوجد فيه الجاريتين وما لهما وكلّ ما يحتاج اليه، وأنه أقام عنده مدّة فوصل اليه مائةُ الف درهم، وهذا هو الصحيح ؛ لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكِراً، وكان يُنكِر ذلك ويَعيبه ويعاقب عليه .

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناء، نِسبته :

## صوت

بكرَ العاذلون في وَضَح الصبـح يقولون ما له لا يُفيقُ

(١) الراووق : المصفاة وناجود الشراب الذي يروق فيه . والناجود : الوعاء .

ويلومون فيكِ يابنةَ عبد الله والقلبُ عندكم مَوهوقُ
ثم نادوا الى الصَّبوح فقامت قَينة في يمينها إبريق
قدّمته على عُقار كعين الدّيك صفّى سُلافها الراووق

في البيتين الاوّلين لحن من الثقيل الاول مختلَفٌ في صانعه، نسبه يحيى بن المكيّ الى معبد، ونسبه الهشاميّ الى حُنين. وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد الله ابن العباس الرَّبيعيّ رَمَلٌ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب الى مالك وخفيف ثقيل، ذكر حَبَش أنه لحُنَين.

**أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد وأرسله اليه مكرماً :**

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال :

قال حماد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة الى يوسف بن عمر : احمِلْ إليّ حماداً الراوية على ما أحبّ من دوابّ البريد، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعونة له؛ فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إليّ، فقلتُ : السمع والطاعة، فقال : يا دُكَين بن شَجرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتُها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعاً، فقال : يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفتَ من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنياً عن ثنائك، فقلت : أصلح الله الأمير : «إنّ العوانَ لا تعلَّم الخِمرة[١]». فخرجتُ حتى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَخراء[٢]، فاستأذنتُ فأذن لي، فإذا هو على سرير مُمَهَّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال : أنشدني :

---

(١) العوان : النصف في سنها. والخمرة : من الاختمار اسم هيئة.

(٢) البخراء : هي ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز.

أَمِنَ المنونِ ورَيبِها تتوجّعُ

فأنشدتُه إياها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه يا سَبرة أكؤساً، فسقاني ثلاث أكؤس خدّرَتْ ما بين الذؤابة والنعل . ثم قال : يا معبد غنّني :

ألا هل جاءكَ الأظعا نُ إذ جاوزن مُطّلحا

فغنّاه . ثم قال : غنني :

أتنسى إذ تودّعنا سُليمى بفرع بَشامةٍ، سُقِيَ البَشامُ [1]

فغنى . ثم قال : غنني :

جلا أميّة عنّا كلّ مَظلِمة سهلُ الحجابِ وأوفى بالذي وَعَدا

فغنّاه . ثم قال : اسقني يا غلام بزُبّ فرعون، فأتاه بقدح معوّجٍ فيه طول فسقاه به عشرين قدحاً . ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب ؛ فقال : أدخله، فدخل غلام شابٌ لم أر أحسن منه وجهاً في رجله فدَع [2]، فقال : يا سَبرة اسقه كأساً، فسقاه، ثم قال له : غنني :

وهْي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيتُ جَوار من لُعَبْ

فغنّاه، فنبذ اليه احد ثوبيه، ثم قال : غنني :

طَرَق الخيالُ فرحّبا ألفاً برؤية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين، إنا مُقبلون اليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تتركنا بمَزجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبي ؛ فقال : والله يا أبا عَبّاد ما جهلت

(١) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٢) الفدع : عوج وميل في المفاصل كلها خلقة أو داء .

قدرَك ولا سِنَّك، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطَّيَاجِن[1] من حرارة غنائه . فسألتُ عن الغلام فإذا هو ابن عائشة .

**كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه وأنشده من شعر هفان بن همام :**

حدثني الحسن بن محمد المادَرانيّ الكاتب قال حدثني الرياشيّ عن العُتْبيّ، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي – وليس خبره بتمام هذا – قال :

طلب المنصور حماداً الراوية، فطُلب ببغداد فلم يوجد، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجهوا اليه برسول يُشخِصُه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجّانة[2] وعلى سوأته رأس دَستَجة[3]، فقلت : أجب أميرَ المؤمنين . فما رأيتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من تلك . فأجاب، فأشخصتُه اليه . فلما مَثَل بين يديه، قال له : أنشدني شعرَ هِفَّان بن هَمَّام بن نَضلة يرثي أباه؛ فأنشده :

خليليّ عُوجاً إنها حاجةٌ لنا ... على قبر هَمَّامٍ سقتْه الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتَغى ... جَداه اذا لم يَحمَد الأرضَ رائد
كريم النَّثا[4] حلو الشمائل بينه ... وبين المزجّى نَفنفٌ متباعد[5]
إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن ... عَيِيّاً ولا ثِقلاً على من يقاعد
صبورٌ على العِلّات يُصبح بطنُه ... خَميصاً وآتيه على الزاد حامد
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفيرة ... بُحَرِّين[6] قد راحت عليه العوائد

(١) الطياجن : الطوابق يقلى عليها .

(٢) الإجانة : آنية تغسل فيها الثياب .

(٣) الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .

(٤) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . وفي الاصول : « الثنا » .

(٥) المزجى : الضعيف . والنفنف : المهواة بين الجبلين .

(٦) حرين : بلد قرب آمد .

صريعاً كنصل السيف تضرِبُ حوله ترائبَهنّ المُعوِلاتُ الفواقد (١)

قال : فبكى أبو جعفر حتى أخضَل لحيتَه، ثم قال : هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه .

أخبرني الحسين بن يحيي المِرداسيّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان جعفر بنُ أبي جعفر المنصور المعروف بأبن الكُرديّة يَستخفّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً اليه وله معه منزلة حسنة، فذكر له حماداً الراوية، وكان صديقه، وكان مطَّرَحاً مجفوّاً في أيامهم، فقال : ائتنا به لنراه . فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك وأمره بالمَسير معه اليه، فقال له حماد : دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية وما لي عند هؤلاء خير، فأبى مطيعٌ إلّا الذهابَ اليه، فأستعار حماد سَواداً وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعٌ الى جعفر . فلما دخل عليه سلّم عليه سلاماً حسناً وأثنى عليه وذكر فضله، فردّ عليه وأمره بالجلوس فجلس . فقال جعفر : أنشِدني، فقال : لمن أيها الامير ؟ ألشاعر بعينه أم لمن حَضر ؟ قال : بل أنشدني لجرير . قال حمّاد : فسُلخ والله شعر جرير كلّه من قلبي إلا قولَه :

بان الخليطُ برامتَين (٢) فودّعوا أوَ كلّما اعتزموا لبَيْن تجزَعُ

فاندفعتُ فأنشدُته إياه، حتى أنتهيتُ الى قوله :

وتقول بَوزَعُ قد دَبَبتَ على العصا هلّا هَزِئتِ بغيرنا يا بَوزَعُ

قال حماد : فقال لي جعفر : أعِد هذا البيت، فأعدته، فقال : بَوزَع، أيُّ شيء هو؟ فقلت : اسم أمرأة، فقال : أمرأة أسمها بَوزَع ! هو بريء من الله ورسوله ونَفيّ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوزع إلّا غُولًا من الغِيلان ! تركتَني والله يا هذا

---

(١) الترائب : عظام الصدر، واحدتها تريبة . والفواقد : من فقدن أزواجهن أو أولادهن .

(٢) رامتين : تثنية رامة، ورامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة ومنه الى إمرة .

لا أنام الليلةَ من فزع بَوزع؛ يا غلمان! قَفاه؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدر أين أنا؛ ثم قال: جرُّوا برجله: فجَرُّوا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً، فتخرّق السواد وانكسر جفن السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً مما جرى عليّ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلِّه وأشدَّ بلاء إغرامي ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف؛ فلما انصرفت أتاني مُطيع يتوجّع لي؛ فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أمية!.

**حديثه مع مأبون:**

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

بلغني أن رجلاً تحدّث في مجلس حماد الراوية فقال: بلغني أن المأبون له رحم كرحم المرأة – قال: وكان الرجل يُرمى بهذا الداء – فقال حماد لغلامه: اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ، فإن خير العلم ما حُمل عن أهله.

**كتب الى بعض الاشراف شعراً يسأله جبة فأرسلها اليه:**

قال: وكتب حماد الراوية الى بعض الأشراف الرؤساء قال:

إن لي حاجةً فرأيك فيها لك نفسي فِدًى من الأوصابِ
وهي ليست مما يبلّغها غيـري ولا يستطيعها في كتابِ
غيرَ أنّي أقولها حين ألقا ك رُوَيداً أُسِرُّها في حجابِ

فكتب اليه الرجل: اكتب إليّ بحاجتك ولا تَشهرني بشعرك؛ فكتب اليه حمّاد:

إنني عاشق لجبّتك الدَّكْـناء عشقاً قد حال دون الشرابِ
فاكسُنيها فدتْك نفسي وأهلي أتباهى بها على الأصحابِ
ولك الله والأمانة أن أجـعلها عمرَها أميرَ ثيابي

فبعث اليه بها. وقد رُويتْ هذه القصة لمطيع بن إياس.

**هو والخزيمي وغلام أمرد :**

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو يعقوب الخُزَيمي[١] قال :

كنت في مجلس فيه حماد عَجْرَد وحماد الراوية ومعنا غلام أمردُ، فنظر اليه حماد الراوية نظراً شديداً وقال لي : يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلةَ على أن أدِبَّ على هذا الغلام؛ فقلت : شأنَكَ به؛ ثم نِمنا، فلم أشعر بشيء إلا وحماد ينيكني، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمت في موضع الغلام، فكرهت أن أتكلّم فينتبه الناس فأفتضح وأُبطلَ عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفني؛ فقال : قد عرفتُ الآن، فيكون ماذا! وفديناه بذبح عظيم. قال : وما بَرِح علم الله وأنا أُعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل.

**أهدى الى صديق له غلاماً :**

قال إسحاق :

وأهدى حمّاد الى صديق له غلاماً وكتب اليه: قد بعثت اليك غلاماً تتعلّم عليه كَظْم الغيظ.

قال :

واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى اليه دُسَيتجة نبيذ. فكتب اليه : لو عرفتَ في العدد أقلّ من واحد، وفي الألوان شرّاً من السواد، لأهديتَه إليّ.

قال :

وسمع مغنية تغني :

عاد قلبي من الطويلة عاد

---

(١) الخزيمي : هو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب.

فقال: وعُود، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما. والشعر:

عاد قلبي من الطويلة عِيدُ[1]

**أنشده رجل شعراً فأنكره عليه وقال اهجني فهجاه:**

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثني أبو عثمان اللاحقي، وأخبرني به محمد بن مَزْيَد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن بِشر بن المفضَّل بن لاحِق قال:

جاء رجل الى حمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقاً فاهجُني. فذهب ثم عاد اليه فقال له: قد قلت فيك:

سيعلم حمّاد إذا ما هجوتُه ... أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ
ألم تَرَ حمّاداً تقدّم بطنُه ... وأُخّر عنه ما تُجنّ المآزرُ
فليس براء خُصْيَتَيْه ولو جثا ... لركبته، ما دام للزيت عاصرُ
فيا ليته أمسى قعيدةَ بيته ... له بعلُ صدقٍ كَوْمُه[2] متواترُ
فحمّاد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي النـ ... ـكاح وبئس المرء فيمن يفاخرُ

فقال حمّاد: حسبُنا، عافاك الله، هذا المقدارُ وحسبُك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجوَد منه، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَني؛ فقال له: قد كنتَ غنياً عن هذا. وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جَرَرْتُ على نفسي من البلاء!

(١) العيد: ما يعتاد من نوب وشوق وهم.

(٢) الكوم: النكاح.

**عاب حماد شعراً لأبي الغول فهجاه :**

حدّثني الأسدي أبو الحسن قال حدّثنا الرّياشي قال حدّثنا أبو عبد الله الفَهْميّ قال :

عاب حمّاد الراوية شعراً لأبي الغول فقال يهجوه :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه ويُقيمُ وقتَ صلاته حمّادُ
هدَلتْ مشافرَه الدّنان فأنفُه مثل القدوم يَسُنُّها الحدّادُ
وأبيضّ من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سوادُ
لا يُعجبنَّك بَزّه وثيابُه إن اليهود تُرَى لها أجلادُ[1]
حمّاد يا ضَبُعاً تَجرّ جِعارَها[2] أخنى[3] لها بالقريتين جرادُ
سبعاً يلاعبها ابنها وبناتها ولها من الخرق الكبار وسادُ

قال معنى قوله :

أخنى لها بالقريتين جرادُ

هو مثل قول العرب للضَّبُع : خامري[4] أمَّ عامر ، أبشِري بجرادٍ عِظالْ[5] وكَمَر رجال ؛ فإن الضبع تجيء الى القتيل وقد استلقى على قفاه ، وانتفخ غُرمُوله فكان كالمُنعِظ ، فتَحْتَكّ به وتحيض من الشهوة ، فَيثِبُ عليها الذئب حينئذ فتلد

(١) أجلاد الانسان : جماعة شخصه أو جسمه وبدنه .

(٢) الجعار : جمع جعر ، والجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع . وجعار ( كقطام ) : اسم للضبع لكثرة جعرها .

(٣) أخنى الجراد : كثر بيضه .

(٤) خامري : استتري . وأم عامر : الضبع .

(٥) الجراد العظال : الذي ركب بعضه بعضاً كثرة .

منه السِّمْع ، وهو دابـة ، لا يولد له مثل البغل . وفي مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرَى الأزدي :

تضحَكُ الضَّبعُ لقتلى هُذَيلٍ وترى الذئبَ لهـا يَستهلُّ[1]

تضحك : تحيض .

**كان لصا ثم تاب :**

وقال ابن النطَّاح :

كان حماد الراوية في أوّل أمره يتشطَّر ويصحَب الصعاليكَ واللصوص ، فنقَب ليلةً على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شِعر الأنصار ، فقرأه حمَّاد فاستحلاه وتحفَّظه ، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ .

**استنشده المهدي احسن أبيات في السكر :**

حدَّثنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حمَّاد الراوية قال :

دخلت على المهديّ فقال : أنشِدني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكر ، ولـك عشرة آلاف درهم وخِلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدُته قولَ الأخطل :

تَرَى الزُّجاجَ ولم يُطمَثْ[2] يُطيف به كأنه من دم الأجواف مُختضَبُ
حتى إذا افتَضَّ ماءُ المُزن عُذرتَها راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ

---

(١) يستهل : يصيح ويستغوي الذئاب .

(٢) الطمث : المس .

تَنْزو إذا شجّها بالماء مازجُها نَزْوَ الجنادب في رَمْضاء تلتهبُ [١]
راحوا وهم يحسَبون الأرض في فُلُك إن صُرّعوا وقَت الراحاتُ والرُّكَبُ

فقال لي: أحسنتَ وأمر لي بما شَرَطه ووعدني به فأخذتُه.

**مدح بلال بن أبي بردة:**

حدثني اليزيديّ قال حدثني عمي عُبيد الله قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان قال:

قدم حمّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرةَ، وعند بلال ذو الرُّمّة، فأنشده حمّادٌ شعراً مدحه به؛ فقال بلال لذي الرُّمّة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جيّداً وليس له؛ قال: فمن يقوله؟ قال: لا أدري إلا أنه لم يقله؛ فلما قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه، قال له: إن لي اليكَ حاجةً؛ قال: هي مقضيةٌ؛ قال: أنت قلت ذلك الشعرَ؟ قال: لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال: بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري؛ قال: فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك؟ قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام.

**أنشد بلال شعراً في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة:**

قال صالح:

وأنشد حمّاد الراوية بلالَ بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها:

جَمَعْتَ من عامرٍ فيها ومن جُشَم ومن تَميم ومن حاء ومن حامِ

(١) تنزو: تثب وذلك اذا مزجت. وشجها: مزجها. والجنادب: ضرب من الجراد. والرمضاء: الارض الحارة الحامية من شدّة حر الشمس.

مُستحقبات رواياهـا جحافلَها يسمو بها أشعَريٌّ طَرْفُه سامي

فقال له بلال : قد علمتُ أن هذا شيء قلتَه أنتَ ونسبتَه الى الحطيئة ، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ! ولكن دَعْها تذهب في الناس وسيِّرها حتى تَشتهرَ ، ووصله .

**يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب :**

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول سمعت ابن الأعرابيّ يقول سمعت المفضَّل الضَّبيّ يقول :

قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئُ في روايته أم يلحَن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ الى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدخله في شعره ، ويُحمَل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك !

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثني السَّعيدي الراوية وأبو إياد المؤدِّب — وكان مؤدِّبي ثم أدَّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنُّه — وحدَّثني بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسعيد بن سَلم وحدَّثني به ابن غَزالة أيضاً واتفقوا عليه :

أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهديّ بعيساباذ[1]، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارهـا ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب

(١) عيساباذ : أي عمارة عيسى، لان كلمة «باذ» فارسية معناها عمارة، وهذه محلة كانت شرقي بغداد ومنسوبة الى عيسى بن المهدي وكانت إقطاعاً له .

الحاجب ، فدعا بالمفضَّل الضَّبّيّ الراوية فدخل ، فمكث مليّاً ثم خرج الينا ومعه حمّاد والمفضَّل جميعاً وقد بان في وجه حمادٍ الانكسارُ والغم ، وفي وجه المفضَّل السرور والنشاط ، ثم خرج حُسين الخادم معهما ، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم : إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضَّلَ بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدَثاً فليسمع من حمّاد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضَّل ؛ فسألنا عن السبب فأُخبرنا أن المهديّ قال للمفضل لما دعا به وحدَه : إني رأيتُ زُهيرَ بن أبي سُلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا وعدِّ القول في هَرِمِ

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضَّل : ما سمعتُ يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنّي توهمته كان يفكّر في قوله يقول ، أو يُرَوِّي في أن يقول شعراً فعدل عنه الى مدح هرم وقال دع ذا، أو كان مفكّراً في شيء من شانه فتركه وقال دع ذا ، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعَدِّ القول في هرم ؛ فأمسك عنه . ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضَّل ، فقال ليس هكذا قال زُهير يا أمير المؤمنين ؛ قال فكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقُنَّةِ[1] الحَجْرِ أَقوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ ومُذْ دَهْرِ
قفر بمُندَفَعِ النحائت[2] من صَفوَى[3] أُولاتِ الضَّالِ والسِّدْرِ[4]
دع ذا وعَدِّ القول في هرم خيرِ الكهول وسيّد الحَضَرِ

---

(١) القنة : أعلى الجبل . والحجر : موضع بعينه وهو حجر اليمامة .

(٢) النحائت : آبار في موضع معروف .

(٣) كذا في ديوانه . وضفوى : مكان دون المدينة .

(٤) الضال : السدر البري فان نبت على شطوط الأنهار فهو عبري .

قال : فأطرق المهديُّ ساعةً ، ثم أقبل على حمّاد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من أستحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البَيعة وكل يمين مُحرجة لَيَصْدُقَنَّه عن كل ما يسأله عنه ، لحلف له بما توثّق منه . قال له : أصدُقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها الى زُهير ؛ فأقرّ له حينئذ أنه قائلها ؛ فأمر فيه وفي المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أحمد بن عُبيد قال حدّثنا الأصمعيّ قال :

قال حماد الراوية : أرسل إليَّ أميرُ الكوفة فقال لي : قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك . فحُملت فقدِمت عليه وهو في الصيد ، فلما رجع أذِن لي ، فدخلت عليه وهو في بيت منجَّد[1] بالأَرْمَنيّ أرضُه وحيطانُه ؛ فقال لي : أنت حماد الراوية ؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أروي سبعمائة قصيدة أوّلُ كلّ واحدة منها : بانت سعاد ؛ فقال : إنها لرواية ! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبّت في الكأس ثم مزجته حتى رأيتُ له حَبابا ؛ فقال : أنشدْني في مثل هذه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هي كما قال عديّ بن زيد :

بكَر العاذلون في وَضح الصبــح يقولون لي ألا تستفيقُ
ثم ثاروا الى الصَّبوح فقامت قَينةٌ في يمينهـا إبريقُ
قدّمته على سُلافٍ كريح الـمسك صفّى سُلافَها الرّاووقُ
فترى فوقَها فقاقيـعَ كاليا قوت يَجري خلالَها التصفيقُ

قال : فشربها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويشرب عليها حتى سَكِر ؛ ثم قام فتناول

(١) المنجد : المزين .

مِرفقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : من يَشتري لحومَ البقر ؟ ثم قال لي : يا حماد ، دونك ما في البيت فهو لك ؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلتُه[1].

**حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته :**

حدّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ[2] عن أبي عُبَيدة قال :

قال خلف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول ، فيقبل ذلك منّي ويدخله في أشعارها . وكان فيه حمق .

**أنشد زياداً شعراً للأعشى فيه اسم أمه فغضب :**

أخبرني محمد بن خلف المَرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهيثم بن عَديّ قال حدّثني المِسوَر العَنزيّ — وكان من رُواة العرب وكان أسنّ من سِماك بن حَرْب — عن حماد قال :

دخلت على زياد[3] فقال لي : أنشدْني؛ فقلت : مِن شعر مَن أيها الأمير ؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه :

بَكَرتْ سُميَّةُ غُدوةً أجمالُها

قال : فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيَّنت الغضبَ في وجهه ؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أعُد والله اليه . قال حماد : فكنت بعد ذلك اذا استنشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أُنشدَه لئلا يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة .

---

(١) تأثل المال : اكتسبه .

(٢) دماذ : هو ابو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة . ودماذ لقب كان ينبز به .

(٣) هو زياد ابن أبيه، وأمه سمية .

**سأله الوليد لِمَ سميت الراوية :**

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال :

قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية : لِمَ سُمِّيتَ الراوية ؟ وما بلَغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أُنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة؛ فقال : إن هذا لحفظ ! هاتِ، فأندفع يُنشد حتى ملّ الوليد، ثم أستخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلته وصرَفه .

**أمر الوليد يوسف بن عمر بارساله اليه :**

أخبرني الحرَميّ بن أبي العَلاء، قال حدّثني الحسين بن محمد بن أبي طالب الدّيناريّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال :

قال حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار، وأمر يوسفَ بن عمر بحملي اليه على البريد . قال فقلت : لا يسألني إلا عن طرفَيْه قريش وثَقيف، فنظرت في كتابَيْ قريش وثقيف . فلما قَدِمت عليه سألني عن أشعار بَليّ، فأنشدته منها ما أستحسنه؛ ثم قال : أنشدني في الشراب — وعنده وجوه من أهل الشام — فأنشدته :

إصبَحِ القومَ قهوةً  في أباريق تُحتذى
من كُميتٍ[1] مُدامةٍ  حبّذا تلك حبذا

(١) الكميت : الخمر التي تضرب حمرتها الى السواد .

يترك الأُذنَ شربُها   أرجُواناً بها خُذا

فقال: أعدها، فأعدتها؛ فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَينا متى نُقلنا؛ قال: ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضِيفان، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس. وجعل شيخ من أهل الشام يشتُمني ويقول: فعَل الله بك وفعل، أنت الذي صنعت بنا هذا.

**أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادّعاه لنفسه:**

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غَسَّان دَماذ قال حدّثني أبو عُبيدة قال حدَّثني يحيى بن ضُبيرة بن الطِرِمّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدِه الطِرِمّاح قال:

أنشدتُ حمّاداً الراوية في مسجد الكوفة – وكان أذكى الناس وأحفَظهم – قولي:

بانَ الخليطُ بسُحرةٍ[1] فتبدَّدُوا

وهي ستون بيتاً، فسكتَ ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال: أهذه لك؟ قلت: نعم؛ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها عليّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته؛ فقلت له: ويحك! إن هذا الشعر قلتُه منذ أيام ما اطلع عليه أحد؛ قال: قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فَعَليّ وعَلَيّ؛ فقلتُ: لله على حِجّة حافياً راجلاً إن جالستُكَ بعد هذا أبداً؛ فأخذ قبضةً من حَصى المسجد وقال: لله عليّ بكل حَصاة من هذا الحصى مائةُ حِجّة إن كنتُ

(١) السحرة (كظلمة): السحر الاعلى أي اول السحر.

أبالي؛ فقلت : أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم أنصرفت . قال دَماذ : وكان أبو عبيدة والأصمعي يُنشدان بيتَي الطِرِمّاح في هذه القصيدة وهما :

مُجتاب حُلّة بُرجدٍ لسَراته  قِدَداً وأخلفَ ما سواه البُرجدُ [١]
يبدو وتُضمره البلاد كأنه  سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

وكانا يقولان : هذا أشعر الناس في هذين البيتين .

---

(١) هذان البيتان في وصف ثور . يقال : اجتاب القميص : لبسه . والبرجد كساء من صوف أحمر، وقيل : هو كساء غليظ، او هو كساء مخطط ضخم يصلح للخباء . وسراته : ظهره .

# اخبار عبادل ونسبه

**نسبه ومنزلته من الغناء :**

عَبادل بن عطيَّة مولى قريش، مِكّيّ، مغنٍّ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونُس الكاتب وسِياطٌ ودَحمان . وكان حسنَ الوجـه، نظيف الثياب ظريفاً، ولم يفارق الحجاز ولا وَفد الى ملوك بني أمية كما وفد غيرُه من طبقته ومَن هو فوقها . ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنا حَمّاد عن ابن أبي جَناح قال :

كان عَبادل بن عطية سَرِيّاً نبيلاً نظيفاً ساكنَ الطَّرْف حسنَ العشرة، وكان يعاشر مَشيخةَ قريش وجِلّة أحداثها، فإذا أرادوا الغناء منه غنّى فأحسن وأطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منها :

تقول يا عَمّتا كُفّي جوانبَه ويلي بَليتُ وأبلى جِيديَ الشَّعَرُ

ومنها :

أمِن حَذَرِ البين ما ترْقُدُ ودمعُك يجري فما يَجمُدُ

ومنها :

إني ٱستحيتُكَ أن أفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهَّمِ

ومنها :

قُولَا لنائلَ ما تقضين في رجلٍ     يَهوَى هواكِ وما جَنَّبته[1] أجتنبا

ومنها :

علام تَرَيْن اليوم قتلي لديكمُ     حلالًا بلا ذنبٍ وقتلي محرَّمُ

قال : وكانوا يقولون له : ألا تُكثِر الصنعة ؟ فيقول : بأبي أنتم ، إنما أنحتُه من صخر ، ومَنْ أكثر أرذل :

## نسبة هذه الأصوات

## صوت

أمن حَذرِ البَيْن ما ترقـد     ودمعُك يجري فما يجمُدُ
دعـاني الى الحَيْن فاقتادني     فؤادٌ إلى شِقوتي يَعمِـدُ
فلو أن قلبي صحا وارْعوَى     لكان له عنكمُ مَقعَـدُ
يَبيـدُ الزّمان وُحبي لكم     يَزيد خبالًا وما يَنفَـدُ

الغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبابة والوسطى عن أبن المكيِّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل .

ومنها :

## صوت

إني أستحييتُكَ أن أفوه بحاجتي     فإذا قرأتَ صحيفـتي فتفهَّمِ
وعليكَ عهدُ الله إن أنبأته     أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لَمِ

هكذا قال أبن هَرمة ، والمغنُّون يغنُّونه :

---

(١) جنبه : جانبه .

وعليكَ عهدُ الله إن أخبرتَه أحداً وإن أظهرته بتكلُّمِ

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لعبادل .

**الوشاية به :**

أخبرني عمي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه :

أنّ حسن بن[1] حسن بن عليّ كان صاحبَ شراب ، وفيه يقول ابنُ هَرْمة :

إني أستحييتُك أن أفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهَّمِ
وعليك عهد الله إن أنبأتَه أحداً ولا أظهرتَه بتكلُّمِ

قال عبدُ الله بن محمد الجعفريّ : وكان ابن هرمة – كما حدّثني أبي – يشرب هو وأصحابٌ له بشَرَف[2] السَّيالة عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يقال لها سَمُرَةُ جرانة فنفِد شرابُهم ؛ فكتب الى حسن بن حسن بن عليّ يطلب منه نبيذاً ، وكتب اليه بهذين البيتين . فلما قرأ حسنٌ رقعتَه قال : وأنا عليَّ عهدُ الله إن لم أُخبر به عامل السَّيالة ، أمِنّي يطلب الدعيُّ الفاعل نبيذاً ! وكتب الى عامل السيالة أن يجيء اليه فجاء لوقته ، فقال له : إن ابنَ هرمة وأصحابه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة ، فاخرج فخُذْهم ؛ فخرج اليه العامل بأهل السيالة ، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبَقهم هَرَباً ، وتعلّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم . وقال في حسن :

كتبتُ اليك أستهدي نبيذاً وأُدْلي بالجِوار وبالحقوقِ

---

(١) لا يمكن أن تكون هذه الحادثة مع حسن بن حسن بن علي لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة الذي ولد سنة ٩٠ هـ . والصحيح أنها مع ابنه ابراهيم وقد كان ابن هرمة متصلاً به وبأخويه . كما أوردها صاحب الأغاني في أخبار علويه .

(٢) شرف السيالة : منزل بين ملل والروحاء .

نَخَبّرتَ الأميرَ بذاكَ غدراً وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ [١]

ومنها :

## صوت

عـلامَ تَرَينَ اليومَ قَتلي لديكمُ حلالًا بـلا ذنب وقتلي محرَّمُ
لكِ النفسُ ما عاشت وِقاءٌ من الرَّدَى ونحن لكم فيما تجنَّبتِ أظلمُ

وأما صنعته في :

قولا لنائلَ ما تَقضِين في رجلٍ

فإن الشعر لَمسعَدة بن البَختريّ ابن أخي المهلَّب بن أبي صُفرة . والغناء لعَبادِل . وقد ذكرتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأن نائلة التي عُنِيَتْ بهذا الشعر هي بنت المَيْلاء ، ولها أخبار ذُكرت في موضع منفرد صَلَحتْ له .

ومنها :

## صوت

تقول يا عَمّتَا كُفِّي جوانبَــه وَيلي بَليتُ وأَبلى جيدِيَ الشَّعَرُ
مثلُ الأَساوِدِ قـد أعيا مَواشطَه تَضِلُّ فيه مَداريهـا وتنكسرُ [٢]
فإن نشرْتَ على عَمْـد ذوائبَها أبصرتَ منه فَتيتَ المسك يَنتثرُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيـه خفيف ثقيل يُنسب الى دَحمان والى الغَريض والى عَبادل أيضاً .

---

(١) الموق : الحمق .

(٢) الأساود : الحيات السود، واحدها أسود . والمداري : جمع مدرى ، وهو المشط .

# صوت

## من المائة المختارة

ليستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسجَلةً(١) من التخلّق لكنْ شيمةٌ خُلقُ
يكاد بابُك من علمٍ بصاحبه من دون بوّابه للناس يَندلِقُ(٢)

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. وذكر يحيي ابن عليّ بن يحيي عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطرَيح. وذكر يعقوب بن السِّكّيت أنه لابن هَرْمة. والغناء في اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رمَلٍ بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سلمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنها لطُرَيح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليدَ بن يزيد. والصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطرَيح والثاني لابن هَرْمة. فبيت طُرَيح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيبها:

تقول والعيسُ قد شُدّتْ بأرجلها أحقّ أنكَ منّا اليوم منطلقُ؟
قلتُ نعم فاكظمي قالت وما جَلَدِي ولا أظنّ اجتماعاً حين نفترقُ
فقلت إن أحيَ لا أُطوِل بِعادَكم وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلقُ(٣)
فارقتُها لا فؤادي من تذكّرها سالي الهمومِ ولا حبلي لها خَلَقُ
فاضت على إثرهم عيناكَ دمعُها كما تتابع يجري اللؤلؤ النَّسَقُ(٤)

# صوت

فاستبقِ عينكَ لا يُودي البكاءُ بها واكْفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تستبقُ

(١) مسجلة: مبذولة أو مرسلة.
(٢) اندلاق الباب: انفتاحه سريعاً وهو مطاوع؛ دلق الباب إذا فتحه فتحاً شديداً.
(٣) غلق الرهن: استحقه المرتهن.
(٤) النسق: المنظم.

ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

– لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو – يقول فيها في مدح الوليد :

وما نَعَمْ منكَ للعافين مُسجَلة من التخلُّق لكنْ شِيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفي لا فاختصصتَ بها وطار قومٌ بـلا والذمِّ فانطلقوا
قوم همُ شَرَف الدنيا وسُودَدُها صَفوٌ على الناس لم يُخلَط بهم رَنَقُ
إن حاربوا وَضعوا أو سالموا رفَعُوا أو عاقدوا ضَمِنوا أو حدّثوا صدَقوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها ، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها . ومن أبي أحمد رحمه الله سمعنا ذلك أجمع . ولكنه حكي عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق . ولعله لم يتفقّد ذلك ، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله .

**مدح وتعريض :**

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثني به وكيع قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة – وخبره أتم – قال :

قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك وكان بخيلًا لا يحبّ أن يُعطي أحداً شيئاً – ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتي أجمع ولا تمدحني ! فبلغ ذلك ابنَ هرمة، وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

ومُعجَب بمديح الشِّعر يَمنعه من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ
يا آبيَ المدح مِن قولٍ يُحبِّره ذو نِيقة[1] في حواشي شعره أَنَق[2]

(١) النيقة : اسم من التنوق . يقال تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ .

(٢) الأنق : الروعة والحسن .

إنكَ والمدحَ كالعذراء، يُعجبها ... مسُّ[٤] الرجال ويَثني قلبها الفَرَقُ
لكنْ بمَدْيَنَ من مفضَى سُوَيْمِرةٍ[١] ... من لا يُذَمَّ ولا يُثنا له خُلُقُ
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه ... والمادحون إذا قالوا له صَدَقُوا

— يعني عبد الواحد بنَ سليمان —

لا يستقرّ ولا تخفى علامته ... إذا القنا شالَ في أطرافها الحرَقُ[٢]
في يومِ لا مالَ عند المرء ينفعه ... إلا السِّنانُ وإلا الرمحُ[٣] والدَّرَقُ
يَطعن بالرمح أحياناً ويضربه ... بالسيف هم يُدانيهم فيَعتنقُ

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير ومن مُهلهل جميعاً، فإنهما سبقا اليه. قال مُهلهل وهو أقدمهما:

أَنبَضوا[٤] مَعْجِسَ[٥] القِسِيِّ وأبرقـ‍نا[٦] كما تُوعِد الفُحولُ الفحولا

يعني أنهم لما أخذوا القِسيّ ليرموهم من بعيد انتضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها.

وقال زهير — وهو أشرح من الأوّل —:

يَطعنُهم ما ارتَموْا حتى إذا اطّعنوا ... ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره.

---

(١) مدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل. وسويمرة: موضع في نواحي المدينة.

(٢) شال: ارتفع. والحرق: لهب النار.

(٣) في رواية: «وإلا السيف».

(٤) أنبض الرامي القوس وعن القوس: جذب وترها لتصوت. وفي سائر الأصول: «انتضوا»، وهو تصحيف.

(٥) المعجس: مقبض القوس.

(٦) أبرق الرجل: لمع بسيفه.

رجع إلى شعر ابن هرمة :

يكاد بابُك من جود ومن كرمٍ    من دون بوّابه للناس يندلقُ

— ويُروى : « إذا أطاف به الجادون » . و« العافون » أيضاً . ويروى : « ينبلق » —

إني لأطوي رجالاً أن أزورَهمُ    وفيهمُ عَكَر الأنعام والوَرَقُ [١]
طيَّ الثياب التي لو كُشِفت وُجدتْ    فيها المعاوز [٢] في التفتيش والخِرَقُ
وأترك الثوبَ يوماً وهو ذو سعة    وألبس الثوب وهو الضيّق الخَلَقُ
إكرامَ نفسي وأني لا يُوافقني    ولو ظَمِئتُ فَحُمتُ المشربُ الرَّنِق [٣]

قال هارون بن الزيات في خبره : فلما قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان — وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز — فأمر له بثلثمائة دينار وخلعة موشيَّة من ثيابه ، وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقحة ومائةَ شاة ، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البرّ والتمر ، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسنةٍ ، وقال له : هذا لك عليَّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا ، واقتطعه لنفسه وأنس به ، وقال له : لستُ بمُحوجك الى غيري أبداً . فلما عُزل عبد الواحد ابن سليمان عن المدينة ، تصدّى للوالي مكانَه وامتدحه . ولم يلبث أن ولي عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمّل [٤] عليه بعبد الله بن الحسن بن الحسن ، فاستوهبه منه فعاد له الى ما أحبه .

(١) العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل ، قيل : هي ما فوق خمسمائة من الإبل ، وقيل : ما بين الخمسين الى المائة . والورق : المال من الإبل والغنم .

(٢) المعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز .

(٣) الرنق : الكدر .

(٤) تحمل بفلان على فلان : تشفع به اليه .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثعلب عن الرياشيّ — وخبره أتمّ — قال الرياشيّ حدّثني أبو سلمة الغفاريّ قال قال ابن ربيح راوية ابن هرمة قال حدّثني ابن هرمة قال :

أوّل من رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ عليّ ألّا أمدح أحداً غيرَه ، وكان والياً على المدينة ، وكان لا يدع برّي وصلتي والقيامَ بمؤونتي . فلم ينشب أن عُزل ووُلّي غيرُه مكانَه ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب . فدعتني نفسي الى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي ، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت . ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ ، فأُخبِر أنّي مدحت الذي عُزل به ، فأمر بي فحُجِبت عنه ورُمت الدخولَ عليه فمُنِعتُ ، فلم أدَع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يُعيدني الى منزلتي عنده ، فيأبى ذلك فلا يفعله . فلما أعوزتني الحيل أتيت عبدَ الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب — صلوات الله عليه وعليهم — فقلت : يابن رسول الله ، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألّا أمدحَ غيرَه ، فأعطيتُه بذلك عهداً ، ثم دعاني الشّرَه والكدّ الى أن مدحت الوالي بعده . وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل اليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه الى جنبه ، ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ؛ قال : كل حاجة لك مقضيّة إلا ابن هرمة ؛ فقال له : إن رأيتَ ألّا تستثني في حاجتي فافعل ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : فحاجتي ابن هرمة ؛ قال : قد رضيتُ عنه وأعدته الى منزلته ؛ قال : فتأذن له أن يُنشدك ؛ قال : تُعفيني من هذه ؛ قال : أسألك أن تفعل ؛ قال ائتوا به ؛ فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوكَ قادمةَ الجناحِ

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[1] ثم وثب مُغضَباً، وتجوّزت في الإنشاد ثم لحقتُه فقلت له: جزاك الله خيراً يابن رسول الله؛ فقال: ولكن لا جزاك الله خيراً يا ماصّ بَظر أمه، أتقول لابن مروان:

وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

بحضرتي وأنا ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وابن عليّ بن أبي طالب – عليه السلام –! فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أخدَعُه به طلباً لدنياه، والله ما قِست بكم أحداً قطّ. أفلم تسمعني قد قلتُ فيها:

وبعضُ القول يذهب بالرياحِ

فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله، ما أظرفك!

**حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد:**

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً، وأوّلها:

صَرَمْتَ حبائلاً من حبِّ سَلمى ... لهندٍ ما عَمَدتَ لمُستراحِ
فإنك إن تُقِم لا تلقَ هنداً ... وإن ترحل فقلبُك غيرُ صاحي
يظلّ نهارَه يَهذي بهند ... ويأرَق ليله حتى الصباحِ
أعبدَ الواحد المحمودَ إني ... أغصّ حذارَ سخطك بالقَراحِ
فشُلّتْ راحتايَ وجال مُهري ... فألقاني بمُشتجَر الرماحِ
وأقعدني الزمانُ فبتّ صِفراً ... من المال المُغرَّب والمُراحِ
إذا فَخَمتُ غيرَك في ثنائي ... ونصحي في المَغيبة وامتداحي
كأنّ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائمُ قد عُضِلن عن النكاحِ

(١) الرز: الصوت.

فإن أكُ قد هفوتُ الى أمير فعَنْ غير التطوّع والسماحِ
ولكنْ سَقطةٌ عِيبتْ علينا وبعضُ القول يذهب في الرياحِ
لعمرك إنني وبَني عَدِيٍّ[١] ومَن يهوى رشادي أو صلاحي
اذا لم ترضَ عنّي أو تَصِلْني لفي حَيْنٍ أعالجه مُتاحِ
وإنك إن حططتُ إليك رحلي بغربيّ الشَّراة[٢] لذو ارتياحِ
هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى ولم تبخل بناجزة السَّراحِ
وَجدنا غالباً خُلقتْ جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ
إذا جعلَ البخيلُ البخلَ تُرساً وكان سلاحَه دون السلاحِ
فإنّ سلاحك المعروفُ حتى تفوزَ بِعرضِ ذي شِيَمٍ صِحاحِ

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الُجمَحيّ قال :

قلت لابن هرمة : أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به غيرَه فتقول فيه هذا البيت :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

ثم تقول فيها :

أعبدَ الواحد الميمونَ إني أَغَصّ حِذارَ سخطك بالقَراحِ

فبأي شيء أستوجب ذلك منك ؟ فقال : إني أخبرك بالقصة لتعذرني : أصابتني أزمة بالمدينة، فاستنهضتني بنتُ عمي للخروج؛ فقلت لها : ويحك ! إنه ليس عندي ما يُقِلّ جناحي؛ فقالت : أنا أنهضك بما أمكنني، وكانت عندي نابٌ لي فنهضتُ عليها نُهجّد النوّام ونؤذي السمّار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس : ابن

(١) بنو عدي : هم قوم ابن هرمة . وعدي هذا : هو عدي بن قيس بن الحارث بن فهر .
(٢) الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة.

هرمة ! حتى دَفعتُ الى دمشق، فأويت الى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره الى أن نظرت الى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صلى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمتُ فدنوت منه وسلّمت عليه؛ فقال لي : أبو إسحاق ! أهلاً ومرحباً؛ فقلت لبّيك، بأبي أنت وأمي ! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه ؛ فقال : أمَا آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق، فما وراءك ؟ قلت : لا تسلني – بأبي أنت وأمي – فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرك؛ فقال : لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب إن شاء الله . فوالله إني لأخاطبه فإذا بثلاثة فِتية قد خرجوا كأنهم الأشطان[١]، فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فهَمَس اليه بشيء دوني ودون أخويه؛ فمضى الى البيت ثم رجع، فجلس اليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولى، فلم يلبث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[٢] يحمل عِبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ؛ ثم همس اليه ثانيةً فعاد، وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد : أُدنُ يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصِر الينا حتى تفاقم صَدعُك، فخذ هذا وارجع الى عيالك، فوالله ما سَلَلنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا ؛ ودفع إليّ ألفَ دينار، وقال لي : قُم فارحل فأغِثْ مَن وراءك؛ فقمت الى الباب، فلما نظرت الى ناقتي ضِقتُ؛ فقال لي : تعال، ما أرى هذه مُبلغتَك، يا غلامُ، قدِّم له جملي فلاناً . فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدّ سروراً مني بكل ما نِلته؛ فهل تلومني أن أغضّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح ! ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً .

**عتابه على مدح الامويين :**

أخبرني محمد بن خلف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات

---

(١) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل ، وقيل الحبل الطويل .

(٢) ضابط : قوي شديد .

قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال حدّثني عثمان بن حفص الثّقفيّ قال حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين — صلى الله عليه — قال :

دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان، فلما اجتمع الناس قام أبن هرمة فقال : يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد؛ قال هاتِ؛ فأنشده قوله :

سرى[1] ثوبه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى انتهى الى قوله :

له لحظاتٌ عن حِفافَي[2] سريره ... اذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأمُّ الذي آمنتَ آمنـةُ الرّدى ... وأمُّ الذي خوّفتَ بالثُّكل ثاكلُ

فقال له المنصور : أمَا لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه :

وجدنا غالباً كانت جَناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجَناحِ

قال : فقُطع بأبن هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار. فقام اليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل مِنفاق مِتلاف لا يُليق[3] شيئاً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتبَ بذلك الى صاحب الجاري[4] أن يُجريَها عليهم فعل؛

(١) سرى عنه الثوب : كشفه .

(٢) حفاف الشيء : جانبه .

(٣) لا يليق شيئاً : أي ما يمسكه ولا يلصق به .

(٤) الظاهر أنه يريد بالجاري الدائم المتصل من الوظائف .

فقال : افعلوا ذلك به . قال : وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضَباً عليه لقوله يمدح عبدَ الله بن حسن :

ما غَيَّرتْ وجهَه أمٌ مُهجَّنة    اذا القتامُ تَغشَّى أَوجُهَ الهُجُنِ

حدثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجحظة قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران :

دخل ابن هرمة على المنصور وقال : يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحاً ولم يمدح أحد أحداً بمثله؛ قال : وما عسى أن تقول فيّ بعد قول كعب الأشقريّ في المهلّب :

براكَ اللهُ حين براكَ بحراً    وفَجّر منك أنهاراً غِزارا

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا؛ قال : هات، فأنشده قولَه :

له لَحظاتٌ عن حِفافَيْ سَريره    إذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

قال : فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له المهديّ : يا أمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره اليك نحوَها؛ فقال له المنصور : يا بُنيّ، إني قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبتُ له نفسَه؛ أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان :

إذا قيل مَن خيرُ مَن يُرتجى    لُمعترّ(١) فِهرٍ ومحتاجِها
ومن يُعجِل الخيلَ يومَ الوغى    بإلجامها قبلَ إسراجها
أشارت نساءُ بني غالبٍ    اليكَ به قَبلَ أزواجها

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولها :

أجارَتنا رَوِّحي نَغمةً    على هائم النفس مُهتاجِها

(١) المعتر : الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

ولا خيرَ في وُدِّ مُستكرِهٍ ولا حاجةٍ دون إنضاجها

– يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان – :

كأن قُتودي على خاضبٍ زَفُوفِ العَشيَّات هَدَّاجِها[١]
الى مَلِكٍ لا الى سُوقة كسَته الملوكُ ذُرا تاجها
تَحُلّ الوفود بأبوابه فتَلقى الغِنى قَبلَ إرتاجها
بقُرّاع أبواب دور الملو كِ عند التحية وَلّاجها
الى دار ذي حسبٍ ماجدٍ حَمُول المَغارم فَرّاجها
رَكُودِ[٢] الجفان غداةَ الصَّبا ويومَ الشَّمال وإرهاجها[٣]
وقفتُ بمَدحِيه عند الجِما رِ[٤] أُنشده بين حُجّاجها

**دسيسة عليه من المنصور:**

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرّد قال حدّثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحيّ قال حدّثني محمد بن سليمان بن المنصور قال:

وجّه المنصور رسولاً قاصداً الى ابن هرمة ودفع اليه ألفَ دينار وخلعة، ووصفه له وقال: امض اليه؛ فإنك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ له الى بني أمية أو مواليهم، وَسَله أن يُنشدك قصيدَته الحائية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

(١) القتود: جمع قتد وهو خشب الرحل. والخاضب: ذكر النعام. وزفوف: حسن المشي سريعه. والهدّاج: الذي في مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش.

(٢) الركود من الجفان: الثقيل المملوء.

(٣) الإرهاج: الإمطار.

(٤) الجمار: اسم موضع بمنى وهو موضع الجمرات الثلاث.

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد وأضرب عنقَه وجئني برأسه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فأدفع اليه الألفَ الدينار والخِلعة ، وما أراه ينشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية . قال : فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس اليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال : ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها إياي مَن يُعاديني، ولكن إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده :

سَرى ثوبَه عنك الصِبا المتخايلُ

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له : هاتِ ما أمرك أميرُ المؤمنين بدفعه إليّ ؛ فقال : أيّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دَفع إليّ ؟ فقال : دَعْ ذا عنك، فوالله ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي اليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ الي ما حمّلك إياه؛ فضحك الرسول ثم قال : صدقتَ لعمري؛ ودفع اليه الألف الدينار والخِلعة . فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما .

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثنا عمي عن جدّي قال :

لما أنشد ابنُ هرمة المنصور قصيدَته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها؛ فقال يا بُنيّ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

لاَستكثرتَ له ما استقللته، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول رِبح كثير . والله إني يا بُنيّ ما هممت له منذُ يومئذٍ بخير فذكرتُ قولَه إلا زال ما عرض بقلبي الى ضده حتى أُهمَّ بقتله ثم أعفوَ عنه . فأمسك المهديّ .

**ما يغنى من شعره :**

ومما يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قوله من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات ، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره :

## صوت

ولما أن دنا منّا ارتحالٌ وقُرِّب ناجياتُ السيرِ كُومُ [١]
تحاسر واضحاتُ اللون زُهر على ديباج أوجهها النعيم
أَتَيْنَ مودِّعاتٍ والمطايا لدَى أكوارها خوصٌ هُجوم [٢]
فكم من حُرّة بين المُنقَّى [٣] الى أُحُدٍ الى ما حاز ريم [٤]

ويروى :

فكم بين الأقارعِ [٥] فالمُنقَّى

وهو أجود .

إلى الجَمّاء [٦] من خدٍّ أسيل نقيِّ اللون ليس به كُلُوم

(١) الناجيات : النوق السريعة تنجو بمن ركبها . والكوم : النوق الضخمة السنام .

(٢) خوص : جمع أخوص وخوصاء ، والخوص : ضيق العين وصغرها وغؤورها . وهجمت العين هجوماً : غارت ودخلت في موضعها .

(٣) المنقى : طريق بين أحد والمدينة .

(٤) الريم : واد لمزينة قرب المدينة .

(٥) الذي في المعاجم : منه جبل يقال له الأشعر . يسوغ في الشعر ان يجيء اسم المكان مفرداً ومثنى ومجموعاً حسب الضرورة الشعرية والكل واحد .

(٦) الجماء : جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق الى الجرف ( بضم الجيم وسكون الراء ) ، وقيل : هي إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة الى مكة . وقيل : الجماوات ثلاث بالمدينة : جماء قضارع التي تسيل على قصر أم عاصم وبئر عروة ، وجماء أم خالد التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفري ومـا والاه ، وجماء العاقر وبينها وبين جماء أم خالد فسحة وهي تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها .

كأنّي من تذكُّر ما أُلاقي ... اذا ما أظلم الليل البهيمُ
سَليمٌ مَلَّ منه أقربوه ... وأسلمه المُداوِي والحميمُ

ذكر الزبير بن بكّار أن هذا الشعر كله لأبي المِنهال نُفَيلة الأشجعيّ . قال: وسمعتُ بعض أصحابنا يقول: إنه لمعمَر بن العنبر الهُذَليّ . والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان مخفوضة الميم ، ولما غُني فيها وفي أبيات نُفَيلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غيّر الى ما أوجب رفعها . فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أوّلها :

أجارَتنا بذي نَفَرٍ[١] أقيمي ... فما أبكي على الدهر الذميمِ
أقيمي وجهَ عامك ثم سِيري ... بلا واهي الجِوار ولا مُليم
فكم بين الأقارع فالمُنقَّى ... الى أُحدٍ الى أكناف رِيم
الى الجمّاء مِن خدٍّ أسيلٍ ... نقيّ اللون ليس بذي كُلوم
ومن عينٍ مكحَّلة الأماقي ... بلا كُحْل ومن كَشحٍ هضيم
أرِقتُ وغاب عنّي من يلوم ... ولكنْ لم أنَمْ أنا للهموم
أرِقتُ وشفَّني وَجعٌ بقلبي ... لزينبَ أو أُميمةَ أو رُعُوم
أقاسي ليلةً كالحول حتى ... تبدَّى الصبحُ مُنقطعَ البَريم[٢]
كأنّ الصبح أبلقُ في حُجولٍ ... يَشِبّ ويتّقي ضربَ الشَّكيم
رأيتُ الشَّيب قد نزلتْ علينا ... روائعُه بحجّة مستقيم
إذا ما كُرْته ناكرتُ منه ... خصومةَ لا ألدَّ ولا ظَلوم
وودّعني الشباب فصرتُ منه ... كراضٍ بالصغير من العظيم
فدَعْ ما لا يَرُدّ عليك شيئاً ... من الجارات أو دِمَن الرسوم
وقُلْ قولاً تُطبِّقْ[٣] مِفصلَيْه ... بمِدْحة صاحب الرأي الصَّروم[٤]

(١) ذو نفر : موضع على ثلاثة أيام من السلية بينها وبين الربذة، وقيل : خلف الربذة بمرحلة في طريق مكة .

(٢) البريم : ضوء الشمس مع بقية سواد الليل .

(٣) تطبق مفصليه : تصيب فيه الحجة ، وأصله : إصابة المفصل وهو طبق العظمين أي ملتقاهما فيفصل بينهما .

(٤) الصروم : القاطع .

لعبد الواحد الفَلَجُ[١] المعلَّى علا خُلُقَ النَّفورة[٢] والخُصومِ
دعته المكرُماتُ فناولته خِطامَ المجد في سِنّ القَطِيمِ

وهي طويلة . فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة ؛ وإنما غُيّرت حتى صارت مرفوعةً ، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّي فيها . وأمّا أبيات نُفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه :

يُضيء دجى الظلام إذا تبدّى كضوء الفجر منظره وَسيمُ
وقائلةٍ ومُثنيةٍ علينا تقول وما لها فينا حميمُ
وأُخرى لُبُّها معنا ولكنْ تَصَبَّرُ وهي واجمةٌ كظومُ
تَعُدّ لنا الليالي تحتصيها متى هو حائنٌ منه قدومُ
متى تَرَ غفلةَ الواشين عنها[٣] تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجومُ

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب الى الوابصيّ . وفيها خفيف ثقيل ينسب الى معبد والى ابن سريج .

## الوابصي وأخباره :

وهذا الوابصيّ هو الصَّلت بن العاصي بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . كان تنصّر ولحق ببلاد الروم ؛ لأنّ عمر بن عبد العزيز – فيما ذُكر – حدّه في الخمر ، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصّر هناك ، ومات هنالك نصرانيا .

(١) الفلج : الظفر والغلب .
(٢) نفورة الرجل : نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه .
(٣) في رواية : « يوما » .

فأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا أحمد بن زُهير قال حدثنا الزبير ابن بكّار قال حدثني عبد الله بن عبد العزيز قال اخبرني ابن العلاء – أظنه أبا عمرو او أخاه – عن جُوَيرِيَة بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم، وأخبرني أحمد ابن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيدي في خبره : إن إسماعيل حدّث : أن عمر بن عبد العزيز بَعث في الفِداء . وقال عمر ابن شَبَّة : إن إسماعيل حدّث قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدّثه قال : بينا أنا أُجول في القسطنطينية إذ سمعت رجلًا يغنّي بلسان فَصيح وصوت شَجٍ :

فكم من حُرّة بين المُنقَّى الى أحدٍ الى جَنَبات رِيمِ

فسمعتُ غناء لم أسمع قطُّ أحسنَ منه . فلما سمعت الغناء وحُسنَه، لم أدر أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع . فدنوت من الصوت، فلما قرُبت منه إذا هو في غرفة، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صَعِدت اليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل مُستلقٍ على قَفاه يغنّي هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فرَغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء . ففعل ذلك مراراً؛ فقلت : السلام عليكم؛ فوثب وردّ السلام؛ فقلت : أبشِرْ فقد فَكّ الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بنِ عبد العزيز الى هذا الطاغية في فداء الأسارى . ثم سألته : من أنت ؟ فقال : أنا الوابصيّ، أُخذت فعُذّبت حتى دخلت في دينهم؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَن أفتديه الى أمير المؤمنين وإليّ إن لم تكن دخلتَ في الكفر؛ فقال : قد والله دخلت فيه؛ فقلت : أَنشدك اللهَ إلّا أسلمتَ؛ فقال : أأسلم وهذان ابناي وقد تزوّجت امرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلتُ المدينة قيل لي يا نصرانيّ وقيل مثل ذلك لولديّ وأمهما ! لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنتَ قارئاً للقرآن فما بقي معك منه ؟ قال : لا شيء إلا هذه الآية ( رُبَما يَوَدُّ الّذين كفَروا لو كانوا مُسلِمين ) . قال : فعاودته وقلت له : إنك لا تُعيَّر بهذا؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب

الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحان الله ! أما تقرأ : ( إلّا مَن أُكرِهَ وقلبُه مُطمئنٌّ بالإيمانِ ) فجعل يُعيد عليّ قوله : فكيف بما فعلت ! ولم يجبني الى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهم لا تمتني حتى تمكنني منه . قال : فوالله ما زلت راجياً لإجابة دعوة عمرَ فيه . قال جويرية في حديثه : وقد رأيت أخا الوابصيّ بالمدينة .

وقال يعقوب بن السِّكيت في هذا الخبر . أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أُنسيتُ اسمَه قال :

نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن :

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى الى أُحُدٍ الى ميقات ريمِ
الى الزَّوراء[1] من ثغر نقيٍّ عوارضه ومن دَلٍّ رخيمِ
ومن عين مُكَحَّلة الأماقي بلا كُحل ومن كَشحٍ هضيم

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكي، فناديته : أيها المنشد، فأشرف فتى كأحسن الناس . فقلت : مَن الرجل وما قصتك ؟ فقال : أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا، فأشرفتْ عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها؛ فقالت : إن دخلتَ في ديني لم أخالفك؛ فغلب عليّ الشيطان فدخلت في دينها، فأنا كما ترى . فقلت : أكنتَ تقرأ القرآن ؟ فقال : إي والله لقد حفظته . قلت : فما تحفظ منه اليوم ؟ قال : لا شيء إلا قوله عزّ وجل : ( رُبَما يَوَدُّ الذين كفَروا لو كانوا مُسلِمينَ ) . قلت : فهل لك أن نُعطيهم فداءك وتخرج ؟ قال : ففكّر ساعة ثم قال : انطلقْ صَحِبك الله .

---

(١) الزوراء : اسم يطلق على أكثر من موضع . والظاهر أنه يريد بها هنا موضعاً عند سوق المدينة يطلق عليه هذا الاسم لقرب هذا الموضع من المواضع المذكورة في البيت السابق .

ومما في الاخبار من شعر ابن هرمة :

## صوت

### من المائة المختارة

في حاضِرٍ لَجِبٍ بالليل سامِرُه فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ (١)
وَخُرَّدٍ كالمها حُورٍ مدامعُها كأنها بين كُثبان النَّقا البَقَرُ

الشعر لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لُحنين، ولحنه من الثقيل الاول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . قال إسحاق : وفيه لأبي هَمهَمة لحن من الثقيل الاول أيضاً . وأبو هَمهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة، ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء، ولا وجدت له خبراً فأذكره .

## صوت

### من المائة المختارة

بزينب أَلِمْ قبل أن يرحل الركبُ وقُلْ إن تَمَلِّينا فما ملَّــك القلبُ
وقل في تَجَنِّيها لكَ الذنبَ : إنما عتابُــكَ مَن عاتبتَ فيما له عَتْبُ

الشعر لنُصَيب . والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الاول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن

(١) الحاضر : الحي العظيم . والسامر : المتسامرون . والعكر : جمع عكرة وهي القطعة من الإبل، قيل : ما فوق خمسمائة، وقيل : ما بين الخمسين الى المائة .

آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشاميّ ودَنانيرَ. وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الاول ذكره الهشاميّ.

**بعض اخبار لنصيب:**

وقد تقدَّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلح إفرادُه فيه، مثل أخبار هذا الصوت.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كُناسة قال:

قال نصيب: ما توهمت أني أحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت:

بزينبَ ألمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم ابن المنذر الحِزاميّ عن محمد بن مَعْن الغِفاريّ قال أخبرني ابن الربيح قال:

مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة[1]، فاجتمعنا اليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقتُ الأسود الى قوله:

بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ

أحبُّ إليّ من كذا وكذا — لشيء قاله عظيم —.

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حَبيب بن شَوذب الأَسديّ قال:

---

(١) ضرية: قرية عامرة قديمة في طريق مكة من البصرة من بلاد نجد. وقيل: هي صقع واسع بنجد ينسب اليه حمى ضرية المعروف، يليه أمراء المدينة وينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطخفة.

مرّ بنا جَرير بن الخَطَفَى ونحن بضَرِيّة، فاجتمعنا اليـه فسمعتُه يقول : لَأَن أكون سَبقتُ العبدَ الى هذا البيت أحبُّ إليّ من كذا وكذا؛ يعني قوله :

بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كُناسة قال :

اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب في الحَمّام، فقال لـه الكميت : أنشدني قولك :

بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ

فقال : والله ما أحفظها ؛ فقال الكميت : لكنّي أحفظها، أفأُنشدك إياها ؟ قـال نعم، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قـالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال ذكر ابن أبي الحُوَيرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت : إنا لبِمِنًى إذ نظرتُ الى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أدرِ لمن هي، حتى أُنيخ بعير، فنزل عنـه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومرّ راكب يتغنّى غناء الركبان :

بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له : شهّرتني وأذعت في النـاس ذكري ؛ فإذا هو نُصيب وزوجته . قال إسحاق في خبره : وكان الذي اجتـاز بهم وتغنّى ابن سريج .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كُناسة عن أبيه قال :

قال نُصيب : والله إني لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدن قولي :

بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ

وإذا معهنّ ابن سُرَيج ؛ فقلن له : يا أبا يحيى ، غَنِّنا في هـذا الشعر ، فغناهنّ فأحسن؛ فقلن : وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أنّ نُصيباً معنا فيتمّ سرورنا ؛ فحرّكتُ بعيري لأتعرّف بهنّ وأنشدهنّ؛ فالتفتت إحداهنّ إليّ فقالت حين رأتني : والله لقد زعموا أن نُصيبا يشبه هـذا الأسود لا جَرَم؛ فقلت : والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم، ومضيت وتركتهنّ . قال : وكان الذي تغنّى بـه ابنُ سُريج من شعري :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ وقُل إن تملّينا فما ملّك القلبُ
وقُلْ إن تُنَلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ فما مثلُ ما لُقِّيت من حبكم حبُّ
وقل في تجنّيها لكَ الذنبَ إنما عتابكَ من عاتبتَ فيما له عَتْبُ
فمن شاء رام الوصلَ أو قال ظالماً لذي ودّه ذنبٌ وليس له ذنبُ

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إبراهيم ابن عبد الله السَّعْدي عن جدّته جَمال بنت عَوْن عن جدّها قال :

قلت للنُّصَيب : أنشدني يا أبا مِحجَن من شعرك شيئاً ؛ فقال : أيّـه تريد ؟ قلت : ما شئتَ؛ قال : لا أنشدك أو تقترحَ ما تريد؛ فقلت : قولك :

بزينبَ ألمم قبل أن يرحلَ الركبُ

قال : فتبسّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأنا غلام؛ ثم أنشدني القصيدةَ . قال الزبير : وهي أجود ما قال .

**توبة نصيب :**

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر ابن شَبَّة قال حدّثنا المدائني عن أبي بكر الهُذَلِيّ قال حدّثني أيوب بن شاس، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس – وروايته أتم من رواية عمر بن شَبَّة – قال أيوب : حدّثني عبد الله بن سعيد :

أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة ؛ فقال له : هِيه يا أسود :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ وقُلْ إن تَملّينا فما ملّكِ القلبُ

أأنت الذي تَشهَر النساء وتقول فيهنّ ! فقال : يا أمير المؤمنين، إني قد تركت ذلك وتُبت من قول الشعر، وكان قد نسك؛ فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولًا جميلًا؛ فقال له : أمّا إذْ أثنى عليك القوم فسَلْ حاجتَك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، لي بُنيَّاتٌ سويداوات أرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البيضان، فإن رأيتَ أن تفرض لهنّ فافعل؛ ففعل .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب عن محمد بن المؤمّل بن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزامي قال :

خرجت على بعير لي أريد الحج، فنزلت في فِناء خيمة بالأبواء[1]، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها ؛ فاستلهاني حسنُها، فتمثّلتُ قولَ نُصيب :

(١) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا . وقيل : هي جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد الى مكة من المدينة .

بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ وقل إن تملّينا فما ملّك القلبُ

فقالت الجارية : أتعرف قائلَ هذا الشعر ؟ قلت : نعم، ذاكِ نصيب ؛ قالت : أفتعرف زينبَ هذه ؟ قلت : لا ؛ قالت : فأنا والله زينبُه، وهو اليومُ الذي وعدني فيه الزيارةَ، ولعلك لا ترَحل حتى تراه . فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها، ثم نزل فسلّم عليها وسلّمتْ عليه؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة، فقمت الى راحلتي فشددتُ عليها ؛ فقال : على رِسْلك، أنا معك ؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه؛ فقال لي : كأنك قلت في نفسك كذا وكذا؛ قلت : قد كان ذاك؛ فقال لا، وربِّ الكعبة البَنِيَّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أقربُ من هذا .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة :

لو لم تكن هذه القصيدة :

بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ

لنُصيب، شِعرَ مَن كانت تُشبه ؟ فقلت : شعر امرئ القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة . قال : سبحان الله ! قلت: ما شأْنك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لي مثلَ ما قلتَ، فعجبتُ من اتفاقكما .

قال هارون وحدّثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفِيّ عن رجل سمّاه قال :

أتاني مُنقذ الهلالي ليلةً وضرب عليّ البابَ، فقلت : من هذا ؟ فقال : منقذ الهلاليّ؛ فخرجت فزِعاً، فقلت : فيم السُّرى — أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً —

في هذه الساعة ؟ قال : خير ، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين ، فتغذّيت بها معهم ، ثم أُتيت بقنينة نبيذ قد التقى طرفاها ، فشربتُ وذكرتُ قول نُصَيب :

بزينب ألمم قبل أن يَرحلَ الركبُ

فأنشدتُها فأطربَتني ، وفكَّرت في إنسان يفهم حُسن ذلك ويعرف فضله فلم أجد غيرَك فأتيتك . فقلت : ما جاء بك إلا هذا ؟ ! قال : لا ، وانصرف .

قال حماد : معنى قوله « التقى طرفاها » أي قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء .

ومما يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيَّة المذكورة قوله :

## صوت

خليليَّ من كَعْبٍ أَلِمّاً هُديتُما بزينبَ لا يَفقِدْكُما أبداً كعبُ
مِنَ اليومِ زُوراها فإنَّ رِكابَنا غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْبُ

الغناء لمالك خفيفُ ثقيل اول بالوسطى عن عمرو بن بانة .

## صوت

من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه :

النَّشرُ مِسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ

والدار وَحشٌ والرسوم كما رَقَّش في ظهر الأديم قَلَمْ
لستُ كأقوام خلائقهم نَثُّ أحاديث وهتكُ حُرَمْ

– نَثُّ الحديث: إشاعته. والعَنَم: شجر أحمر، وقيل: بل هو دود أحمر كالأساريع يكون في البقل في أيام الربيع. والأديم: الجلد. وجلد كل شيء أديمه. ورقَّشَ: زين – الشعر لمرقش الأكبر، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها.

# أخبار المرقش الاكبر ونسبه

المرّقش لقب غلب عليه بقوله :

الدار وَحشٌ والرسوم كما رقّش في ظهر الأديم قَلَمْ

وهو أحد من قال شعراً فلُقِّب به . واسمه – فيما ذكر أبو عمرو الشيباني – عمرو . وقال غيره : عَوف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة الحِصْن بن عُكابة بن صَعب بن علي بن بكر بن وائل . وهو أحد المتيَّمين . كان يهوى ابنةَ عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضُبيعة ، وكان المرقش الأصغر ابنَ أخي المرقش الأكبر . واسمه – فيما ذكر أبو عمرو – ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك . وقال غيره : هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك . وهو أيضاً أحد المتيَّمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويتشبّب بها . وكان للمرقّشَين جميعاً موقعٌ في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتقدُّم في المشاهد ونكايةٌ في العدوّ وحسنُ أثر . وكان عوف بن مالك بن ضُبيعة عمُّ المرقش الأكبر من فرسان بكر بن وائل . وهو القائل يوم قِضَة : يا لَبكر بن وائل ، أفي كل يوم فرار ! ومَحلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربتُه بسيفي . وبَرَكَ يقاتل ؛ فسمِّيَ البُرَكَ يومئذ . وكان أخوه عمرو بنُ مالكٍ أيضاً من فرسان بكر ، وهو الذي أسرَ مُهلهلاً التقيا في خَيلَين من غير مُزاحفة في بعض الغارات بين بكر وتغلب ، في موضع يقال له نَقَا الرَّمل ، فأنهزمتْ خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسره فأنطلق به الى قومه ، وهم في نواحي

هَجَر(١)، فأحسنَ إسارَه. ومرّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر، وكان صديقاً لمهلهل يشتري منه الخمر، فأهدى اليه وهو أسيرٌ زِقّ خمر؛ فاجتمع اليه بنو مالك فنحروا عنده بكراً وشربوا عند مهلهل في بيته - وقد أفرد له عمرٌ بيتاً يكون فيه - فلما أخذ فيهم الشرابُ تغنّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب؛ فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال: إنه لريّانُ، والله لا يشرب ماء حتى يَرِد رَبيبٌ - يعني جملاً كان لعمرو بن مالك، وكان يتناول الدّهاس(٢) من أجواف هجر فيرعى فيها غِبّاً بعد عشر في حَمارّة القَيْظ - فطلبت رُكبانُ بني مالك ربيباً وهم حِراص على ألّا يُقتَل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً. ونحر عمرو بن مالك يومئذ ناباً فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُه بنتُ المُحَلِّل أحدِ بني تغلب قد أرادت أن تأتيَه وهو أسير؛ فقال يذكرها:

طَفْلةٌ ما ابنةُ المحلِّل شَنْبا ءُ(٣) لَعُوب لذيذةٌ في العِناقِ

فلما بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات. فكان هَبَنّقَةُ القيسيّ أحدُ بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول - وكان مُحَمَّقاً وهو الذي تضرب به العربُ المثلَ في الحمق -: لا يكون لي جمل أبداً إلا سميتُه ربيباً (يعني أن ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً). ذكر ذلك أجمعَ ابنُ الكلبي وغيرُه من الرواة. والقصيدة الميمية التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقش يقولها في مَرْثِيَة ابن عم له. وفيها يقول:

---

(١) هجر: اسم يطلق على أكثر من موضع. والظاهر أنه يريد به هنا هجر التي قصبتها الصفا وبينها وبين اليمامة عشرة أيام وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوماً على الإبل لقربها من ديار بكر وتغلب.

(٢) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب.

(٣) الشنباء: التي في أسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة ويروى: بيضاء.

بل هل شجتك الظُّعن[1] باكرةً كأنها النخيل[2] من مَلْهَم[3]

**عشقه :**

قال أبو عمرو – ووافقه المفضل الضبي – : وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنتَ عوف بن مالك، وهو البُرَك، عشِقها وهو غلام فخطبها الى أبيها؛ فقال: لا أزوّجك حتى تُعرَف بالبأس – وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن – وكان يَعِده فيها المواعيد. ثم انطلق مرقش الى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه. وأصاب عوفاً زمانٌ شديد؛ فأتاه رجل من مُراد أحدُ بني غُطَيف، فأرغبه في المال فزوّجه أسماء على مائةٍ من الابل، ثم تنحّى عن بني سعد بن مالك. ورجع مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلّا أنها ماتت؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفّوها في مِلْحَفة ثم قبروها. فلما قدِم مرقّش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتوا به موضعَ القبر؛ فنظر اليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره. فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب، فقال أحدُهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنه قبرُ أسماء. فكشَف مرقّش عن رأسه ودعا الغلام – وكان قد ضَنِيَ ضَنىً شديداً – فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المراديّ أسماء؛ فدعا مرقّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيلة كان عَسِيفاً[4] لمرقّش، فأمرها بأن تدعوَ له زوجها فدعته، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المراديَّ عليها فأحضره إياها، فركبها ومضى في طلبه، فمرض في الطريق حتى ما يُحمَل إلّا معروضاً. وإنهما نزلا كهفاً بأسفل

(١) الظعن : النساء بهوادجهن .

(٢) في المفضليات : « كأنهن النخل ... » .

(٣) ملهم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل .

(٤) العسيف : الأجير والعبد المستعان به .

نَجران ، وهي أرض مراد ، ومع الغُفَليّ أمرأتُه وليدةُ مرقّش ؛ فسمع مرقّش زوجَ الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضُراً وجُوعاً . فجعلت الوليدةُ تبكي من ذلك ؛ فقال لها زوجها : أطيعيني ، وإلا فإني تاركُكِ وذاهب . قال : وكان مرقّش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْمَلةَ — وكانا أحبّ ولده اليه — الى نصرانيّ من أهل الحيرة فعلّمهما الخطّ . فلما سمع مرقّش قولَ الغُفَليّ للوليدة كتب مرقّش على مؤخّرة الرحل هذه الأبيات :

يا صاحبيَّ تَلَبَّثا لا تعجَلَا ... إنّ الرواح رهينُ ألّا تفعَلَا
فلعلّ لُبثَكما يُفرّط سَيّئاً ... أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيباً مُقبِلَا [١]
يا راكباً إمّا عرضتَ فبلّغَنْ ... أَنَسَ بن سعدٍ إن لَقِيتَ وحَرْمَلا [٢]
لله دَرُّكما ودَرُّ أبيكما ... إن أفلتَ العَبْدان حتى يُقتَلَا
مَنْ مُبلغُ الأقوام أنّ مرقّشاً ... أضحى على الأصحاب عبئاً مُثقِلَا [٣]
وكأنّما تَرِدُ السباعُ بِشِلوه ... إذْ غاب جمعُ بني ضُبَيْعة مَنهلَا

قال : فانطلق الغفليّ وأمرأتُه حتى رجعا الى أهلهما ، فقالا : مات المرقّش . ونظر حرملةُ الى الرحل وجعل يقلّبه فقرأ الأبيات ؛ فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضعَ ، فركب في طلب المرقّش حتى أتى المكانَ ، فسأل عن خبره فعرف أن مرقّشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا

---

(١) قال صاحب المفضليات في التعليق على هذا البيت : «قال أبو عكرمة : يفرط : يقدّم ، مأخوذ من الفارط وهو المتقدّم قبل الماشية يصلح الدلاء والأرشية والحياض . يقول : لعل انتظاركما يقدّم عنكما مكروهاً . ولعل سيباً مقبلاً يكون بعد عجلتكما ، فانتظاركما أوفق . قال : وقال أبو عمرو : الإفراط : التقدّم والعجلة ، يقول إن أبطأتما فعرض لكما شر فلعله أن يخطئكما وإن تقدّمتما فعرض خير بعدكما فلعله لا يصادفكما» .

(٢) أنس بن سعد وحرملة : هما أخوا مرقش .

(٣) زاد صاحب المفضليات بعد هذا البيت وقبل الاخير بيتاً وهو :

ذهب السباع بأنفه فتركنه ... أعثى عليه بالجبال وجيئلا

ويعني بالأعثى : الضبعان وهو ذكر الضباع . والجيئل : الأنثى .

هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها اليها . فلما بَصُر به قال له : من أنت وما شأنُك ؟ فقال له مرقش : أنا رجل من مُراد، وقال للراعي : من أنت ؟ قال راعي فلان، وإذا هو راعي زوج أسماء . فقال له مرقّش : أتستطيع أن تكلّم أسماء امرأةَ صاحبِك ؟ قال : لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جاريتُها كلَّ ليلة فأحلُب لها عنزاً فتأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمي هذا، فإذا حلبتَ فألقه في اللبن، فإنها ستعرفه، وإنك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنت فعلت ذلك . فأخذ الراعي الخاتم . ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه؛ فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرّغوة أخذته فشربته، وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثَنِيَّتها، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته؛ فقالت للجارية : ما هذا الخاتم؟ قالت : ما لي به علم؛ فأرسلتها الى مولاها وهو في شَرَفٍ بنَجْران؛ فأقبل فَزِعاً، فقال لها : لِمَ دعوتني؟ قالت له : ادعُ عبدك راعيَ غنمك فدعاه؛ فقالت : سَله أين وجد هذا الخاتم! قال : وجدتُه مع رجل في كهف خُبّان . — قال : ويقال كهف جبار — فقال : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيبٌ به خيراً، وما أخبرني من هو، ولقد تركته بآخر رَمَق . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم؟ قالت : خاتم مرقّش، فأعجِل السّاعة في طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرّقاه من ليلتهما فاحتملاه الى أهلها، فمات عند أسماء . وقال قبل أن يموت :

سَرى ليلاً خيالٌ من سُلَيْمَى فأرّقني وأصحابي هُجودُ
فبِتّ أدير أمري كلّ حالٍ وأذكر أهلها وهمُ بعيد
على أنْ قد سما طَرْفي لنارٍ يُشبّ لها بذي الأرْطى[1] وَقود
حَواليها مَهاً بِيضُ التّراقي[2] وآرامٌ وغِزلانٌ رُقود

(١) الأرطى : شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى، ينبت عصيا من أصل واحد ويطول قدر قامة، وله نور مثل نور الخلاف ورائحته طيبة .

(٢) في المفضليات : « جم التراقي » . يريد أن عظامها قد غمرها اللحم فلا حجم لها .

نواعمُ لا تُعالج بؤسَ عيشٍ أوانسُ لا تروحُ[1] ولا تَرودُ
يَرُحْن معاً بِطاءَ المشي بُدّاً[2] عليهنّ المجاسد والبُرُود
سكنَّ ببلدةٍ وسكنتُ أخرى وقُطِّعتِ المواثقُ والعهود
فما بالي أفي ويُخان عهدي وما بالي أصاد ولا أصيدُ
ورُبَّ أسيلةِ الخدّين بكرٍ مُنَعَّمَةٍ لها فرعٌ وجيد[3]
وذو أُشُرٍ[4] شتيتُ النبتِ عذبٌ نقيُّ اللون برّاقٌ برود
لهوتُ بها زماناً في[5] شبابي وزارتها النجائب والقصيد
أُناسٌ كلّما أخلقت وصلاً عناني منهمُ وصلٌ جديد

ثم مات عند أسماء، فدُفِن في أرض مُراد.

وقال غيرُ أبي عمرو والمفضّل:

أتى رجل من مُراد يُقال له قرنُ الغزال، وكان مُوسراً، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُملِقاً؛ فزوّجها أبوها من المراديّ سرّاً؛ فظهر على ذلك مرقش فقال: لئن ظفرتُ به لأقتلنّه. فلما أراد أن يَهتديها[6] خاف أهلها عليها وعلى بعلها من مرقّش، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقّش في إبله، وبنى المراديُّ بأسماء واحتملها الى بلده. فلما رجع مرقّش الى الحيّ رأى غلاماً يتعرّق عظماً؛ فقال له: يا غلام، ما حدث بعدي في الحيّ؟ وأوجس في صدره خيفةً لِما كان؛ فقال الغلام:

(١) في المفضليات: «لا تراح».

(٢) بد: جمع أبد والأنثى بداء. وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكا.

(٣) استشهد بهذا البيت في النحو على حذف الصفة وإبقاء الموصوف، أي لها فرع فاحم وجيد طويل. إذ هذا البيت للمدح، وهو لا يحصل بإثبات الفرع والجيد مطلقين بل بإثباتهما موصوفين بصفتين محبوبتين.

(٤) الأشر: تحزز في الاسنان يكون في الاحداث.

(٥) في المفضليات: «من شبابي».

(٦) يقال: اهتدى الرجل امرأته إذا جمعها اليه وضمها.

اهتدى المراديُّ امرأتَه أسماء بنتَ عوف . فرجع مرقش الى حيّه فلبس لأمته وركب فرسه الأغرّ ، واتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المراديّ . فلما طلع لهم قالوا للمراديّ : هذا مرقّش ، وإن لقيك فنفسك دون نفسه . وقالوا لأسماء : إنه سيمرّ عليك ، فأطلعي رأسك اليه وأسفِري ؛ فإنه لا يرميك ولا يضرّك ، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك ، حتى يلحقه إخوته فيردّوه . وقالوا للمراديّ : تقدّم فتقدّم . وجاءهم مرقّش . فلما حاذاهم أطلعت أسماء من خِدرها ونادته ، فغضّ[1] من فرسه وسار بقربها ، حتى أدركه أخواه أنسٌ وحرملة فعذلاه وردّاه عن القوم . ومضى بها المراديّ فألحقها بحيّه . وضَنِيَ[2] مرقّش لفراق أسماء . فقال في ذلك :

أمِنْ آلِ أسماءَ الرسومُ الدوارسُ تُخطِّط فيها الطيرُ قفرٌ بسابسُ[3]

وهي قصيدة طويلة . وقال في أسماء أيضاً :

أغالبُكَ القلبُ اللجوجُ صبابةً وشوقاً الى أسماءَ أم أنت غالبُهْ
يهيم ولا يعيا بأسماء قلبُه كذاك الهوى إمرارُه وعواقِبُهْ
أيُلحَى امرؤٌ في حبّ أسماء قد نأى بغَمْزٍ من الواشين وازورّ جانبُهْ
وأسماءُ همُّ النفس إن كنتَ عالماً وبادي أحاديث الفؤادِ وغائبُهْ
إذا ذكرتْها النفسُ ظلّتُ كأنني يُزعزعني قَفقافُ وِرْدٍ وصالبُهْ[4]

وقال أبو عمرو : وقع المجالد بن ريّان ببني تَغلِب بجُمْران[5] فنكى فيهم وأصاب مالاً وأسرى ، وكان معه المرقش الأكبر ، فقال المرقش في ذلك :

أتتني لسانٌ[6] بني عامرٍ فجلّى أحاديثُها عن بَصَرْ

---

(١) يقال : غض من فرسه إذا نقص من غربه وحدته .
(٢) ضني : مرض مرضاً مخامراً كلما ظن برؤه نكس .
(٣) قال شارح المفضليات في التعليق على هذا البيت : «قال أبو عمرو : تخطط فيها الطير اي ترعى» .
(٤) الورد : من أسماء الحمى . وقفقافه : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . وصالبه : شدة حرارته مع رعدة .
(٥) جمران : موضع ببلاد الرباب ، أو هو ماء .
(٦) اللسان هنا : الرسالة . وجلى أحاديثها عن بصر : أي كشفت أحاديثها العمى .

بأنَّ بني الوَخم[١] ساروا معاً بجيش كضوء نجوم السَّحَر[٢]

بكلِّ خَبُوبِ السُّرَى نَهدَةٍ[٣] وكل كُمَيْتٍ طُوالٍ أغرّ

فما شَعَرَ الحيُّ حتى رأوْا بريقَ القوانِسِ فوقَ الغُرَرْ[٤]

فأقبلنَهم ثم أدبرنَهم وأصدرنهم قبلَ حينِ الصَّدَر

فيا رُبَّ شِلْوٍ تَخَطَّفْنَه[٥] كريمٍ لدَى مَزحَفٍ أو مَكَرّ

وكائن بجُمْرانَ من مُزعَفٍ ومن رجلٍ وجهُه قد عُفِر

---

(١) بنو الوخم: بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة .

(٢) في شرح المفضليات : «قال الأصمعي : خص نجوم السحر لان النجوم التي تطلع في آخر الليل كبار النجوم ودراريها وهي المضيئة منها» .

(٣) يروى «بكل نسول السرى» — والنسول : السريعة السير — و «بكل خنوف السرى» أي خفيفة لينة رجع اليدين بالسير . ونهدة : ضخمة .

(٤) القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه . ويروى : «فوق العذر» . والعذر : شعر العرف والناصية .

(٥) الشلو : بقية الجسد . وتخطفنه : استلبنه، وقيل : جاوزنه وخلفنه .

# واما المرقش الاصغر

فهو – على ما ذكر أبو عمرو – رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة . والمرقش الأكبر عمّ الأصغر، والأصغر عمّ طرَفة بن العبد . قال أبو عمرو : والمرقّش الاصغر أشعر المرقّشَين وأطولها عمراً . وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر، وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان، وكان لها قَصر بكاظمة[1] وعليه حَرَس . وكان الحرس يَجُرّون كل ليلة حوله الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان . وكان لبنت عجلان في كلّ ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها . فقال عمرو بن جَناب بن مالك لمرقّش : إنّ بنت عجلان تأخذ كلّ عشيَّة رجلًا ممن يُعجبها فيبيت معها . وكان مرقش تَرْعِية[2] لا يفارق إبلَه، فأقام بالماء وترك إبلَه ظمأى، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعْراً . وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعد فوق القصر فتنظر الى الناس . فجاء مرقش فبات عند ابنة عجلان؛ حتى اذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك ؟ – وإذا نُكَتٌ كأنها التين وكآثار السِّياط من شدَّة حَفْزه إياها عند الجماع – قالت : آثار رجل بات معي الليلة . وقد كانت فاطمةُ قالت لها : لقد رأيت رجلًا جميلًا راح نحوَنا بالعشيَّة لم أره قبلَ ذلك؛ قالت : فإنه فتًى قعد عن إبله وكان يرعاها، وهو الفتى الجميل الذي رأيتِه، وهو الذي بات معي فأثّر فيّ هذه الآثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقدّمي له مِجْمَراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سِواكاً، فإن استاك به أو ردّه فلا خير فيه، وإن قعد على المجمر أو ردّه فلا خير

(١) كاظمة : على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها آبار كثيرة .

(٢) رجل ترعية : يجيد رعية الإبل، أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل .

فيه . فأتته بالمجمر فقالت له : اقعُد عليه؛ فأبى وقال : أدنيه مني، فدخّن لِحيته وجُمّته وأبى أن يقعد عليه، وأخذ السواك فقطع رأسه وأستاك به . فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صنع؛ فأزدادت به عجباً وقالت : ائتيني به . فتعلقتْ به كما كانت تتعلق، فضى معها وأنصرف أصحابه . فقال القوم حين أنصرفوا : لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجلان المرقّشَ ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجرُّون عليه ثوباً حين تُمسي ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقافة فينظرون أثرَ من دخل اليها ويعودون فيقولون له : لم نرَ إلا أثر بنت عجلان . فلما كانت تلك الليلة حملتْ بنتُ عجلان مرقِّشاً على ظهرها وحزّمته الى بطنها بثوب، وأدخلته اليها فبات معها . فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا اليه فقالوا : نظرنا أثر بنت عجلان وهي مُثقَلة . فلبث بذلك حيناً يدخل اليها . فكان عمرو بن جَناب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : ألم تكن عاهدتَني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب ؟ ! فأخبره مرقّشٌ الخبرَ؛ فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلّمك أبداً أو تُدخلَني عليها، وحلف على ذلك . فأنطلق المرقّش الى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وأنصرف وأخبره كيف يصنع، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشعر، فأتته بنت عجلان فأحتملته وأدخلته اليها وصنع ما أمره به مرقِّش . فلما أراد مباشرتها وجدتْ شعرَ فخذيه فأستنكرته، واذا هو يُرعَد؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت : قبّح الله سرّاً عند المُعيدي . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به، وأنطلق الى موضع صاحبه . فلما رآه قد أسرع الكرّةَ ولم يلبث إلا قليلاً، علم أنه قد افتضح، فعضّ على إصبعه فقطعها. ثم انطلق الى أهله وترك المال الذي كان فيه — يعني الابل التي كان مقيماً فيها — حياء مما صنَع . وقال مرقش في ذلك :

ألا يا أسلَمي لا صُرمَ لي اليوم فاطماً ... ولا أبداً ما دام وصلُكِ دائماً

رمتكَ ابنةُ البكريّ عن فرع ضالَةٍ ... وهنّ بنا خُوصٌ يُخَلن نعائماً [1]

(١) الضال من السدر : ما لم يشرب الماء . والخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . والنعائم : جمع نعامة .

تراءت لنا يوم الرحيل بوارد ... وعذب الثنايا لم يكن متراكما [١]
سقاه حباب [٢] المزن في متكلل ... من الشمس روّاه ربابا سواجما
أرتك بذات الضال منها معاصما ... وخدا أسيلا كالوذيلة [٣] ناعما
صحا قلبه عنها على أنّ ذكرة ... اذا خطرت دارت به الأرض قائما
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... خرجن سراعا واقتعدن المفائما [٤]
تحملن من جو الوريعة [٥] بعد ما ... تعالى النهار وانتجعن الصرائما [٦]
تحلين ياقوتا وشذرا وصيغة ... وجزعا ظفاريا ودرا توائما [٧]
سلكن القرى والجزع تحدى جمالها ... وورّكن قوّا واجتزعن المخارما [٨]
ألا حبذا وجه تريك بياضه ... ومنسدلات [٩] كالمثاني فواحما
واني لأستحيي فطيمة جائعا ... خميصا وأستحيي فطيمة طاعما
واني لأستحييك والخرق [١٠] بيننا ... مخافة أن تلقي أخا لي صارما

(١) الوارد من الشعر : الطويل . والفم المتراكم : المتقارب النبات قد ركب بعض اسنانه بعضاً .

(٢) في المفضليات : « حيّ المزن » وحي المزن : ما اقترب منه .

(٣) الوذيلة : سبيكة الفضة .

(٤) المفائم : العظائم من الإبل ، وقيل : هي المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مفأم . واقتعدن : ركبن .

(٥) الوريعة : حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم . والحزم : ما غلظ من الارض وكثرت حجارته وأشرف حتى صار له إقبال لا يعلوه الناس والإبل إلا بالجهد .

(٦) الصرائم : جمع صريمة وهي القطعة من الرمل تنقطع من معظم الرمل .

(٧) الشذر : اللؤلؤ الصغير ، وقيل : هو خرز يفصل به بين الجواهر في النظم . والجزع : الخرز . وظفاري : نسبة الى ظفار ، بلد باليمن ينسب اليها الجزع .

(٨) الجزع : منعطف الوادي . ووركن : عدلن . وقوّ : منزل للقاصد الى المدينة من البصرة ، يرحل من النباج فينزل قوا ، واجتزعن : قطعن . والمخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طريق . وقيل : هو أطراف الطرق في الجبال .

(٩) منسدلات : يريد ذوائب من الشعر مسترخية . والمثاني : الحبال . شبه ذوائب الشعر بالحبال في الطول . وفواحم : سود .

(١٠) الخرق : ما اتسع من الارض .

وإني وإن كلّت قَلوصي لَراجمٌ ... بها وبنفسي يا فُطيمَ المَراجما
ألا يا اَسلمي بالكوكب الطَّلْق[١] فاطماً ... وإن لم يكن صَرفُ النوى متلائما
ألا يا اَسلمي ثم اَعلمي أنّ حاجتي ... إليك فردّي من نوالك فاطما
أفاطمَ لو أنّ النساء ببلدةٍ ... وأنت بأخرى لأَتبعتُك[٢] هائما
متى ما يشأ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه ... ويَغضَبْ عليه لا محالة ظالما
وآلى جَنابٌ حِلفةً فأطعتَه ... فنفسَك ولِّ اللَّوْمَ إن كنت نادما
فمن يلقَ خيراً يحمَدِ الناسُ أمرَه ... ومن يَغوِ لا يعدَم على الغَيِّ لائما
ألم تَرَ أنّ المرء يَجذِمُ كفَّه ... ويَجشَمُ من لوم الصديق المَجاشما[٣]
أمن حُلُمٍ أصبحتَ تَنكُتُ واجماً[٤] ... وقد تعتري الأحلامُ من كان نائما

# صوت

## من المائة المختارة

إذا قلتُ تَسلو النفسُ أو تنتهي المُنى ... أبى القلبُ إلا حبَّ أمِّ حَكيمِ
مُنعَّمةً صفراءَ حُلوٌ دلالُها ... أَبيتُ بها بعدَ الهُدُوءِ[٥] أَهيمُ[٦]
قَطوفٌ[٧] الخُطا مَحطوطة[٨] المَتْنِ زانَها ... مع الحُسن خَلْقٌ في الجمال عَميمِ

الشعر مُختلَف في قائله، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد الله العَبْشمي، ومنهم من يرويه لقَطَريّ بن الفُجاءة المازِني، ومنهم من يرويه لعبيدة[٩] بن هِلال

(١) الطلق: الذي لا حر فيه ولا قر ولا شيء يؤذي.

(٢) في المفضليات: «لاتبعتك».

(٣) يجذم: يقطع. ويجشم: يركب المكروه.

(٤) نكت في الارض: خطط فيها بعود، وكذلك يفعل المغتم. وواجماً: حزيناً.

(٥) الهدوء: الهزيع من الليل.

(٦) في هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروي.

(٧) قطوف الخطا: ضيقتها.

(٨) يقال: جارية محطوطة المتنين أي ممدودتها أو هي ممدودة حسنة مستوية.

(٩) ضبط في الطبري بفتح العين وكسر الباء.

اليَشكُريّ . والغناء لِسياط، وله فيه لحنان : أحدهما، وهو المختار، ثقيلٌ أول بالوسطى، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . ولبعض الشُراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية ، وفيها ذِكرٌ لأمّ حكيم هذه أيضاً، تُنسب الى هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويُختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه . وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات منها :

لَعَمْرُكَ إنّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيشِ ما لم ألقَ أمَّ حكيمِ
ولو شهدَتْني يومَ دُولابَ أبصرَتْ طِعانَ فتىً في الحرب غيرِ ذَميمِ

ذكر المبرّد أن الشعر لقَطَريّ بن الفُجاءة ، وذكر الهيثم بن عديّ أنه لعَمْرو القَنا، وذكر وَهب بن جَرير أنه لحبيب بن سهم التَّميميّ ، وذكر أبو مِخنَف أنه لعبيدة بن هلال اليَشكُريّ ، وذكر خالد بن خِداش أنه لعمرو القنا أيضاً . والغناء لمعبد ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس .

# خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب

## وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

هذان الشعران قِيلا في وقعة دُولاب، وهي قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مُسلم بن عُبَيس بن كُرَيز خليفةِ عبد الله بن الحارث بن نَوفل بن عبد المطلب، وذلك في أيام ابن الزبير. أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شبّة عن المدائنيّ، وأخبرني بها عُبَيد الله بن محمد الرازي عن الخرّاز عن المدائنيّ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير بن حَرْب عن خالد بن خِداش:

أن نافعَ بنَ الأزرق، لمّا تفرّقتْ آراء الخوارج ومذاهبُهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقد كان متشكّكاً في ذلك. فقالت له امرأته: إن كنتَ قد كفرت بعد إيمانك وشكَكتَ فيه، فدع نِحلتك ودَعوتك، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر الى الايمان فاقتل الكفّار حيث لقِيتَهم وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح (﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾). فقَبِل قولها واستعرضَ[١] الناسَ وبَسَط سيفه، فقتل الرجال والنساء والوِلدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم. وإذا وطىء بلداً فعل مثلَ هذا به الى أن يُجيبَه أهلُه جميعاً ويدخلوا ملّته، فيرفع السيفَ

(١) استعرض الناس: قتلهم ولم يبال من قتل مسلماً او كافراً من أي وجه أمكنه.

ويضع الجباية فيجبي الخراجَ . فعظم أمرُه واشتدّت شوكته وفشا عمّاله في السواد فارتاع لذلك أهلُ البصرة ومشَوْا الى الأحنف بن قيس فشكَوْا اليه أمرَهم وقالوا له : ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان ، وسِيرتُهم كما ترى ؛ فقال لهم الأحنف : إنّ سيرتَهم في مصركم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم في سوادكم ، فخذوا في جهاد عدوِّكم . وحرّضهم الأحنفُ ، فاجتمع اليه عشرة آلاف رجل في السلاح . فأتاه عبدُ الله بن الحارث بن نوفل ، وسأله أن يؤمّر عليهم أميراً ، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة ، وكان فارساً شجاعاً ديِّناً ، فأمّره عليهم وشيّعه . فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة ، وإني لأحاربُ قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحهم . فمن كان مِن شأنه الجهادُ فلينهضْ ، ومن أحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلما صاروا بدُولاب خرج اليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى تكسّرت الرماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثرت الجراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد ؛ فقتل في المعركة ابنُ عُبيس وهو على أهل البصرة ، وذلك في جمادَى الآخرة سنةَ خمس وستين ، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذ أيضاً ؛ فعجب الناس من ذلك ، وأن الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسا العسكرين ، والشُراة يومئذ ستمائة رجل ، فكانت الحدّة يومئذ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سَدُوس . وأتى ابنُ عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو الغُدانيّ ، وكان يقال له الأجذم ، كانت يده أصيبت بكابُل مع عبدِ الرحمن بن سَمُرة . واستخلف نافعُ بن الأزرق عُبيدَ الله بن بَشير بن الماحوز أحدَ بني سَليط بن يَربوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَربوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَربوع ، ورئيس الشُراة من بني سَليط بن يربوع ، فاتّصلَتِ الحربُ بينهم عشرين يوماً . قال المدائني في خبره : وادّعى قتلَ نافع بن الأزرق رجلٌ من باهلة يقال له سَلامة . وتحدّث بعد ذلك قال : كنتُ لما قتلتُه على بِرْذونٍ(١) وَرْد فإذا أنا برجل ينادي ، وأنا واقف

(١) البرذون : واحد البراذين ، وهي من الخيل ما كانت من غير نتاج العرب .

في خُمس[١] بني تَميم ، فإذا به يعرض عليَّ المبارزة فتغافلتُ عنه ، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خُمس الى خُمس وليس يُزايلني ، فصِرتُ الى رَحلي ثم رجعت فدعاني الى المبارزة ، فلما أكثر خرجتُ اليه ، فاختلفنا ضربتين فضربته فصرَعتُه ، ونزلتُ فأخذت رأسه وسلبتُه ، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعاً، فخرجت لتثأر به .

قالوا : فلما قُتل نافع وابن عُبيس ووُلّي الجيش الى رَبيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُراة نيِّفاً وعشرين يوماً، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إني مقتول لا محالة؛ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إني رأيت البارحةَ كأنّ يدي التي أصيبت بكابُل انحطّتْ من السماء فاْستَشلتْني . فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم[٢] فقُتل يومئذ — قال : استشلاه : أخذه اليه . يقال : استشلاه واشتلاه — قال : فلما قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس ؛ ثم أجمعوا على الحجّاج بن باب الحِمْيَريّ . وقد اقتتل الناسُ يومئذ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصّفتْ ، ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون[٣] بالأفواه . فلما تدافع القومُ الراية وأبوْها واتفقوا على الحجّاج بن باب امتنع من أخذها . فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن : خذها فإنها مَكرُمة ؛ فقال : إنها لراية مشئومة ، ما أخذها أحد إلا قُتل . فقال له كُرَيب : يا أعور ! تقارعتِ العربُ على أمرها ثم صيّروها اليك فتأبى خوفَ القتل ! خذ اللواء ويحك ! فإن حضر أجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن . فأخذ اللواء وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كراديس[٤] ، والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن[٥] . وجعل الحجّاجُ

(١) أخماس البصرة خمسة : الخمس الاول العالية، والثاني بكر بن وائل، والثالث تميم، والرابع عبد القيس، والخامس الأزد .

(٢) غاداهم : باكرهم .

(٣) تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

(٤) الكراديس : كتائب الخيل، واحدها كردوس .

(٥) الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

يُغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشُراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنه قد قُتل ، ثم يرفع رأسه وسيفُه يقطر دماً ، ويفتح عينيه فيرى الناسَ كَراديسَ يقاتل كلُّ قوم في ناحية . ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمران بن الحارث الراسبيّ ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحد منهما قتل صاحبه ، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا ؛ وأصبح أهل البصرة – وقد هرب عامّتهم ، وولّوا حارثةَ بن بدر الغُداني أمرَهم – ليس بهم طِرْق[1] ولا بالخوارج . فقالت امرأة من الشُراة – وهي أم عِمران قاتِل الحجّاج بن باب وقتيله – ترثي ابنها عِمران :

اللهُ أيّد عِمراناً وطَهّره    وكان عِمرانُ يدعو الله في السَّحَرِ
يدعوه سِرّاً وإعلاناً ليرزقه    شهادةً بيدَيْ مِلحادةٍ[2] غُدَرِ
ولّى صحابتُه عن حَرّ مَلحمةٍ    وشدّ عِمرانُ كالضِرغامة[3] الذكِرِ[4]

قال : فلما عَقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا اليه الراية نادى فيهم بأن يثبُتوا ، فإذا فَتح اللهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالي زيادة فريضة ؛ فندَب الناسَ فالتقَوْا وليس بأحد منهم طِرْق ، وقد فَشَت فيهم الجراحاتُ فلهم أنين ، وما تطأ الخيل إلا على القتلى . فبينا هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشراة – يقول المكثِر إنهم مائتان والمقلِّل إنهم أربعون – فاجتمعوا وهم مُريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبةً[5] واحدة ، فحملوا على المسلمين . فلما رآهم حارثة بن بَدر نكَص برايته فانهزم وقال :

---

(١) الطرق : القوة .

(٢) الملحادة : مفعال من الإلحاد . وغدر : كثير الغدر .

(٣) الضرغامة : من أسماء الأسد .

(٤) ويروى : « الهصر » والهصر : الذي يهصر كل شيء أي يثنيه .

(٥) الكبكبة : الجماعة .

كَرْنبـوا[١] ودَوْلِبوا وحيثُ شئتم فاذهبوا[٢]

وقال :

أيرُ الحمار فريضـةٌ لعبيدكم والخُصيتان فريضة الأعرابِ

وتتابع الناسُ على أثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارج ، فألقوا أنفسهم في دُجَيْل[٣] فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيَّتُهم . وكان ممن غرق دَغفَل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان . ولحقتْ قِطعةٌ من الشراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم ، فعطفت عليهم خيلٌ من بني تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى أصحابهم . وعبَرتْ بقيَّةُ الناس ، فصار حارثةُ ومن معه بنهر تِيرَى[٤] والشراة بالأهواز ، فأقاموا ثلاثة أيام . وكان على الأزد يومئذ قَبيصة بن أبي صُفرة أخو المهلَّب ، وهو جدّ هزارمَرْد . قال : وغرق يومئذ من الأزد عدد كثير . فقال شاعر الأزارقة :

يَرَى مَنْ جاء ينظر من دُجَيلٍ شيوخَ الأزْد طافيـةً لِحاها

وقال شاعر آخر منهم :

شَمِتَ ابنُ بدرٍ والحوادث جمّة والظالمون بنافـع بن الأزرقِ
والموتُ حَتمٌ لا محالةَ واقـعٌ مَن لا يُصَبِّحْهُ نهـاراً يَطرُقِ[٥]

---

(١) كرنبوا : انزلوا كرنبى وهي موضع بالأهواز . ودولبوا : انزلوا دولاب .

(٢) يقال : إن سبب قول الحارثة هذا الشعر هو أنه لما خلف الحجاج بن باب على إمرة الجيش وجاء الخوارج هذا المدد الكثير المريح حملوا على المسلمين فانهزموا ، وبقي حارثـة يناوش الخوارج بمنزل نزله بمن بقي معه بالأهواز .

(٣) دجيل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ، ومخرجـه من أرض أصبهان ومصبه في بحر فارس .

(٤) تيرى : بلد من نواحي الأهواز : ونهر تيرى حفرَه أردشير الاصغر بن بابك .

(٥) طرقه يطرقه : أتاه ليلاً .

فلئن أميرَ المؤمنين أصابه ريبُ المنون فمَنْ تُصِبه يَغلقِ [١]

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد ، وقال المدائني في خبره : إن صالح أبنَ عبدِ الله العَبْشَميّ قائلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِداش : بل قائلها عمرو القَنا ؛ قال وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثني به أحمد بن الجعْد الوَشَّاء عن أحمد بن أبي خَيثمة عن أبيه عن وَهْب بن جَرير عن أبيه : إن حَبيب بن سَهم قائلها :

لعمرُكَ إنّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم ألقَ أمَّ حَكيمِ
مِنَ الخفِرات البِيض لم أر مثلها شِفاء لِذي بَثٍّ ولا لِسَقيم
لعمرُكَ إني يومَ ألطِمُ وجهَها على نائبات الدهر غيرُ حليم
ولو شَهدَتني يوم دولاب أبصرتْ طِعانَ فتًى في الحرب غيرِ لئيم
غداةَ طفَتْ عَلماءِ [٢] بكرُ بن وائل وألافُها مِنْ حِمْيَرٍ وسُليم [٣]
ومالَ الحجازيّون نحوَ بلادهم وعُجْنا صدورَ الخيل نحو تَميم
وكان لعبد القَيس أوّلُ جِدّها وولّتْ شيوخُ الأزدِ فهي تَعُوم [٤]
فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعَصاً يَمُجّ دماً من فائظٍ وكَليم [٥]
وضاربةً حدّاً كريماً على فتًى أغرَّ نجيبِ الأمّهات كريم
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطناً له أرضُ دولابٍ ودَيرُ حَميم [٦]
فلو شَهدتنا يومَ ذاك وخيلُنا تُبيح من الكُفّار كلَّ حَريم

(١) أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق ، أي لا ينفلت ولا ينجو . مأخوذ من غلق الرهن في يد المرتهن ، اذا لم يقدر على فكاكه واستخلاصه .

(٢) يريد : على الماء .

(٣) يريد سليم بالتصغير فكبره للوزن . وسليم أبو قبيلة ، وهو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر .

(٤) في هذا البيت إقواء .

(٥) المقعص : يقال : أقعصه بالرمح إذا طعنه به فات مكانه . والفائظ : الميت ، فعله فاظ يفيظ ويفوظ فيظاً وفوظاً . والكليم : الجريح .

(٦) دير حميم : موضع بالأهواز .

رأت فتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهم بجنَّاتِ عَدْنٍ عنده ونَعيمِ

حدَّثني حَبيب بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا خَلّاد[1] الأرقط قال:

كان الشراة والمسلمون يتوافقون ويتساءلون بينهم عن أمر الدّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضهم بعضاً. فتواقف يوماً عبيدة بن هِلال اليَشْكُري وأبو حُزابة[2] التَّميميّ وهما في الحرب؛ فقال عبيدة: يا أبا حُزابة، إني سائلك عن أشياء، أفتصدُقني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمَّنْتَ لي مثلَ ذلك؛ قال: قد فعلتُ. قال: سل عما بدا لك. قال: ما تقول في أئمتكم؟ قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام. قال: وَيحك! فكيف فعلُهم في المال؟ قال: يَجبونه من غير حِلّه، ويُنفقونه في غير حقه. قال: فكيف فعلُهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه مالَه، ويمنعونه حقه، وينيكون أمّه. قال: ويلك يا أبا حُزابة! أفمثلَ هؤلاء تتّبع؟! قال: قد أجبتُ، فاسمع سؤالي ودع عنكَ عتابي على رأيي؛ قال: قُل. قال: أيُّ الخمر أطيبُ: أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال: ويلك! أتسأل مثلي عن هذا؟ قال: قد أوجبتَ على نفسك أن تُجيب؛ قال: أمّا إذ أبيتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمر السهل أحسنُ وأسلس. قال أبو حُزابة: فأيّ الزَّواني أفره: أزواني رامَهُرْمُز[3] أم زواني أرَّجان[4]؟ قال: ويلك! إن مثلي لا يُسأل عن مثل هذا؛ قال: لا بدّ من الجواب أو تغدُر؛

---

(١) هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري المعروف بالأرقط صهر يونس بن حبيب النحوي.

(٢) هو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر من شعراء الدولة الأموية.

(٣) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان والعامة يسمونها «رامز» اختصاراً.

(٤) أرجان: مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه، وهي برية بحرية سهلية جبلية، وبينها وبين سوق الأهوازستون فرسخاً.

فقال : أما إذ أبيت فزواني رامُهُرْمُز أرقّ أبشاراً ، وزواني أرّجان أحسن أبدانا . قال : فأيّ الرجلين أشعر : أجرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ! أيّهما الذي يقول :

وَطوى الطِّرادُ مع القِياد بطونَها طيَّ التِّجار بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

قال : جرير ؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا الى المهلّب محكّمين له في ذلك ؛ فقال : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني ! ما كنت لأحكم بينهما ، ولكني أدلّكم على من يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّراة فسلُوهم إذا تواقفتم . فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال :

حُدّثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قَطَريّ بن الفُجاءة يقال لها أمُّ حَكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسُّكاً ، وخطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجب الى ذلك ؛ فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز :

أحمِلُ رأساً قد سئمتُ حَمْلَهْ وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغسلَهْ
ألا فتًى يحمل عنّي ثِقْلَهْ

قال : وهم يُفدّونها بالآباء والأمّهات ، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال :

كان عبيدة بن هلال إذا تكافّ الناسُ ناداهم : ليخرج إليّ بعضكم ؛ فيخرج اليه فِتيان من العسكر؛ فيقول لهم : أيما أحبُّ اليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أنشدُكم الشعر ؟ فيقولون له : أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك، فأنشدْنا ؛ فيقول لهم : يا فَسَقةُ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعرَ على القرآن، ثم لا يزال يُنشِدهم ويستنشدهم حتى يَملّوا ثم يفترقون .

# أخبار سياط ونسبه

سِياطٌ لقبٌ غلب عليه، واسمُه عبد الله بن وهب، ويُكْنى أبا وهب، مكيّ مولى خُزاعة . وكان مقدَّماً في الغناء روايةً وصنعة، ومقدَّماً في الضرب معدوداً في الضُّرّاب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي، وعنه أخذا ونَقلا ونقل نظراؤهما الغناء القديم، وأخذه هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوجَ أمِّ ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء :

ما سمعتُ الغناءَ إلّا شَجاني    مِن سياطٍ وزادَ في وَسواسِي
غَنِّني يا سياطُ قد ذهب الليلُ غناءً يَطير منه نُعاسِي
ما أبالي إذا سمعتُ غناءً    لسياطٍ ما فاتني للرُّؤاسِي

والرؤاسيّ الذي عَناه هو عباس بن مِنقار، وهو من بني رُؤاس . وفيه يقول محمد ابن أبان الضبّيّ :

اذا واخيتَ عباساً    فكن منه على وَجْلِ[1]
فتًى لا يقبل العذرَ    ولا يرغب في الوصْلِ
وما إن يتغنّى مَن    يُواخيه من النُّبلِ

**سبب تلقيبه بسياط :**

قال حمّاد بن إسحاق : لُقب سِياطٌ هذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يتغنّى :

كأنّ مَزاحِفَ الحيّاتِ فيه    قُبَيلَ الصبح آثارُ السِّياطِ

---

(١) الوجل بالتحريك، سكن لضرورة الشعر .

وأخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه، وأخبرني بـه عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسواسة الموصليّ — ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة — عن حماد عن أبيه، قالا :

**عند المهدي :**

غنّى إبراهيمُ الموصليّ يوماً صوتاً لسِياط؛ فقال له ابنه إسحاق : لمن هذ الغناء يا أبتِ ؟ قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله : لسياط . قال : وقـال المهديّ يوماً وهو يشرب لسَلّام الأبرش[1] : جئني بسِياط وعقاب وجِبـال؛ فارتاع كلٌ من حضر وظنّ جميعهم أنه يريد الايقاع بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغنّي وعقاب المدني — وكان الذي يُوقع عليه — وجبـال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك .

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني حماد أبن إسحاق عن أبيه قال :

مرّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليـه ثوب رقيق رثّ؛ فوثب اليه أبو ريحانة وقال : بأبي أنت يا أبا وهب، غنّني صوتَك في شعر أبن جُندَب :

فؤادي رَهـينٌ في هواك ومهجتي تذوب وأجفـاني عليك هُمولُ

فغنّاه إياه، فشقّ قميصه ورجع الى موضعه من الشمس وقـد ازداد برداً وجهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غَنّاك من شقّ قميصك ! فقال له يأبن أخي، إن

---

(١) هو سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات الى اللغـة العربية في ايام البرامكة، وهو احد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعي لأرسطو المعروف بسماع الكيان، وهـو ثماني مقالات . وقد ترجم هذا الكتاب من اليوناني الى السرياني ومنهـا الى العربي ، ومن الرومي الى العربي، ولم ندر اللغة التي ترجم منها الى اللغة العربية أهي السريانية أم الرومية .

الشعر الحسنَ من المغنّي الحسنِ ذي الصوتِ المُطرِب أدفأ للمقرور من حَمّام مُحمّى.
فقال له رجل : أنت عندي من الذين قال الله جل وعزّ : (فما ربحت تجارتُهم وما كانوا مُهتَدِينَ)؛ فقال : بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى : (الَّذِينَ يَستَمعونَ القولَ فيَتَّبِعونَ أحسَنَه). وقد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبه فذكر قريباً من هذا؛ ولفظُ أبي أيوب وخبرُه أتم.

وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشِيعي، المعروف بابن أبي اليَسَع، قال حدّثنا عمر ابن شَبَّة :

أنّ سِياطاً مَرّ بأبي رَيحانة المَدنيّ، فقال له : بحق القبر ومَن فيه غَنّني بلَحنك في شعر ابن جُندب :

لكلّ حَمامٍ أنت باكٍ اذا بكى ودمعُك منهلٌ وقلبك يخفُقُ
مخافةَ بُعدٍ بَعدَ قُربٍ وهجرةٍ تكون ولمّا تأتِ والقلبُ مُشفِق
ولي مهجةٌ ترفضُّ من خوف عَتْبها وقلبٌ بنار الحبّ يَصلى ويُحرَق
أظلّ خليعاً بين أهلي متيَّماً وقلبي لِما يرجوه منها معلَّق

فغنّاه إيّاه؛ فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشي عليه.
فقال له رجل لمّا أفاق : يا أبا ريحانة، ما أغنى عنك الغناء! ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ ما تقدّم.

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال :

مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قِربةٌ وهي تغنّي وتقول :

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابةٍ إليّ ولا ليلى لذي الودّ تبذُلُ
وأخنع بالعُتبى اذا كنتُ مُذنباً وإن أذنبتُ كنتُ الذي أتنصّلُ

فقام اليها فقال : يا سيّدتي أعيدي؛ فقالت : مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري؛

فقال : أنا أحملها عنك؛ فدفعتها اليه فحملها، وغنته الصوت، فطرب فرمى بالقربة فشقّها . فقالت له الجارية : أمن حقّي أن أغنّيَك وتشقّ قربتي ! فقال لها : لا عليك، تعالَيْ معي الى السُّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلحفته واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا رَيحانة، أنت والله كما قال الله عز وجل : ( فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهمْ وما كانوا مُهتدينَ ) ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عز وجل : ( الّذين يَستمعونَ القولَ فيتّبعونَ أحسنَه ) .

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني أبو العَيناء قال قال إسحاق الموصليّ :

بلغني أنّ أبا رَيحانة المدنيّ كان جالساً في يومٍ شديد البرد وعليه قميص خَلَق رَقيق؛ فمرّ به سِياط المغنّي فوثب اليه وأخذ بلِجامه وقال له : يا سيّدي، بحق القبر ومَن فيه غنّني صوت ابن جُندب، فغنّاه :

فؤادي رهينٌ في هَواكِ ومُهجتي تَذُوب وأجفاني عليك هُمولُ

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقي عارياً وغُشي عليه، واجتمع الناس حولَه وسِياطٌ واقفٌ متعجِّب مما فعل . ثم أفاق وقام اليه؛ فرحمه سِياط وقال له : مالك يا مشئوم ؟ أيَّ شيء تريد ؟ قال : غنّني بالله عليك :

ودِّعْ أمامةَ حان منكَ رحيلُ إنّ الوداع لمن تحبّ قليلُ
مثلُ القَضيب تمايلتْ أعطافُه فالريح تجذِب مَتْنَه فيَميلُ
إن كان شأنكم الدلال فإنه حَسَنٌ دلالكِ يا أميمَ جميلُ

فغنّاه إياه ؛ فلطَم وجهه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً . ومضى سياط ، وحمل الناس أبا ريحانة الى الشمس . فلما أفاق قيل له : ويحك ! خرقتَ قميصك وليس لك غيره ! فقال : دعوني ، فإن الغنـاء الحسن من المغنّي المطرب أدفأ للمقرور من حَمّام المهديّ إذا أوقِد سبعةَ أيام . قال : ووجّه له سِياط بقميص وجُبّة وسَراويلَ وعِمامة .

**وصية مغن :**

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني محمد ابن عبد الله الخزاعيّ وحمّاد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال :

كان سياط أستاذَ أبي وأستاذَ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر . فاعتلّ علّةً ، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه . فقال له أبي : أعززْ عليّ بعلتك أبا وهب ! ولو كانت مما يُفتدى لفديتُك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نِعم الأستاذ والسيّد . قال : قد غنّيتُ لنفسي ستين صوتاً فأُحبّ ألّا تغيّروها ولا تنتحلوها . فقال له أبي : أفعلُ ذلك يا أبا وهب ، ولكن أيَّ ذلك كرهتَ : أن يكون في غنائك فضلٌ فأقصر عنه فيُعْرَف فضلُك عليّ فيه ، أو أن يكون فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحساني اليك ويأخذه الناس عني لك ؟ قال : لقد استعفيتَ من غير مكروه . قال الخزاعيّ في خبره : ثم قال لي إسحاق : كان سياط خُزاعياً ، وكان له زامر يقال له حِبال ، وضارب يقال له عقاب . قال حمّاد قال أبي : أدركت أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء ، سِياطٌ أحدُهم . قال : وكان موته في أول أيام موسى الهادي .

أخبرني يحيى قال حدّثنا أبو أيوب عن مصعب قال :

دخل ابن جامع على سِياط وقد نزل به الموت ؛ فقال له : ألك حاجة ؟ فقال : نعم ، لا تَزِد في غنائي شيئاً ولا تنقُص منه ، دعه رأساً برأس ، فإنما هو ثمانيةَ عشرَ صوتاً .

أخبرنا محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني محمد بن حديد أخو النَضْر ابن حديد :

أن إخواناً لسياط دعَوْه ، فأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتاً في منزلهم ، فجاءوا الى أمّه وقالوا : يا هذه ، إنّا دعونا ابنَك لنُكرمه ونُسَرَّ به ونأنسَ بقربه

فمات فجأة، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئتِ، وَنَشَدْناكِ اللهَ ألّا تعرّضينا للسلطان أو تدّعي فيه علينا ما لم نفعله. فقالت: ما كنتُ لأفعل، وقد صدقتم، وهكذا مات أبوه فجأة. قال: فجاءت معنا فحملته الى منزلها فأصلحت أمره ودفنته. وقد ذُكرت هذه القصةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المغنّي، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى.

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيات — واللفظ له — قالا حدّثنا أبو أيّوب قال حدّثنا أحمد بن المكيّ قال:

غَنّيتُ إبراهيمَ بن المهديّ لسياط:

ضاف قلبي الهوى فأكثر سَهوي

فاستحسنه جداً، وقال لي: ممن أخذتَه؟ قلت: من جارية أبيك قُرشيَّةَ الزّبَّاء؛ فقال: أشعرتُ أنه كان لأبي ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهن تسمّى قرشيّة، منهن قرشيّة الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنهن غناء — يعني التي أخذتُ منها هذا الصوت — قال: وكنت أسمعها كثيراً تقول: قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدت أغانيَهم، فما رأيت فيهم مثلَ سِياط قطُّ. هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة.

## نسبة هذا الصوت

## صوت

ضاف قلبي الهوى فأكثر سَهوي وَجوَى الحبّ مُفظِعٌ غيرُ حُلو
لو علا بعضُ ما علاني ثَبيراً(١) ظلّ ضعفاً ثبيرُ مِن ذاك يَهوي
من يكن من هوى الغواني خَلِيّاً يا ثِقاتي فإنني غيرُ خِلوِ

(١) ثبير: جبل معروف بمكة من ناحية الشرق في طريق منى.

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق .

## صوت

### من المائة المختارة

يا أمَّ عمرو لقد طلبتُ ودَّكمُ جُهدي وأعذرتُ فيه كلَّ إعذارِ
حتى سَقِمتُ، وقد أصبحتِ سالمةً مما أعالج من همٍّ وتذكارِ

لم يُسمَّ قائلُ هذا الشعر . والغناء للرَّطَّاب . والرَّطَّاب مدنيٌّ قليل الصنعة ليس بمشهور . وقيل له الرَّطَّاب لأنه كان يبيع الرُّطب بالمدينة . ولحنه المختار هزجٌ بالوسطى .

## صوت

### من المائة المختارة

تَصَدَّع الأُنسُ(١) الجميعُ أمسى فقلبي به صُدوعُ
في إثرهم وجفونُ عيني مُخضَلَّةٌ كلها دُموعُ

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر ولا عَرفناه . والغناء لدُكَين بن يزيد الكوفي . ولحنه المختار من خفيف الثقيل بالوسطى، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق . وذكر هذا الصوت في مجرَّد شجا فنسبه الى دكين، وجنَّسه في الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر أيضاً فيه لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل بالخنصر في مجرى البنصر، فزعم أنه ينسب الى مَعبد والى الغريض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سِيمَ عنك صبراً كُلِّف ما ليس يستطيعُ
عاصٍ لمن لام في هواكمْ وهوَ لكمْ سامعٌ مطيعُ

(١) الأنس : الحي المقيمون .

# صوت

## من المائة المختارة

يأيها الرجـلُ الذي قد زان منطقَه البيانُ
لا تَعتِبنّ عـلى الزما ن فليس يُعتِبك الزمانُ

الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضيّ . والغناء لنُبَيه المغنّي ، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنه وقع إليّ له خبرٌ إلّا ما شُهر من حاله في نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السَّميدع، مولى قريش، من أهل البصرة . وأخذ العروضَ من الخليل بن أحمد ، فكان مقدّماً فيه . وانقطع الى آل سليمان ابن عليّ وأدّب أولادَهم ، وكان يمدحهم كثيراً ، فأكثرُ شعره فيهم . وهو مُقِلّ جداً . وكان يقول أوزاناً من العروض غريبةً في شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضيّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة ، وجعل أكثرَ شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرتُه .

# ذكر نبيه واخباره

زعم ابن خُرْداذبه أنه رجل من بني تَيم صَليبةً ، وأن أصله من الكوفة ، وأنه كان في أوّل أمره شاعراً لا يغنّي ، ويقول شعراً صالحاً . فهويَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها ؛ ولم يزل يتزيّد حتى جاد غناؤه وصنعَ فأحسن واشتهر ، ودُوِّن غناؤه وعُدّ في المحسنين . فما قاله في هذه الجارية وغنّى فيه قولُه :

## صوت

يا ربّ إني ما جفوتُ وقد جفتْ    فإليك أشكو ذاك يا ربّاهْ
مولاةُ سَوْء ما تَرِقُّ لعبدها    نِعْم الغلامُ وبئست المولاهْ
يا ربّ إن كانت حياتي هكذا    ضرراً عليّ فما أريد حياهْ

الغناء لنُبَيه ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى . ومن الناس من يَنسُب الشعر والغناء الى عُلَيّة بنت المهديّ .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

قلت لمخارق ، وقد غنّى هذا الصوت يوماً :

متى تجمع القلبَ الذكيّ وصارماً    وأنفاً حَمِيّاً تجتنِبْك المظالمُ [1]

(١) هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشاعر ، قالها لما استرد إبله وخيله من حريم الهمداني وكان قد اغار عليها وأخذها .

فسألته لمن هو؛ فقال : هذا لنُبَيه التَّميمي؛ وكان له أخوان يقال لها مُنبِّه ونَبهان، وكان ينزل شهار سُوج[1] الهيثم في درب الرَّيحان . قال أبو زيد : وسمعتُ مخارقاً يحدث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن مَيمون يقول — وقد ذكر نُبَيهاً — : إن عاش هذا الغلام ذهب خبرُنا . قال : وكنت قد غنَّيته صوتاً أخذته عنه ، وهو :

شكوتُ الى قلبي الفراق فقال لي من الآن فأيأس لا أُغرّك بالصبرِ
إذا صدّ مَن أهوى وأسلمني العزا ففُرْقة من أهوى أحرُّ من الجمرِ

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني عليّ بن المفضَّل قال :

اصطبحنا يوماً أنا ونُبَيه عند عبيد الله بن أبي غسّان ، فغنّاه نُبيه لحنَه :

يأيها الرجـل الذي قـد زان منطقَه البيانُ

فما سمعت أحسنَ منه ، وكان صوتُنا عليه بقيةَ يومنا . ثم أردنا الانصراف، فسألَنا عُبيد الله أن نَبيتَ عنده ونصطبح من غد فأجبناه . وقال لنُبَيه : أيَّ شيء تشتهي أن يُصلَح لك؟ قال : تشتري لي غزالا فتُطعمني كبدَه كَباباً ، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب ؛ فقال : أفعل . فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أَحبّ . فلما أستوفى أكله استلقى لينام ، فحرّكناه فإذا هو ميت ، فجزِعنـا من ذلك . وبعث عبيدُ الله الى أمه فجاءت فأخبرها بخبره . فلما رأته أسترجَعت[2] ثم قالت : لا بأس عليكم ! هو رابع أربعة ولدتُهم كانت هذه مِيتتَهم جميعاً ومِيتةَ أبيهم من قبلهم ؛ فسكنّا الى ذلـك . وغُسّل في دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلي عليه ، ومضينا به الى مقابرهم فدُفن هناك .

---

(١) شهار سوج الهيثم : كانت محلة من محال بغداد في قبلة الحربية . والهيثم الذي أضيفت اليه هو ابن معاوية من القواد الخراسانية .

(٢) استرجع في المصيبة : استعاذ وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون .

# صوت

## من المائة المختارة

وقفتُ على رَبعٍ لسُعْدَى وعَبْرتي  تَرَقرَقُ في العينـين ثم تَسيلُ
أُسائل ربعاً قـد تعفَّتْ رسومُه  عليـه لأصناف الرياح ذُيولُ[١]

لم يُسمَّ لنا قائلُ هذا الشعر. والغناء لسُليم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

---

(١) الذيول من الريح : ما تحركه في الرمل كأثر ذيل مجرور .

# اخبار سليم

هو سُلَيم بن سلّام الكوفيّ ، ويُكنى أبا عبد الله . وكان حسنَ الوجه حسن الصوت . وقد انقطع وهو أمردُ الى إبراهيمَ الموصليّ ، فمال اليه وتعشّقه ، فعلّمه وناصحه ، فبرع وكثرت روايتُه ، وصنع فأجاد . وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه . واتفق له اتفاقٌ سيّئٌ : كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُليح بن العوراء وحكَم الواديّ فيكون بالإضافة اليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس ، فلما مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال ؛ فقبضهـا السلطان عنه .

أخبرنا يحيي بن عليّ بن يحيي عن أبيه :

أن إسحاق قال في سُليم :

سُليمُ بنُ سَلّام على بَرْد خَلقه     أحرُّ غنـاء من حُسينِ بنِ مُحرزِ

**نقد فني :**

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق ، وأخبرنا يحيي ابن عليّ عن أبيه عن إسحاق :

أنّ الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقول في ابن جامع ؟ قال : زِقٌ من أسل ( يريد من عسل ) . قال : فإبراهيم ؟ قال : بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيزيد حَوراء ، قال : ما أبيدَ أسنانه ! ( يريد ما أبيض ) . قال : فحسين بن محرز ؟ قال : ما أهسن خظامه ! ( يريد ما أحسن خضابه ) . قال: فسُليم بن سلّام ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شبّة عن إسحاق :

وغنى سُليم يوماً وبَرْصوما يزمر عليه بين يدي الرشيد، فقصّر سُليم في موضع صيحة ، فأخرج برصوما النايَ من فيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله، صيهة أشدّ من هذا، صيهة أشدّ من هذا؛ فضحك الرشيد حتى استلقى . قال : وما أذكر أني ضحكت قطُّ أكثرَ من ذلك اليوم .

**يجيد الأهزاج :**

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعب :

إنما أخّر سُليماً عن أصحابه في الصنعة وَلَعُهُ بالأهزاج ، فإن ثُلُثَي صنعتــه هَزَج ، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم . قال : ثم قال محمد : غنّى سُليم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثةَ أصواتٍ من الهزَج وِلاء، أوّلها :

مُتْ على من غبتَ عنه أسفاً

والثاني :

أسرفتَ في الإعراض والهجْرِ

والثالث :

أصبح قلبي به نُدوبُ

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم ، وقال له : لو كنت الحكمَ الواديّ مــا زِدتَ على هذا الإحسان في أهزاجك (يعني أنّ الحكم كان منفرداً بالهزج) .

## نسبة هذه الأصوات

## صوت

مُتْ على من غبتَ عنه أسفاً لستَ منــه بمصيبٍ خَلَفاً

لن تَرَى قُرَّةَ عـينٍ أبداً    أو ترى نحوَهم مُنصَرفاً
قلتُ لمَّا شفَّني وجدي بهم    حَسبيَ اللهُ لِمَا بي وكَفَى
بَـيّنَ الدمعُ لمن أبصرني    ما تضمَّنتُ إذا مـا ذَرَفَا

الشعر للعبَّاس بن الأحنف . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان ، أحدهما في الأوّل والثاني هَزَج بالوسطى ، والآخر في الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق . وفيها لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها :

## صوت

أسرفتَ في الإعراض والهجـرِ    وجُزْتَ حـدَّ التِّيه والكِبرِ
الهجرُ والإعراض من ذي الهوى    سُلَّمُ ذي الغـدر الى الغدر
مـالي وللهجران حَسبي الذي    مرَّ عـلى رأسي من الهجر
ودون مـا جرّبتُ فيما مضى    ما عرّف الخيـرَ من الشر

الغناء لسلَيم هزج بالبنصر .

ومنها :

## صوت

أصبح قلبي به نُدوبُ    أندَبه الشادِنُ الرَّبيبُ
تَمادياً منـه في التَّصابي    وقد علا رأسيَ المَشيب
أظنني ذائقاً حِمـامي    وأنَّ إلمامَـه قريب
إذا فؤادٌ شجـاه حبٌّ    فقلَّما ينفَـع الطبيب

الشعر لأبي نُواس . والغناء لسلَيم ، وله فيه لحنان : خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق ، وهزج بالوسطى عن الهشاميّ . وزَعمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها .

أخبرني عمي قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه قال:

كان سُليم بن سلّام كوفياً، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاته وثقاته، فكان يكاتب أهل العراق على يده. وكان سُليم حسن الصوت جهيرَه، وكان بخيلاً.

قال أحمد بن أبي طاهر وحدّثني أبو الحواجب الأنصاريّ، واسمه محمد، قال:

قال لي سُلَيم يوماً: إمض الى موسى بن إسحاق الأزرق فادعُه ووافياني مع الظهر؛ فجئناه مع الظهر، فأخرج الينا ثلاثين جارية مُحسِنة ونبيذاً، ولم يُطعمنا شيئاً، ولم نكن أكلنا شيئاً. فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، فأدخله الى الكنيف وجلسنا نأكل؛ فدخل علينا، فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس! تأكلون ولا تُطعموني! وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فَني الخبز والبيض.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني أبي قال:

كان سُلَيم بن سلّام صديقي وكان كثيراً ما يغشاني. فجاءني يوماً وأعلمني الغلامُ بمجيئه، فأمرتُ بإدخاله، فدخل وقال: قد جئتك في حاجة؛ فقلت: مقضيّة. فقال: إنّ المِهرجان بعد غد، وقد أُمرنا بحضور مجلس الخليفة، وأريد أن أغنّيه لحناً أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا مَن بحضرته، فقُلْ أبياتاً أغنّي فيها مِلاحاً؛ فقلت: على أن تقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن؛ قال: أفعل. فردّوا دابّته وأقام عندي، وقلت:

## صوت

أتيتُك عائذاً بك مِنك لمّا ضاقت الحِيَلُ

وصيّرني هواك وبي ... لِحَيْني يُضرب المثلُ
فإن سَلِمتْ لكم نفسي ... فما لاقيتُه جَلَل
وإنْ قَتل الهوى رجلًا ... فإني ذلك الرجل

فغنّى فيه وشربنا يومئذ عليه ، وغنّانا عدةَ أصوات من غنائه ، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذ .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني عبد الله بن محمد اليزيديّ قال حدّثني أخي محمد قال :

سمعت أبي يقول : ما سرقت من الشعر قطُّ إلا معنيين : قال مسلم بن الوليد :

ذاك ظبيٌ تحيّر الحسن في الأرْ ... كان منه وجال كلَّ مكانِ
عرضتْ دونَه الحجالُ فما يَلْـ ... ـقاك إلا في النوم أو في الأماني

فاستعرت معناه فقلت :

## صوت

يا بعيدَ الدار موصو ... لًا بقلبي ولساني[1]
ربّما باعدكَ الدهـ ... ـرُ فأدنتكَ الأماني

– الغناء في هذين البيتين لسليم هزج بالبنصر عن الهشاميّ –

قال : وقال مسلم أيضاً :

متى ما تسمعي بقتيلِ أرض ... فإني ذلك الرجل القتيلُ

– ويُروى : « أُصيبَ فإنني ذاك القتيل » – قلت :

(١) نسبت هذه الابيات في وفيات الاعيان لابن خلكان ليحيى بن المبارك اليزيدي المقرئ النحوي اللغوي صاحب أبي عمرو بن العلاء وهو والد محمد اليزيدي المنسوب اليه الشعر هنا .

أتيتُك عائذاً بك مِنــــك لمَّا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هــواك وبي لِحَيْني يُضرب المثــل
فإن سَلِمتْ لكم نفسي فــا لاقيتُه جَلَــل
وإن قَتل الهوى رجــلاً فإني ذلــك الرجل

وجدت في كتاب عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل، ولم أسمعــه من أحد :

أن إبراهيمَ بن المهديّ سأل جماعــةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده — قال حمدون : وكنت فيهم — وكان فيمن دعا مُخارِق، فسار اليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا شراب، فاغتمّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع ؛ فقال : لا والله أيها الأمير، ما كان آفتي إلا سُليم بن سلّام ؛ فإنه مرّ بي فدخل عليّ فغنّاني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه الى السَّحَر حتى لم يبق فيّ فضلٌ وأخذتُــه . فقال له إبراهيم : فغنّناه إملالاً[1]، فغنّاه :

# صوت

اذا كنتَ نَدْماني فباكِرْ مُدامةً مُعتَّقةً زُفّت الى غــير خاطبِ
اذا عُتِقَت في دَنّها العامَ أقبلتْ تَردّى[2] رداء الحسن في عين شاربِ

— الغناء لسُليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر — قال فبعث إبراهيم الى سُليم فأحضره، فغنّاه إياه وطرَحه على جواريه وأمر له بجائزة، وشربنا عليه بقيّةَ يومنا حتى صِرْنا في حالة مُخارق وصار في مثل أحوالنا .

(١) يريد : غننا إياه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص .
(٢) تردّى فلان : لبس الرداء .

# صوت

## من المائة المختارة

عَتَق الفؤادُ من الصِّبا ومن السَّفاهة والعلاقِ
وحَطَطتُ رحلي عن قَلو ص الحبِّ في قُلُص عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الـ ـمجرور عن قدمي وساقي
وكففت غـربَ النفس حتى ما تَتُوق الى مَتـاقِ

لم يقع الينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عَبَّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الاول بإطـلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل : إنه لغيره، بل قيل : إنه لعمرو .

# أخبار ابن عباد

هو محمد بن عبَّاد، مولى بني مخزوم، وقيل: إنه مولى بني جُمَح، ويُكنى أبا جعفر. مكّيّ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم. وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء، مُتقن الصنعة كثيرُها. وكان أبوه من كتّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابنُ عبَّاد الكاتب.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين ابن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثّقفي عن أبي خالد الكِناني عن ابن عبَّاد الكاتب قال:

والله إني لأمشي بأعلى مكة في الشِّعب، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة، فظننتُ أنهم قالوا له: هذا ابن عبّاد؛ فمال إليّ فملتُ اليه؛ فقال لي: أنت ابن عبَّاد؟ قلت: نعم؛ قال: مِلْ معي هاهنا، ففعلت؛ فأدخلني شعبَ ابن عامر ثم أدخلني دِهليز ابن عامر وقال: غنِّني؛ فقلت: أغنّيك هكذا وأنت مالِك! — وقد كان يبلغني أنه يثلِب أهلَ مكة ويتعصّب عليهم — فقال: بالله إلا غنّيتني صوتاً من صنعتك. فاندفعت فغنّيته:

## صوت

ألا يا صاحبيّ قِفا قليلاً ... على ربع تقادمَ بالمُنيفِ[1]
فأمستْ دارهم شَحِطَت وبانت ... وأضحى القلبُ يخفِقُ ذا وجيفِ

وما غنّيته إياه إلا على احتشام. فلما فرغتُ نظر إليّ وقال لي: قد والله أحسنتَ!

(١) المنيف: موضع قبل عمق وقيل: المنيف: حصن في جبل صبر من أعمال تعز باليمن. وهناك منيف لحج أيضاً وهو حصن قرب عدن.

ولكنّ حلقكَ كأنه حلقُ زانية . فقلت : أمَّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ .
وهذا اللحن من صدور غناء ابن عبّاد . ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

**وفاته ببغداد :**

أخبرني يحيي بن عليّ بن يحيي وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيوب المدِيني قال حدّثني جماعة من أهل العلم :

أنّ ابنَ عبّاد الكاتب تُوُفي ببغداد في الدولة العباسية ودُفن بباب[١] حرب .
وقال أبو أيوب : أظنه فيمن قدِم من مُغنّي الحجاز على المهديّ .

# صوت

## من المائة المختارة

يا طللاً غيّره بعدِي ... صوبُ رَبيع صادق الرعدِ
أراكَ بعد الأُنس ذا وَحشةٍ ... لستَ كما كنتَ على العهدِ
ما لي أُبكّي طللاً كلّما ... ساءلتُه عَيَّ عن الردِّ
كان به ذو غُنُجٍ[٢] أهيَفٌ ... أحورُ مطبوعٌ على الصَّدِّ

لم يُسمِّ أبو أحمد[٣] قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيي المكيّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

---

(١) باب حرب : موضع ببغداد ينسب الى حرب بن عبد الله البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور وكان يتولى شرطة بغداد .

(٢) الغنج : التكسر والتدلل .

(٣) أبو أحمد هو يحيى بن علي بن يحيى المنجم .

# اخبار يحيى المكي ونسبه

هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أمية، وكان يَكتُم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى الى قريش ولم يَذْكر البطن الذي ولاؤه لهم، واستعفى مَن سأله عن ذلك. ويُكنى يحيى أبا عثمان. وذكر ابن خُرداذْبه أنه مولى خُزاعة. وليس قوله مما يحصَّل، لأنه لا يَعتمد فيه على رواية ولا دِراية.

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعي صديقنا رحمه الله قال حدّثني وَسواسة بن الموصليّ — وقد لقيتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلماً، ولم أسمع هذا منه فكتبتُه وأشياء أُخر عن أبي بكر رحمه الله — قال حدّثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي:

سألت يحيى المكيّ عن ولائه، فانتمى الى قريش؛ فاستزدتُه في الشرح فسألني أن أعفيَه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا أبو أيوب المديني قال:

كان يحيى المكيّ يُكنى أبا عثمان، وهو مولى بني أُميَّة، وكان يكتم ذلك ويقول: أنا مولى قريش.

ولما قال أعشى بني سُلَيم يمدح دَحمان:

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم لمّا انبرى لهم دَحمان خِصيانا

فأبلغوه عن الأعشى مقالته أعشى سُليم أبي عمرو سُليانا
قولوا يقول أبو عمرو لصُحبته يا ليت دحمانَ قبل الموت غنّانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ — ويقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها . والأشبه عندي أنها لأبان، وما أظنّ ابنه أدرك يحيي — :

يا مَن يُفضِّل دحماناً ويمدحه على المغنّين طرّاً قلتَ بهتانا
لو كنتَ جالستَ يحيي أو سمعتَ به لم تمتدح أبداً ما عشتَ إنسانا
ولم تقل سَفهاً في منيةٍ[1] عَرَضتْ يا ليت دحمانَ قبل الموت غنّانا
لقد عجِبتُ لدحمانٍ ومادِحه لا كان مادحُ دحمانٍ ولا كانا
ما كان كابن صغير العين إذ جريا بل قام في غاية المجرى وما دانى
بذّ الجيادَ أبو بكر وصيّرها من بعد ما قَرحت جُذعاً وثُنيانا[2]

يعني بأبي بكر ابنَ صغير العين، وهو من مغنّي مكة . وله أخبار تُذكر في موضعها إن شاء الله تعالى .

**منزلته في الغناء :**

وعُمّر يحيي المكيّ مائةً وعشرين سنة، وأصاب بالغناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قدِم مع الحجازيين الذين قدموا على المهديّ في اول خلافته، فخرج اكثرهم وبقي يحيي بالعراق هو وولده يخدِمون الخلفاء الى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ ، وكان يغنّي مرتجِلاً، ويحضُر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة .

(١) المنية : البغية وما يتمنى .

(٢) قرح الفرس : صار قارحاً . والقارح من ذي الحافر : الذي شق نابه وطلع . والجذع : ( بضمتين وسكن لضرورة الشعر ) : جمع جذع ( بالتحريك ) وهو ما كان في الثانيـة من سنه . والثنيان ( بالضم ) : جمع ثنى وهو ما كان في الثالثة من سنه .

ولَقِيَه جماعة من أصحابنا، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات، منهم قمرية العَمْرِيّة، وكانت أمّ ولد عمرو بن بانة. وممن أدركه من أصحابنا جَحظة، وكتبنا عنه عن ابن المكيّ هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله. وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيح يفزَعون اليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه، ويعايي[1] بعضُهم بعضاً بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا منها ووفّروا نصيبَه. وله صنعة عجيبة نادرة متقدّمة. وله كتاب في الأغاني ونَسَبها وأخبارها وأجناسها كبيرٌ جليل مشهور، إلا أنه كان كالمطَّرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته. والعملُ على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيراً مما أفسده أبوه، وأزال ما عرَفه من تخاليط أبيه، وحقّق ما نسبه من الأغاني الى صانعه. وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت.

## كتابه في الاغاني :

أخبرني عبد الله بن الرّبيع قال حدّثني وَسواسة بن الموصلي قال حدّثني محمد ابن أحمد بن يحيى المكي قال :

عَمِل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه الى عبد الله بن طاهر، وهو يومئذٍ شابّ حديث السن، فاستحسنه وسُرّ به؛ ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عواراً[2] كثيراً في نِسَبه، لأن جدّي كان لا يصحِّح لاحد نسبة صوت البتّة، وينسِبُ صنعته الى المتقدمين، وينحل بعضَهم صنعة بعض ضنّاً بذلك على غيره، فسقط من عين عبد الله وبقي في خزانته؛ ثم وقع الى محمد بن عبد الله، فدعا أبي، وكان اليه محسناً وعليه مُفضِلاً، فعرَضه عليه؛ فقال له : إن في هذه النِّسب تخليطاً كثيراً، خلّطها أبي لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكني أعمل لك كتاباً أصحح هذا وغيرَه فيه. فعمل له

(١) عايا فلان فلاناً معاياة : ألقى اليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه .

(٢) العوار : العيب .

كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه اليه، فوصله محمد بثلاثين الف درهم. وصحّح له الكتاب الاول ايضاً فهو في ايدي الناس. قال وَسواسة: وحدّثني حمّاد أن أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكيّ تقديماً كثيراً ويفضِّله ويناضل أباه وابنَ جامع فيه، ويقول: ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين: إمّا أن يكون مُحقّاً فيه كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين، كما تقولون، فهو أفضل له وأوضح لتقدّمه عليكم. قال: وكان أبي يقول: لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسَه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته اليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد. وقال محمد بن الحسن الكاتب: كان يحيى يخلّط في نِسَب الغناء تخليطاً كثيراً، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أخرى وبابن سُريج وابن مُحرز، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث فيه من ذلك، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها، وليس أحد يعرفها؛ فيُسأل عن ذلك فيقول: أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل، فلا يُشَكّ في قوله، ولا يثبُت لمباراته أحد، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظانّه ودوّنه، وكشف عَوار يحيي في منحولاته وبيّنها للناس.

**أظهر إسحاق غلطه:**

أخبرني عمي قال سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكيّ – وكان مغنّياً منقطعاً الى طاهر وولده وكان من القوّاد – قال:

حضرتُ يحيي المكيّ يوماً وقد غنّى صوتاً فسُئل عنه فقال: هذا لمالك – ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت – ثم غنّى لحناً لمالك فسئل عن صانعه فقال: هذا لي؛ فقال له إسحاق: قلتَ ماذا؟ فديتُك، وتضاحك به. فسئل عن صانعه

فأخبر به، ثم غنّى الصوت . فخجل يحيى حتى أمسك عنه ؛ ثم غنّى بعد ساعة في الثقيل الاول، واللحن :

## صوت

إنّ الخليطَ أَجدَّ فأحتملا وأراد غيظَكَ بالذي فعلا
فظَلِلتَ تأمُل قربَ أوبَتِهم والنفسُ مما تأمُل الأملا

فسُئل عنه فنسبه الى الغَريض . فقال له إسحاق : يا أبا عثمان، ليس هذا من نَمَط الغَريض ولا طريقته في الغناء، ولو شئتَ لأخذتَ مالكَ وتركتَ للغريض ماله ولم تَتعَب . فأستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيَّةَ يومه . فلما انصرف بعث الى إسحاق بألطافٍ كثيرة وبِرٍّ واسع، وكتب اليه يعاتبه ويستكفُ شرَّه ويقول له : لستُ من أقرانك فتُضادَّني، ولا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَني، ولأنت الى أن أُفيدَك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتسمو به على أكفائك أحوجُ منك الى أن تباغضني، فأُعطِي غيرَكَ سلاحاً اذا حمَله عليك لم تقم له، وأنت أولى وما تختار . فعرف إسحاقُ صدقَ يحيى، فكتب اليه يعتذر، وردَّ الألطافَ التي حملها اليه، وحلَف لا يعارضه بعدها، وشرَط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد؛ فوفّى له بها، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين . وكان اذا حَزَبه أمرٌ في شيء منها فَزِع اليه فأفاده وعاونه ونصَحه ؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك . وحَذِره يحيى، فكان اذا سُئل بحضرته عن شيء صدَق فيه، واذا غاب إسحاق خلَط فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى اذا صار اليه إسحاق بطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لأبنه أحمد : تعالَ حتى تأخذ مع أبي محمد ما الله يعلم أني كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق . قال : وكان إسحاق بعد ذلك يتعصَّب ليحيى تعصُّباً شديداً، ويَصفه ويقدّمه ويعترف برياسته، وكذلك كان في وَصف أحمدَ أبنِهِ وتقريظه .

**عدد أصواته التي صنعها :**

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع في كتب الأغاني الى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلاف صوت، منها زُهاء الف صوت لم يُقاربه فيها أَحد، والباقي متوسّط . وذكر بعضُ أصحاب أحمد ابن يحيى المكيّ عنه أنه سُئل عن صنعة أبيه فقال : الذي صحّ عندي منها الف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعاً مَن تقدّم منهم ومن تأخّر، فلم يُقم له فيها أحد .

وقال حمّاد بن إسحاق قال لي أبي :

كان يحيى المكي يُسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسِبه الى غير صانعه، فيُحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسبه غيرَ تلك النسبة ؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه، فظهر عَواره، ولولا ذلك لما قاومه أحد .

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره :

قال إسحاق يوماً للرشيد، قبل أن تَصلُح الحال بينه وبين يحيى المكيّ : أتحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذبَ يحيى فيما ينسِبه من الغناء ؟ قال نعم. قال : أعطني أيّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه، واسألني بحضرة يحيى عن نِسبته فإني سأنسِبه الى رجل لا أصلَ له، واسأل يحيى عنه اذا غنّيته، فإنه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته . فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغنّاه الرشيدَ؛ ثم قال له : يسألني أمير المؤمنين عن نِسبته بين يديه . فلما حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ : لمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المديني . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنتَ لقيتَ غناديس المديني ؟ قال : نعم، لقيتُه وأخذت عنه صوتين ؛ ثم غنّى صوتاً وقال : هذا أحدهما . فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً وعِتق

جواريه : أن الله ما خلق أحداً أسمه غناديس، ولا سُمع في المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره .

حدّثني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال :

غنى جدّي يوماً بين يدي الرشيد :

## صوت

هل هَيّجتكَ مَغاني الحيّ والدُّورُ فأشتقتَ إن الغريبَ الدارِ معذورُ
وهل يَحِلّ بنا إذ عيشُنا أَنِقٌ[1] بيضٌ أوانسُ أمثالُ الدُّمى حُورُ

— والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ — فسار اليه إسحاق وسأله أن يُعيده إياه؛ فقال : نعم، حبّاً وكرامةً لك يأبن أخي، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه ؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق . فلما انصرف بعث الى جدّي بتَخْتٍ[2] ثياب وخاتم ياقوت نفيس .

حدّثني جَحظة قال حدّثني القاسم بن زُرْزُور عن أبيه عن مولاه عليّ بن المارِقيّ قال :

قال لي إبراهيم بن المهديّ : وَيلك يا مارقيّ ! إن يحيى المكيّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذِكْرُ زينبَ، وقد كان النبيذ أخذ منّي فأُنسيت شعرَه، وأستعدتُه إياه فلم يُعده، فأحتَلْ لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سَبَقٌ[3] . فقال لي المارقيّ — وأنا يومئذٍ غلامُه — اذهب اليه فقل له إني أسأله أن يكون اليومَ عندي ؛ فمضيت اليه فجئته به . فلما تغدَّوا وُضع النبيذ؛ فقال له

---

(١) أنق الشيء ( من باب علم ) : راع حسنه .

(٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

(٣) السبق : الخطر يوضع في السباق من سبق أخذه .

المارقيّ : إني كنت سمعتك تغنّي صوتاً فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك – وكان يحيى يوفّي هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء، فلا يخرج عنه إلا بجذرء، ولا يدع الطلبَ والمسألة، ولا يُلقي صوتاً إلا بِعوَض . قال لي جحظة في هذا الفصل : هذا – فديتُك – فعلُ يحيى مع ما أفاده من المال، ومع كم مَن عاشره وخدَمه من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر الناس، لا يُلام ولا يعاب، ونحن مع هؤلاء السُّفل إن جئناهم نكارمهم(١) تغافلوا عنّا، وإن أعطَونا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا، فمن يلومني أن أشتُمهم ؟ فقلت : ما عليك لوم .

– قال : فقال له يحيى : وأيّ شيء العِوَض اذا ألقيتُ عليك هذا الصوتَ ؟ قال : ما تريد؛ قال : هذه الزِّرْبيّة(٢) الأرمينيّة، كم تقعد عليها ! أما آن لك أن تملّها ؟ قال : بلى، وهي لك . قال : وهذه الظباء الحرميّة وأنا مكيّ لا أنت، وأنا أولى بها ؛ قال : هي لك، وأمر بحملها معه . فلما حَصلت له، قال المارقيّ : يا غلام، هات العود؛ قال يحيى : والميزانَ والدراهم، وكان لا يغنّي أو يأخذَ خمسين درهماً، فأعطاه إياها؛ فألقى عليه قولَه :

بزينبَ ألمم قبلَ أن يَرحَلَ الركبُ وقُلْ إن تَملّينا فما ملّكِ القلبُ

– ولحنه لكَردَم ثقيلٌ أول – فلم يشكّ المارقيّ أنه قد أخذ الصوتَ الذي طلبه إبراهيم وأدركَ حاجتَه . فبكّر الى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ، فقال له : قد جئتك بالحاجة . فدعا بالعود فغنّاه إياه؛ فقال له : لا والله ما هو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه . فبعثني اليه وبعث معي خمسين درهماً . فلما دخل اليه وأكلا وشربا قال له يحيى : قد واليتَ بين دَعَواتك لي، ولم تكن بَرّاً ولا وَصولاً، فما هذا ؟ قال : لا شيء والله إلا محبتي للأخذ عنك والاقتباس منك ؛ فقال : سرّك الله، فَمهْ . قال : تذكرتُ الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيتَ عليّ . قال : فتريد ماذا ؟ قال : تذكر الصوت . قال : أفعل، ثم اندفع فغنّاه :

---

(١) كارمه : أهدى اليه ليكافئه ويثيبه .

(٢) الزربية : واحدة الزرابيّ وهي البسط، وقيل كل ما بسط واتكئ عليه .

ألمم بزينبَ إنَّ البينَ قد أفِدَا[1] قَلَّ الثواء لئن كان الرحيلُ غدَا

– والغناء لمعبد ثقيل أول – فقال له : نعم، فديتُك يا أبا عثمان، هذا هو، ألقِه عليَّ؛ قال : العِوَضَ؛ قال : ما شئتَ ؟ قال : هذا المِطرَف الأسود؛ قال: هو لك. فأخذه وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له، وبكّر الى ابراهيم؛ فقال له : ما وراءك ؟ قال : قد قضيتُ الحاجةَ؛ فدعا له بعود فغنّاه؛ فقال : خدعك والله، ليس هذا هو؛ فعاود الاحتيالَ عليه، وكلُّ ما تعطيه إياه ففي ذمّتي. فلما كان اليومُ الثالث بعث بي اليه، فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس. فقال له يحيى : فمالك أيضاً ؟ قال له : يا أبا عثمان، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ؛ فقال له : لست أعلم ما في نفسك فأذكُرَه، وإنما عليَّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لا يبقى عندي زينب البتةَ إلا أحضرتها؛ فقال : هاتِ على اسم الله؛ قال : اذكرِ العِوَضَ؛ قلت : ما شئتَ؛ قال : هذه الدُرّاعة[2] الوَشيُ التي عليك؛ قال : فخذها والخمسين الدرهم، فأحضرَها. فألقى عليه – والغناء لمعبد ثقيل أول – :

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقُـهْ هدوءا اذا النجمُ ارجحنَّت[3] لواحقُهْ

فأخذه منه ومضى الى ابراهيم، فصادفه يشرب مع الحُرَم؛ فقال له حاجبه : هو متشاغل؛ فقال : قل له : قد جئتك بحاجتك. فدخل فأعلمه؛ فقال : يدخل فيغنّيه في الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل؛ فقال : لا والله ما هو هذا، ولقد خدعك، فعاود الاحتيالَ عليه. ففعل مثل ذلك بيحيى؛ فقال له يحيى وهو يضحك : أما ظَفِرتَ بزينبك بعدُ ؟ فقال : لا والله يا أبا عثمان، وما أشكُّ في أنك تعتمدني بالمنع مما أُريده، وقد أخذتَ كل شيء عندي معابثةً . فضحك يحيى وقال:

---

(١) أفد : دنا .

(٢) الدراعة (كرمانة) : جبة مشقوقة المقدم ولا تكون الا من صوف، وجمعها دراريع .

(٣) ارجحنت : اهتزت ومالت .

قد استحييتُ منك الآن، وأنا ناصحك على شريطة ؛ قال : نعم، لـك الشريطة ؛ قال : لا تَلُمني في أن أعابثك لأنك أخذت في معابثتي، والمطلوب اليه أقدر من الطالب ، فلا تعاود أن تحتال عليّ فإنك تظفر مني بما تريد ، إنما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ مني صوتاً غنّيتُه، فسألني إعادته فمنعتُه بخلاً عليه لأنه لا يلحقني منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً، وطمِع بوضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد؛ لا والله إلا بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك، وإلا فلا تطمع في الصوت. فقال له : أمّا إذ فطنتَ فالأمر والله على ما قلتَ ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادتُه ، ولو غنّيتني كلّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلا به ؛ قال : اشتره . فتساوما طويلاً وماكسه حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم، فدفعها اليه ؛ وألقى عليه :

## صوت

طَرَقتك زينبُ والمزار بعيدُ بمنى ونحن معرّسون هجودُ
فكأنما طَرَقتْ بريّاً روضةٍ أُنُفٍ تُسَحسِح مُزنَها وتجودُ

— لحنه خفيف ثقيل . قال : وهو صوت كثير العمل، حلو النَّغَم ، مُحكم الصنعة، صحيح القسمة ، حسن المقاطع — فأخذه وبكّر الى إبراهيم بن المهديّ ، فقال له : قد أفقرني هذا الصوت وأعراني، وأبلاني بوجه يحيى المكي وشحّه وطلبه وشَرَهه، وحدّثه بالقصّة ؛ فضحك إبراهيم . وغنّاه إياه ، فقال : هذا وأبيك هو بعينه . فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف عليه كلّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسةَ آلاف درهم، وحمله على بِرْذون أشهبَ فارهٍ بسرجه ولجامه . فقال له : يا سيّدي ؛ فغلامُك زُرزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَع[١]، هَبْ له شيئاً ، فأمر له بألف درهم .

(١) ظلع : عرج وغمز في مشيه .

غنى للأمين :

حدّثني جحظة قال حدّثني هِبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثتني رَيّق وشارية جميعاً قالتا :

كان مولانا — تعنيان أبي — في مجلس محمد الأمين يوماً والمغنون حضور ، فغنّى يحيي المكي — واللحن له خفيف ثقيل — :

## صوت

خليلٌ لي أهيمُ به فما كافا[1] ولا شَكَرَا
بلى يُدْعَى له باسمي إذا ما ريعَ أو عثَرَا

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه ، فجعل يحيي يُفسده . وفطن الأمين بذلك ، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْكِ التخليط ، فدعا له وقبّل الأرض بين يديه وردّ الصوت وجوّده ؛ ثم استعاده . فقال له يحيي : ليست تَطيب لك نفسي به إلا بعوَض من مالك ، ولا أنصحك والله فيه ، فهذا مال مولاي أخذته، فلِمَ تأخذ أنتَ غنائي ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها . فقبّل يحيي يدَه وأعاد الصوت وجوّده ، فنظر الى مُخارق وعَلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت ؛ ثم أقبل عليهما وقال : قطعة من خُصية الشيخ تعطِي أستاهَ عدّة صبيان ، والله لا أعدْتُه بحضرتكما . ثم أقبل على مولانا — تعنيان إبراهيم بن المهدي — فقال : يا سيّدي ، إني أصير اليك حتى تأخذَه عني متمكّناً ولا يَشرَكك فيه أحد . فصار اليه فأعاده حتى أخذه عنه ، وأخذناه معه .

---

(١) كافا مسهل كافأ .

**غنى للرشيد :**

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المديني قال حدّثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال :

أرسل إليّ هارونُ الرشيد ، فدخلت اليه وهو جالس على كرسيّ بَتَلّ دارا[1] ، فقال : يا يحيى ، غنّني :

متى تلتقي الآلافُ والعيسُ كلّما تَصعّدْنَ من وادٍ هَبطن الى وادِ

فلم أزل أغنّيه إياها ويتناول قدحاً إلى أن أمسى . فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت ، وشرب عشرةَ أقداح ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمرني بالانصراف.

**مدح إسحاق غناءه :**

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكي في خبره حدثني أَبي أحمدُ بن يحيى قال :

قال لي إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتاً ، مَن أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح . فقلت لأبي : أيّ شيء تعرف منها ؟ فقال : لحنَه في شعر الأخطل :

## صوت

خفَّ القَطِينُ فراحوا منكَ وابتكروا[2] وأزعجتهم نَوًى في صَرفِها غِيَرُ

(١) دارا : بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين، وهي من بلاد الجزيرة، ذات بساتين ومياه جارية .

(٢) في ديوان الاخطل : « ... .. أو بكروا » .

كأنني شاربٌ يومَ اَستُبِدّ بهم من قَهوةٍ عتَّقتها حِمص أو جَدَرُ[١]

لحن يحيي المكيّ في هذين البيتين ثقيل أوّل – هكذا في الخبر – ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر ، ولاَبن سُرَيج رمل .

قال : ومنها :

## صوت

بانَ الخليطُ فما أُؤَمِّله وعفا من الرَّوْحاء[٢] منزلُهُ
ما ظَبيةٌ أدماء عاطلة تحنو على طِفل تُطفِّلُهُ

لحن يحيي في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر . قال أحمد : قال لي إسحاق : وَدِدْتُ أن هذا الصوت لي أو لأبي وأني مُغرَّم عشرة آلاف درهم . ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله : « على طفل تطفله » .

قال : ومنها :

## صوت

وكَفٍّ كعُوّاذ[٣] النقا لا يَضيرها إذا برزتْ ألا يكون خِضابُ
أنامل فُتخ[٤] لا تَرى بأصولها ضُموراً ولم تَظهر لهن كِعابُ

ولحنه من الثقيل الثاني .

---

(١) جدر : قرية بين حمص وسلمية، تنسب اليها الخمر، وهي قرب دير إسحاق . ويروى : «من قرقف ضمنتها حمص أو جدر» .

(٢) الروحاء : قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما نحو اربعين ميلاً .

(٣) الظاهر أن الشاعر يريد «بعواذ النقا» الديدان التي تعوذ بالنقا ( الكثيب من الرمل ) وتلوذ به .

(٤) فتخ: رخصة لينة .

قال : ومنها :

## صوت

صادتك هندٌ وتلك عادتها فالقلب مما يَشُفّه كَمِد
لم تشتكي الشوقَ من صبابتها ولا تبالي هندٌ بما تجد

ولحنه من خفيف الثقيل :

قال : ومنها :

## صوت

أعسيتَ مِن سَلمى هوا كَ اليومَ محتلًا جديدا
ومَرابطَ الخيلِ الجيا دِ ومنزلًا خَلَقاً همودا

ولحنه خفيف ثقيل أيضاً .

قال : ومنها :

## صوت

ألا مرحباً بخيالٍ ألمّ وإن هاج للقلب طولَ الألمْ
خيالٌ لأسماء يَعتادني إذا الليلُ مدَّ رِواقَ الظُلَمْ

ولحنه ثقيل أول .

قال : ومنها :

## صوت

لم ليلةٍ ظلماء فيكِ سَرَيتُها أتعبتُ فيها صُحبتي وركابي

لا يُبصر الكلبُ السَّرُوق خِباءها ومواضعَ الأوتاد والأطنابِ[١]

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغريض . قال ابن المكيّ : غنى أبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه ، ثم قال له : قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت ، فظنّه فرشاً أو ثياباً ، فإذا فيه أكياس فيها عَين وورِق ؛ فحُمِلتْ بين يديه فكانت خمسين ألفَ درهم مع قيمة العين .

قال : ومنها :

## صوت

إني امرؤٌ مالي يَقي عِرضي ويَبيت جاري آمناً جهلي

وأرى الذَّمامةَ[٢] للرَّفيق إذا ألقى رِحالتَه[٣] الى رَحلي

ولحنه خفيفُ ثقيل . قال ابن المكي غنّى ابنُ جامع الرشيدَ يوماً البيتَ الأوّل من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئاً ؛ فأعجب به الرشيدُ واستردّه مراراً ، وأسكت لابن جامع المغنّين جميعاً ، وجعل يسمعه ويشرب عليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتيمَ وعشر خِلَع ، وانصرف . فمضى إبراهيم من وجهه الى يحيى المكيّ فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أفزاد على البيت الأوّل شيئاً ؟ قال لا ؛ قال أفرأيت إن زِدتُك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أنسيه ، وطرحتُه عليك حتى تأخذه ما تجعلُ لي ؟ قال : النصف مما يصل إليّ بهذا السبب ؛ قال : والله ؟ ! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكدة ؛ ثم زاده البيتَ الثاني وألقاه

(١) الاطناب : حبال طوال يشد بها سرادق البيت ، واحدها طنب .

(٢) الذمامة : ( بالفتح والكسر ) : الحرمة والحق .

(٣) الرحالة والرحل : مركب للبعير ، وهما أيضاً منزل الرجل ومسكنه وبيته .

عليه حتى أخذه وأنصرف . فلما حضر المغنّون من غد ودُعي به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ ، وجاء بالبيت الثاني وتحفّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان ، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِر ، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خِلَع ؛ فحمل ذلك كلّه ، وأنصرف من وجهه ذلك الى يحيي فقاسمه ومضى الى منزله . وأنصرف ابن جامع اليه من دار الرشيد وكان يحيي في بقايا علّة فأحتجب عنه ؛ فدفَع أبن جامع في صدر بوّابه ودخل اليه ، فقال له : إيه يا يحيي ، كيف صنعتَ ! ألقيتَ الصوت على الجُرْمُقانيّ[١] ! لا رفع الله صرعتك ولا وهب لك العافية . وتشاتما ساعةً ، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مدوّخ .

حدّثني عمي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيي المكي عن أبيه قال قال لي إسحاق :

كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبي العوراء وزُبَير بن دحمان يوماً عند الفضل بن الربيع ؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك (يعني يحيي) ، فجعلا يُغنّيان ويُباري كلٌّ واحد منهما صاحبَه ، وذلك يُعجب الفضل ، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجب به . فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير : أنت تنتحل غناء الناس وتدّعيه وتَنحَلهم ما ليس لهم . فأقبل الفضل عليّ وقال: احكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ما هما فيه ؛ فقلتُ : لئن كان ما يرويه يحيي ويغنّيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يَرْووه وما لم تَرْوِه ، وعَلِم ما جهلناه وجهلوه ، ولئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعةً ، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصحّ أداء للغناء ، كان ما يغنّيه له أو لغيره . فسُرّ بذلك الفضل وأعجبه . وما زال أبوك يشكره لي .

---

(١) الجرمقاني : واحد الجرامقة ، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الاسلام .

# صوت

## من المائة المختارة

أهاجتك الظعائنُ يوم بانوا بذي الزّيّ الجميل من الأثاثِ
ظعائنُ أسلكتْ نقبَ المنقّى[1] تُحَثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاثِ

الشعر للنُّميريّ . والغناء للغريض ، ولحنه المختار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

(١) نقب المنقى بين مكة والطائف .

# اخبار النميرى ونسبه

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشة بن ربيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطيط بن جُشَم بن قَسيّ؛ وقسيّ هو ثقيف. شاعرٌ غَزِل، مولده ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، وكان يهوى زينبَ بنت يوسف ابن الحكم أختَ الحجّاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبّب بها.

حدّثني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمَريّ عن لقيط بن بكر المحاربيّ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة:

أن النميريّ كان يهوَى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأمّه. وأمها الفارعة بنت همّام بن عُروة بن مَسعود الثّقفيّ؛ وكانت عند المغيرة بن شُعبة؛ فرآها يوماً بُكرةً وهي تتخلّل، فقال لها: والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت، ولئن كان من عَشاء لقد أنتنتِ، وطلقها. فقالت: أبعدك الله! فبئس بعلُ المرأة الحرّة أنت! والله ما هو إلا مِن شَظيّة من سواكي استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسناني. قال حبيب بن نصر خاصّةً في خبره: قال عمر بن شبّة حدّثنا بذلك أبو عاصم النّبيل.

أخبرني حَبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة عن يعقوب بن داود الثّقفيّ، وحدّثنا به ابن عمّار والجوهريّ عن عمر بن شبّة — ولم يذكرا فيه يعقوبَ بن داود — قالوا جميعاً:

قال مُسلم بن جُندب الهُذَليّ — وكان قاضي الجماعة بالمدينة —: إني لمع محمد

ابن عبد الله بن نُمير بنَعمان[١] وغلام يسير خَلفه يشتمه أقبح الشتيمة؛ فقلت: من هذا؟ فقال: هذا الحجاج بن يوسف، دَعه فإني ذكرت أختــه في شعري، فأحفظه ذلك.

قال عمر بن شبة في خبره: وولدت الفارعة أمُّ الحجاج من المُغيرة بن شُعبة بنتاً فماتت؛ فنازع الحجاجُ عروةَ بن المغيرة الى ابن زياد في ميراثها؛ فأغلظ الحجّاج لعُروة، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال: لأبي عبد الله تقول هذه المَقالة! وكان الحجاج حاقداً على آل زياد يَنفيهم من آل أبي سفيان ويقول: آل أبي سفيان سُته حُمْش[٢]، وآل زياد رُسْح حُدْل[٣].

وكان يوسف بن الحكم اعتلّ علّة فطالت عليه؛ فنذرت زينب إن عُوفي أن تمشي الى البيت[٤]، فعُوفي فخرجت في نسوة فقطعنَ بطن وَج[٥]، وهو ثلثمائة ذراع، في يوم جعلته مرحلةً لثِقَل بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر. فبينا هي تسير إذ لقيها إبراهيم بن عبد الله النميريّ أخو محمد بن عبد الله منصرفاً من العمرة. فلما قدم الطائف أتى محمداً يسلِّم عليه؛ فقال له: ألكَ عِلمٌ بزينب؟ قال: نعم، لقيتها بالَهماء[٦] في بطن نَعمان؛ فقال: ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً؛ قال: نعم، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كَراهةَ أن يَنشَب بيننا وبين إخوتنا شرّ. فقال محمد هذه القصيدةَ وهي أوّل ما قاله:

---

(١) نعمان: هو نعمان الأراك، واد بينه وبين مكة نصف ليلة.

(٢) سته: عظام الأستاه. وحمش: دقاق السوق.

(٣) رسح: جمع أرسح، وهو قليل لحم العجز والفخذين. والحدل: جمع أحدل، وهو الــذي أشرف احد عاتقيه على الآخر.

(٤) المراد به الكعبة.

(٥) وج: اسم واد بالطائف وهو ما بين جبلي المحترق والاحيحين (بالتصغير).

(٦) الهماء: موضع بنعمان بين الطائف ومكة.

# صوت

تَضَوّع مسكاً بطنُ نَعمان إذ[1] مشتْ به زينبٌ في نسوة عَطِراتِ
فأصبح ما بين الهماء فَحَزْوة[2] الى الماء ماء الجزع ذي العُشَراتِ[3]
له أرجٌ من مِجمَر الهند ساطعٌ[4] تَطلّعُ ريّاه من الكَفِراتِ[5]
تهادَيْن ما بين المُحَصَّب[6] من مِنًى وأقبلن لا شُعثاً ولا غَبِراتِ[7]
أعان الذي فوق السموات عرشُه مواشيَ بالبَطْحاء مُؤتَجِراتِ[8]
مَرَرْن بفَخٍّ[9] ثم رُحن عشيةً يُلبّين للرحمن معتمِرات
يُخَبّئْنَ[10] أطراف البنان من التقى ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

(١) ويروى : « أن » .

(٢) ويروى :

فأصبح ما بين الهماء فصاعداً الى الجزع جزع الماء ذي العشرات

(٣) العشرات : جمع عشر ( بضم ففتح ) . وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ينبت صعداً في السماء، وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر، وفي سكره شيء من مرارة .

(٤) في المجموعة المخطوطة :

له أرج بالعنبر الورد فاغم

(٥) الكفرات : جمع كفر ( بفتح الكاف وكسر الفاء ) وهو العظيم من الجبال .

(٦) المحصب : موضع بين مكة ومنى، وهو الى منى أقرب .

(٧) في المجموعة المخطوطة :

« تهادين ما بين المحصب من منى ونعمان ... ... ... الخ »

(٨) مؤتجرات : طالبات للأجر . وفي تجريد الاغاني : « معتجرات » أي لابسات المعاجر وهي أثواب تلفها النساء على استدارة رؤوسهن ثم يتجلببن فوقها بجلابيبهن . ورواية هذا البيت في المجموعة المخطوطة :

خرجن الى البيت العتيق بعمرة نواحب في نذر ومؤتجرات

(٩) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة .

(١٠) في المجموعة المخطوطة : « يخمرن » . ويقال : ليست امرأة من الطائف تخرج إلا وعلى يديها قفازان للتقى .

تقسّمن لُبّي يومَ نعمانَ إنني ... رأيتُ فؤادي عارمَ[1] النظراتِ
جلَوْنَ وجوهاً لم تَلُحْها سمائمٌ ... حَرُورٌ ولم يُسفَعن بالسَّبَرات[2]
فقلتُ يعافيرُ الظباء تناولتْ ... نِياعَ[3] غصون المَرْدِ[4] مُهتَصِرات
ولما رأتْ ركبَ النميريّ راعَها ... وكنّ مِنَ أنْ يَلقَينَه حَذِرات
فأدنَينَ، حتى جاوز الركبُ، دونها ... حجاباً من القَسّيّ[5] والحبرات
فكدتُ اشتياقاً نحوَها وصَبابةً ... تَقَطَّعُ نفسي إثْرها حَسَرات
فراجعتُ نفسي والحفيظةَ بعد ما ... بَلَلتُ رداءَ العَصْبِ[6] بالعَبَرات

– غنّى ابن سُرَيج في الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان»، ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق – قال أبو زيد: فبلغتْ هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروان، فكتب الى الحجّاج: قد بلغني قول الخبيث في زينب، فالْهُ عنه وأعرِض عن ذكره، فإنك إن أدنيتَه أو عاقبتَه أطمعته، وإن عاقبته صدّقته.

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سَلمة الغِفاريّ قال:

---

(١) أي شارد النظرات حائرها.

(٢) لاحته الشمس ولوحته: لفحته وغيرت وجهه. والسمائم: جمع سموم وهي ريح حارة أو حر النهار. وسفعته: غيرته. والسبرات: جمع سبرة (بسكون الباء) وهي شدة برد الشتاء.

(٣) في جميع الاصول: «بناع». والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه. والنياع من الغصون: التي تحركها الرياح فتتحرك وتتمايل. يريد أن أعناقهن في امتدادها كأعناق الظباء.

(٤) المرد: الغض من ثمر الاراك وقيل ناضجه. وفي جميع الاصول: «الورد».

(٥) القسي: ضرب من الثياب، وهو منسوب الى قس. والحبرات: جمع حبرة (كعنبة)، وهي ضرب من برود اليمن موشى.

(٦) العصب: ضرب من البرود، وقيل: هي برود يصبغ غزلها ثم تنسج، لا تثنى ولا تجمع وانما يثنى ويجمع ما يضاف اليها، فيقال برد عصب وبرود عصب.

هرب النميريّ من الحجّاج الى عبد الملك وٱستجار به ؛ فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلتَ في زينب فأنشده . فلما انتهى الى قوله :

ولما رأتْ ركبَ النميريّ أعرضتْ وكُنّ مِنَ أن يَلْقَيْنَه حَذِراتِ

قال له عبد الملك : ومـا كان ركبك يا نميريّ ؟ قال : أربعة أحمرة لي كنت أجلُب عليها القَطِران ، وثلاثة أحمرة صحبتي تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى ٱستغرب ضحكاً، ثم قال : لقد عظَّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك؛ وكتب له الى الحجّاج أن لا سبيل له عليه . فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له : أنا بريء من بَيعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتينّ على نفسه ، ولئن أنشدني لأعفونّ عنـه ، وهو إذا أنشدني آمن . فقال له يزيد : ويلَك ! أنشده ؛ فأنشده قوله :

تَضوّع مسكاً بطنُ نَعمان إذ مشتْ بـه زينبٌ في نسوة خَفِراتِ

فقال : كذبت والله ؛ ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ الى قوله :

ولما رأت ركبَ النميريّ راعها وكنّ مِنَ أن يلقينـه حَذِراتِ

قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ الى قوله :

مَرَرن بفخّ رائحاتٍ عشيّةً يُلبِّين للرحمـن معتمِراتِ

فقال : صدقتَ ، لقد كانت حَجّاجةً صوّامة ما علمتُها . ثم أنشده حتى بلـغ الى قوله :

يُخمِّرن أطرافَ البنان من التقى ويخرجن جنحَ الليـل مُعتجِراتِ

فقال له : صدقتَ، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة . ثم قال له :

ويحك ! إني أرى ارتياعك ارتياعَ مُريب ، وقولك قول بريء ، وقد أمّنتك ، ولم يَعرِض له . قال أبو زيد[1] : وقيل : إنه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يجئه به ليضربنّ عنقَه ، فجاءه به بعد هرب طويل منه ؛ فخاطبه بهذه المخاطبة .

**من شعره في زينب :**

قال أبو زيد : وقال النميريّ في زينب أيضاً :

## صوت

طَربتَ وشاقتك المنازلُ من جفنِ[2] ... ألا ربّما يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ
نظرت الى أظعان زينبَ باللِّوى ... فأعولتَها[3] لو كان إعوالها يُغني
فواللهِ لا أنساكِ زينبُ ما دعتْ ... مُطوَّقةٌ ورقاء شجواً على غُصنِ
فإنّ احتمال الحيّ يومَ تحمّلوا ... عَناك وهل يَعنيك إلا الذي يَعني
ومُرْسلة في السرّ أن قد فضحتني ... وصرّحتَ باسمي في النَّسيب فما تَكْني
وأشمتّ بي أهلي وجُلّ عشيرتي ... ليَهنِئْك ما تهواه إن كان ذا يَهْني
وقد لامني فيها ابنُ عمّي ناصحاً ... فقلتُ له خذ لي فؤاديَ أو دَعْني

— غنّى ابنُ سُريج في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحناً من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق — قال أبو زيد : فيقال : إنه بلغ زينبَ بنت يوسف قوله هذا فبكت؛ فقالت لها خادمتها : ما يُبكيكِ ؟ فقالت : أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهلٌ بي لا يَعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقّاً .

---

(١) هو أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، كان شاعراً إخباريا فقيهاً صادق اللهجة غير مدخول الرواية واسع الاطلاع . ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفي بسر من رأى سنة ٢٦٣ هـ .

(٢) جفن : اسم واد بالطائف لثقيف، وهو بين الطائف وبين معدن البرام .

(٣) أعول الرجل : رفع صوته بالبكاء .

قال : وقال النميريّ فيها أيضاً :

أهاجتْكَ الظعائنُ يوم بانوا بذي الزيّ الجميل من الأثاثِ
ظعائنُ أسلكتْ نَقبَ المُنقَّى تُحثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاثِ
تُؤمِّل أن تُلاقيَ أهلَ بُصرى فيا لك من لقـاء مستراثِ [1]
كأنّ على الحدائج [2] يوم بانوا نِعاجاً ترتعي بَقْل البِراثِ [3]
يُهيّجني الحمام اذا تداعَى [4] كما سجع النوائحُ بالمَراثي
كأن عيونهنّ من التبكّي فصوصُ الجزْعِ أو يُنْعُ الكَباثِ [5]
ألاقِ أنت في الحِجَج البواقي كما لاقيتَ في الحِجَج الثلاثِ

**أمان عبد الملك :**

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدّثنا عثمان ابن حَفْص وغيره :

أنّ يوسف بن الحكم قام الى عبد الملك بن مَروان لمّا بعث بالحجّاج لحرب ابن الزبير، وقال له : يا أمير المؤمنين، إنّ غـلاماً منّا قال في ابنتي زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه في بنت عمّه، وإن هذا ( يعني ابنه الحجّاج ) لم يزل يَتنوّق اليه ويَهُمُّ به، وأنت الآن تبعثه الى ما هناك، وما آمنه عليه . فدعا بالحجّاج فقال له : إن محمداً النُّمَيريّ جاري ولا سلطانَ لك عليه، فلا تعرِضْ له .

---

(١) مستراث : مستبطأ . ويروى :

فيا لك مستزار مستراث

(٢) الحدائج : جمع حديجة . والحديجة : من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . والنعـاج : البقر الوحشي .

(٣) البراث : الاماكن السهلة من الرمل، واحدها برث ( بالفتح ) .

(٤) في الكامل : « تغنى » .

(٥) الجزع ( بالفتح ) : الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض، تشبه به الأعـين . وينع : جمع يانع . والكباث ( بالفتح ) : النضيج من ثمر الأراك او غير النضيج منه .

قال إسحاق فحدثني يعقوب بن داود الثقفي قال: قال لي مسلم بن جُندَب الهُذَليّ:

كنتُ مع النُّميريّ وقد قتل الحجاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة، فتأخّر النميريّ حتى كان في آخرهم، فدعا به ثم قال له: إنّ مكانك لم يخفَ عليّ، ادنُ فبايعْ. ثم قال له: أنشِدني ما قلتَ في زينب؛ قال: ما قلتُ إلا خيراً؛ قال: لَتُنشِدَنّي. فأنشده قولَه:

تَضوّع مسكاً بطنُ نَعمانَ إذ مشتْ به زينبٌ في نسوة عَطِراتِ
أعان الذي فوقَ السموات عرشُه مَواشيَ بالبَطحاء مؤتجِراتِ
يُخبِّرن أطرافَ الأكُفِّ من التُّقى ويخرُجن جُنحَ الليل معتجِراتِ

فما ذكرتُ أيها الأمير إلا كرماً وخيراً وطيباً. قال: فأنشدْ كلمتَك كلَّها فأنت آمن؛ فأنشده حتى بلغ الى قوله:

ولمّا رأتْ ركبَ النُّميريّ راعها وكُنّ منَ أن يَلقَينه حَذِراتِ

فقال له: وما كان ركبُك؟ قال: والله ما كان إلا أربعة أحمِرة تحمل القَطِران. فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يَعرِض له.

## هربه من الحجّاج:

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن عَطاء عن عاصم بن الحدَثان قال:

كان ابن نُمير الثَّقَفيّ يشبّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحكَم؛ فكان الحجّاج يتهدّده ويقول: لولا أن يقول قائل صدَق لقطعتُ لسانَه. فهرب الى اليمن ثم ركب بحرَ[1] عَدَن، وقال في هربه:

---

(١) هو بحر القلزم، ويسمى في كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع.

أتتني عن الحجاج والبحرُ بيننا ... عقاربُ تسري والعيونُ هواجعُ
فضِقتُ بها ذرْعاً وأجهشتُ خيفةً ... ولم آمنِ الحجاجَ والأمرُ فاظعُ
وحلّ بيَ الخطبُ الذي جاءني به ... سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالعُ
فبِتُّ أديرُ الأمرَ والرأيَ ليلتي ... وقد أخضلتْ خدِّي الدموعُ التوابعُ (١)
ولم أرَ خيراً لي من الصبر إنه ... أعفُّ وخيرٌ إذ عرَتني الفواجعُ
وما أمِنَتْ نفسي الذي خفتُ شرّه ... ولا طاب لي مما خَشِيتُ المضاجعُ
الى أن بدا لي رأس إسبيلَ (٢) طالعاً ... وإسبيلُ حصن لم تَنَلْه الأصابعُ
فلي عن ثقيفٍ إن هممتُ بنَجْوة ... مهامِهُ تهوي (٣) بينهنّ الهجارعُ (٤)
وفي الأرض ذاتِ العَرض عنك ابنَ يوسف ... اذا شئتُ منأًى لا أبا لكَ واسعُ
فإن نِلتَني حجاجُ فاشتفِ جاهداً ... فإنّ الذي لا يحفظ الله ضائعُ

فطلبه الحجاج فلم يقدِر عليه . وطال على النُّميري مقامه هارباً واشتاق الى وطنه، فجاء حتى وقف على رأس الحجاج؛ فقال له : إيه يا نُميري ! أنت القائل :

فإن نلتَني حجاجُ فاشتفِ جاهداً

فقال : بل أنا الذي أقول :

أخاف من الحجاج ما لستُ خائفاً ... من الأسد العِرباض (٥) لم يَثنِه ذُعرُ
أخاف يدَيه أن تنالا مَقاتلي ... بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِترُ

وأنا الذي أقول :

(١) في معجم البلدان : « الدوافع » .
(٢) إسبيل : جبل في مخلاف ذمار .
(٣) ويروى : « تعمى » . والعمى هنا كناية عن الضلال .
(٤) الهجارع : جمع هجرع ( كدرهم وجعفر ) وهو الخفيف من الكلاب السلوقية .
(٥) العرباض : الأسد الثقيل العظيم .

فهـأنذا طوّفتُ شرقاً ومغرباً    وأبتُ وقد دوّختُ[1] كلَّ مكانِ
فلو كانت العنقاء منكَ تطير بي    لِخلتـك إلا أن تَصُدَّ تراني[2]

قال : فتبسّم الحجاج وأمّنه ، وقال له : لا تعاود ما تعلم ؛ وخلّى سبيله .

## زواج زينب أخت الحجاج :

رجع الخبر الى رواية حماد بن إسحاق .

قال حماد فحدّثني أبي قال ذكر المدائنيّ وغيره :

أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزوّجها محمدَ بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عَقِيل – وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة ، وهو يومئذٍ أشرف ثقفيّ في زمانه – أو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عَقيـل ، وهو شيخ كبير ، فاختارت الحكم ، فزوّجها إياه ، فأخرجها الى الشام . وكان محمد بن رياط كريـاً ، وهو يومئذٍ يُكري . فلما ولي الحجاجُ العراقَ استعمل الحكَم بن أيوب على البصرة ، فكلمته زينبُ في محمد بن رياط فولّاه شرطته بالبصرة . فكتب اليه الحجاج : إنك ولّيتَ أعرابياً جافياً شرطتك ، وقد أجزنا ذلك لكلام مَن سألك فيه . قال : ثم أنكر الحكَمُ بعض تَعَجرُفه فعزله . ثم استعمل الحجّاجُ الحكمَ بن سعد العُذْريّ على البصرة

(١) دوّخ فلان البلاد : سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها .

(٢) هذان البيتان رواهما المبرد في الكامل ببعض تغيير وهما :

هاك يدي ضاقت بي الارض رحبها    وإن كنت قد طوّفت كل مكان
ولو كنت بالعنقـاء أو بيسومها    لخلتـك إلا أن تصدّ تراني

وقد نسبها المؤلف ايضاً للعديل بن الفرخ في ترجمته . وذكر أن الحجاج جدّ في طلبه حتى ضاقت به الارض ، فأتى واسطاً وتنكر وأخذ بيده رقعة ودخل اليه مع أصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

هأنذا ضاقت بي الارض كلها    اليك وقد جولت كل مكان
فلو كنت في ثهلان أو شعبتي أجا    لخلتك إلا أن تصدّ تراني

وعزل الحكم بن أيوب عنها واستقدمه لبعض الأمر، ثم ردّه بعد ذلك الى البصرة، وجهّزه من ماله . فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعاماً وخرجت متنزّهة الى بعض البساتين ومعها نسوة . فقيل لها : إنّ فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها . فقالت لها زينب : أريني ساقَكِ؛ فقالت : لا، إلا بخلوة ؛ فقالت : ذاك لكِ، فكشفته لها، فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت : اتّخذي منها خلخالاً . قال : وكان الحجاج وجّه بزينب مع حُرَمه الى الشام لمّا خرج ابنُ الأشعث خوفاً عليهنّ . فلما قُتل ابنُ الأشعث كتب الى عبد الملك بن مروان بالفتح، وكتب مع الرسول كتاباً الى زينبَ يُخبرها الخبرَ، فأعطاها الكتاب، وهي راكبة على بغلة في هودج، فنشرته تقرأه، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفرت، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهرّأ[1] جوفُها فماتت .

**رثاؤه زينب :**

وعاد اليه الرسول، الذي نفَذ بالفتح، بوفاة زينب . فقال النميريّ يرثيها :

## صوت

لزينبَ طيفٌ تَعتريني طوارقُهْ ... هُدوءاً اذا[2] النجم ارْجحنّتْ[3] لواحقُهْ
سيَبكيكِ مِرنانُ[4] العشيّ يُجيبه ... لَطيفُ بنانِ الكفّ دُرْمٌ[5] مَرافقُهْ
اذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ[6] ... لِلَذّاته أنماطُه ونمارقُه[7]

(١) تهرأ اللحم : طبخ حتى يتفسخ ويسقط عن العظم .

(٢) ويروى : «إذ» .

(٣) ارجحن النجم : مال نحو المغرب .

(٤) مرنان العشيّ : كنى به عن الصنج ذي الاوتار وهو من آلات الطرب . والرنين : الصوت الشجي .

(٥) درم : جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه .

(٦) ويروى : «وقربت» .

(٧) نسب المبرد في الكامل هذا البيت لنصيب .

غنّاه معبد، ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وما بقي من شعره من الأغاني في نَسيب النميريّ لم نذكر طريقته وصانعه لنذكر أخباره معه .

## صوت

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نَعمانَ أنْ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة خَفِراتِ
مَرَرْنَ بفَخٍّ رائحاتٍ عشيةً ... يُلبّين للرحمن مُعتَمِراتِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن اسحاق .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدّثنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن المدائني[1] عن عبد الله بن مُسلِم الفِهريّ[2] قال :

خرج عبد الله بن جعفر متنزّهاً، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزّةَ المَيلاء متنزّهَين، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعزّة : غنّيني فغنّته، ثم قال لابن سُريج : غنِّني يا أبا يحيى، فغنّاه لحنَه في شعر النميريّ :

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نَعمانَ أن مشتْ

فأمر براحلته فنُحرت، وشقّ حُلّته فألقى نصفَها على عزّةَ والنصفَ الآخرَ على ابن سريج . فباع ابنُ سُريج النصفَ الذي صار اليه بمائة وخمسين ديناراً . وكانت عزّة اذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخرَ عليها تتجمّل به .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني

(١) هو ابو الحسن علي كان من رواة الاخبار المشهورين . ولد سنة ١٣٥ ﻫ وتوفي سنة ٢٢٥ ﻫ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب . ولد سنة ١٢٥ ﻫ وتوفي سنة ١٩٧ ﻫ وكان ممن جمع وصنف .

الحسن بن عليّ بن منصور قال أخبرني أبو عَتَّاب عن إبراهيم بن محمد بن العباس المُطَّلِبي :

أنّ سعيد بن المُسَيِّب[١] مرّ في بعض أزِقّة مكة، فسمع الأخضرَ الحربيّ يتغنّى في دار العاص بن وائل :

تَضوّع مسكاً بطنُ نَعمان إذ مشت ... بـه زينبٌ في نسوة خَفِرات

فضرب برجله وقال : هذا والله مما يَلَذّ استماعه، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيبَ دِرعِها ... وأبدت بنـانَ الكفّ للجَمرات
وعَلَّت[٢] بَنان المسك وَحْفاً[٣] مرجَّلا ... على مثل بَدْرٍ لاح في الظلمـات
وقامتْ تَراءى يومَ جَمعٍ[٤] فأفتنتْ ... برؤيتها مَن راح من عرفـات

قال : فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المُسَيِّب .

**إنشاده عائشة بنت طلحة :**

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله أخي الأصمعيّ عن عبد الله بن عِمران الهَرَويّ، وأخبرني محمد بن يحيي الصوليّ قال حدّثني المُغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمران الهَرَويّ قال :

لمّا تأيّمت[٥] عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً وبالمدينة سنة ، وتخرج

(١) المسيب : هو ابن حزن بن أبي وهب المخزومي، وأهل العراق يفتحون وأهل المدينة يكسرون .

(٢) يحتمل أن تكون مصحفة عن : « غلت » : وغل شعره بالطيب : أدخله فيه، وغل الدهن في رأسه : أدخله في أصول الشعر .

(٣) الوحف : الشعر الغزير الاسود .

(٤) جمع : علم للمزدلفة، سميت به لاجتماع الناس بها .

(٥) تأيمت المرأة : مات عنها زوجها ولم تتزوج .

الى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه، وتجلس بالعشيّات، فيتناضل بين يديها الرُّماة. فمرّ بها النميريّ الشاعر؛ فسألت عنه فنُسب لها، فقالت: ائتوني به، فأتوها به. فقالت له: أنشِدني مما قلتَ في زينبَ؛ فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمي وقد صارت عظاماً بالية. قالت: أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ؛ فأنشدها قولَه:

تضوّع مسكاً بطنُ نعمان أن مشتْ

الأبيات. فقالت: والله ما قلتَ إلا جميلًا، ولا ذكَرتَ إلا كرماً وطيباً، ولا وصفت إلا ديناً وتُقىً، أعطوه ألفَ درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها؛ فقالت: عليّ به، فأُحضِر. فقالت له: أنشِدني من شعرك في زينبَ؛ فقال لها: أوَ أُنشدُكِ من شعر الحارث بن خالد فيكِ؟ فوثب مواليها اليه؛ فقالت: دَعُوه فإنه أراد أن يَستقيد[1] لبنت عمه، هاتِ مما قال الحارثُ فيّ؛ فأنشدها:

ظَعَن الأميرُ بأحسن الخَلقِ      وغَدَوْا بلبِّك مَطلَعَ الشَّرقِ

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلًا، ذكر أني إذا صبّحتُ زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطَّلْق[2]، وإني غدوتُ مع أميرٍ تزوّجني الى الشرق، وإني أحسن الخَلق في البيت ذي الحسب الرفيع؛ أعطوه ألفَ درهم وأكسُوه حُلّتين، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُميريّ.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه:

---

(١) أي يأخذ بثأرها.

(٢) تشير الى بيت قاله فيها الحارث من هذه القصيدة وهو:

ما صبحت أحداً برؤيتها      إلا غدا بكواكب الطلق

أي أن من تصبحه برؤيتها يرى الزمان صافياً طيباً سعيداً تفاؤلا بطلعتها واستبشاراً. يقال يوم طلق اي مشرق لا برد فيه ولا حر ولا شيء يؤذي.

أن الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرَّقة فحبسه مدّةً، ثم أصطبح يوماً، فبينا هو على حاله إذ تذكّره، فقال: لو كان الموصليّ حاضراً لأنتظم أمرُنا وتمّ سرورنا. قالوا: يا أمير المؤمنين، نجيء به، فما له كبيرُ ذنب. فبعث فجيء به. فلمّا دخل أطرق الرشيد فلم ينظر اليه، وأومأ اليه مَن حضر بأن يغنّي؛ فأندفع فغنّى:

تَضوّع مسكاً بطنُ نَعمانَ أن مشتْ ... بــه زينبٌ في نِسوة خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أن حرّك رأسه مراراً واهتزّ طرباً، ثم نظر اليه وقال: أحسنتَ والله يا إبراهيم! حُلّوا قيوده وغطّوه بالخِلَع، ففعِل ذلك. فقال: يا سيّدي، رضاك أوّلا؛ قال: لو لم أرضَ ما فعلتُ هذا، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم.

ومما قاله النميريّ في زينبَ وغُنّي فيه:

## صوت

تَشتو بمكّة نَعمةً ... ومَصِيفُها بالطائفِ
أَحبِبْ بتلك مواقفاً ... وبزينبٍ مِن واقــف
وعَزيزةٌ[1] لم يَغذُها ... بؤسٌ وجفوةُ حائف
غَرّاء يَحكيها الغزا ... لُ بمقلةٍ وسَوالف

الغناء ليحيى المكيّ خفيف رمل عن الهشاميّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سُرَيج وأنه بالبنصر. وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل.

ومن الغناء في أشعاره في زينبَ:

---

(١) ويروى: «وغريرة». والغريرة: الشابة الحديثة التي لم تجرب الامور.

# صوت

أَلا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ يُحِبّ المُحِلَّةَ أختَ المُحِلّْ
تراءتْ لنا يومَ فرعِ الأرا كِ بين العِشاء وبين الأُصُل
كأنّ القرَنْفُلَ والزَّنجبيـلَ وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسل
يُعَلّ به بَرْدُ أنيابِها إذا ما صفا الكوكبُ المعتدل

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أن لمالك فيه لحناً في :

كأن القرَنْفُلَ والزَّنجبيل

والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما :

وقالت لجارتها هل رأيـتِ إذ أعرض الركبُ فِعلَ الرجلْ
وأنّ تبَسُّمه ضاحكاً أجدّ اشتياقاً لقلب غَزِلْ

وذكر حمّاد عن أبيه أن فيها للهذليّ لحناً ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلّ الذي عناه النميريّ هاهنا : الحجّاج بن يوسف ؛ سُمّي بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان أهل الحجاز يُسمّونه بذلك . ويُسمّي أهلُ الشام عبد الله بن الزبير المُحِلّ لأنه أحلّ الكعبة ، زعموا أنه بمُقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها .

فأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي :

وبلغني أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماء بنت يعقوب

(امرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفت اليه من المدينة وهو بفارس، فمرّت بالأهواز على السيد الحميري؛ فسأل عنها فنسبت له؛ فقال فيها قولَه:

مَرّتْ تُزَفّ على بغلة وفوق رِحالتهـا[1] قُبّهْ
زُبيريّةٌ من بنات الذي أحلّ الحرام من الكعبهْ
تُزَفّ إلى مالكٍ ماجدٍ فلا اجتمعا وبها الوَجْبَهْ[2]

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التي أولها:

ألا مَنْ لقلبٍ مُعنًّى غزِلْ

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلة بنت الزُّبير، وقيل: إنها لأبي شَجرة السُّلَمي[3].

## إنشاد شعره في المصلى:

حدّثني الحسين بن الطيّب البَلْخي الشاعر قال حدّثنا قُتَيبةُ بن سعيـد قال حدّثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحجاب المَعْوَلي[4] قال:

كنت عند ابن سِيرين، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سِيرين:

كأنّ المُدامةَ والزنجبيـلَ وريحَ الخُزامى وذَوْبَ العَسَلْ
يُعَلّ به بَرْدُ أنيابهـا إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدلْ

(١) الرحالة: مركب من مراكب النساء.

(٢) لعل الوجبة: مصدر للمرة من وجب القلب يجب وجيباً اي خفق واضطرب.

(٣) في الكامل للمبرد: «أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزي ... ... وقال الطبري: اسمـه سليم بن عبد العزى». كان من فتاك العرب، ويسكن البادية.

(٤) (بفتح الميم وبكسرها): نسبة الى المعاول والمعاولة (قبائل من الأزد). وهم بنو معولة ابن شمس بن عمرو.

وقال: الله أكبر، ودخل في الصلاة.

## صوت

### من المائة المختارة

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُق(١)    إنّ الأُلى كنتَ تهواهم قد انطلقوا

— ويُروى: يذهب بك الحُرَق —

ما بالهم لم يُبالوا إذ هَجَرتَهمُ    وأنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشعر لوضّاح اليمن. والغناء لصبّاح الخيّاط، ولحنه المختار ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها. وفي أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة، لجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرمة؛ فأخّرتُ ذكرَها الى أن تنقضي أخبارُ وَضّاح، ثم أذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) الخرق: نقيض الرفق.

# أخبار وضاح اليمن ونسبه

وَضَّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه ، وأسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليمَن مع وَهْرِز لنُصرة سَيف بن ذي يَزَن على الحبشة . ويزُعم آخرون أنه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم ابن عبد شمس بن وائل بن الغَوث بن قَطَن بن عَريب بن زُهير بن أيمن بن الهَمَيْسَع ابن العَرَنْجَج[١] وهو حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعرُب وهو المرعف بن قَحطان . فمن ذكر أنه من حمير خالد بن كُلثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جَمد من آل خَولان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَريّ . فمات أبوه وهو طفل ، فأنتقلت أمه الى أهلها ، وأنقضتْ عدّتها فتزوّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس . وشبّ وضّاح في حجر زوج أمّه . فجاء عمُّه وجدّته أمّ أبيه ، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه ، فأدّعى زوج أمه أنه ولده . فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان أجتمع الحِميريّون والأبناء[٢] في أمره وحضر معهم . فلما حكم به الحاكم للحميريين ، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : آذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذي يَزَن[٣] (يعني الفرس الذين قدم بهم أبنُ ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه

---

(١) كان يقال لحمير العرنجج . والعرنجج في الاصل : العتيق .

(٢) الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن ، وكانوا يسمون بصنعاء بني الاحرار، وباليمن الابناء، وبالكوفة الاحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة .

(٣) هو سيف بن ذي يزن الذي بقتله دخلت اليمن في ملك الاحباش .

الكلمة منذ يومئذ ، فلقِّب وضَّاحَ اليمن . قال خالد : وكانت أمّ داذ بن أبي جَمَد جدّةُ وضّاح كِنْديّةً ؛ فذلك حيث يقول في بنات عمه :

إن قلبي مُعَلّــق بنساء واضحاتِ الخدود لَسنَ بُهْجنِ
مِن بنات الكريم داذَ وفي كنــــدةَ يُنســــبن من أبلة اللُّعنِ

وقال أيضاً يفتخر بجدّه أبي جَمَد :

بَنَى ليَ إسماعيلُ مجداً مُؤَثّلا وعبدُ كُلال بعده وأبو جَمَدْ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال :

كان وضّاح اليمن والُمقنَّع الكِنديّ وأبو زُبيد الطائيّ يَرِدون مواسمَ العرب مُقنَّعين يسترون وجوهَهم خوفاً من العين وَحذَراً على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عُبيدة مَعمر بن الُمثنَّى حاضرٌ ذلك، وكان يزعم أن وضّاحاً من الأبناء؛ فقال أبو عبيدة : داذ اسم فارسي فقلت له : عبد كلال اسمٌ يمانٍ ، وأبو جَمَد كنية يمانية، والعجم لا تكتني ، وفي اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأَبْرَهة، وهو اسم حبشيّ ، فينبغي أن تنسبهم الى الحبشة. وأيّ شيء يكون إذا سُمِّي عربيّ باسم فارسيّ ! وليس كل من كُني أبا بكر هو الصدِيق ، ولا من سُمِّي عُمَراً هو الفاروق ، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه . قال : فوجَم أبو عُبيدة وأُفحم فما أجاب .

وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمد بن زياد الكِلابيّ .

وقال خالد بن كلثوم : إنّ أمّ إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن ، وأم أبيه بنت فُرعانَ ذي الدّروع الكِنديّ من بني الحارث بن عمرو .

**أحب روضة :**

وكان وضّاح يهوَى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال :

ذكر هشام بن الكلبيّ أنها رَوضة بنت عمرو ، من ولد فُرعانَ ذي الدروع الكِنْديّ .

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني محمد بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عَديّ عن عبد الله بن عَيّاش :

أن وضّاحاً هَوِي امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة ؛ فذهبت به كل مذهب . وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها ؛ وعاتبه أهله وعشيرته . فقال في ذلك :

## صوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجدُ قد يعشَق المرء ثم يَتَّئدُ
قد يكتم المرء حبّه حِقَباً وهو عميدٌ وقلبه كَمِد
ماذا تريدين من فتًى غَزِلٍ قد شفّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهد
يهدِّدوني كيما أخافَهمُ هيهات أنَّى يُهدَّد الأسد

الغناء لابن مُحرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها لحن لابن عَبّاد، من كتاب إبراهيمَ ، غير مجنّس .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثني سالم بن زيد قال أخبرني التَّوّزيّ قال حدّثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال :

كان وضّاح يهوَى ٱمرأةً من كِنْدة يقال لها رَوضة. فلما ٱشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزوَّجها، وزُوِّجت غيرَه، فمكثت مدة طويلة. ثم أتاه رجل من بلدها فأسرّ اليه شيئاً فبكى. فقال له أصحابه: ما لك تبكي؟ وما خبرك؟ فقال: أخبرني هذا أنّ روضةَ قد جُذمت، وأنه رآها قد أُلقيت مع المجذومين. ولم نجد لها خبراً يرويه أهلُ العلم إلا لمعاً يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غثّ الحديث والشعر لا يُذكَر مثله. وأصابها الجُذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما. ثم شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَروان زوجةِ الوليد بن عبد الملك، فقتله الوليد لذلك. وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية.

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرب قال حدّثنا مصعَب بن عبد الله قال:

كان وضّاح اليمن يهوى ٱمرأةً يقال لها روضة ويشبّب بها في شعره، وهي ٱمرأة من أهل اليمن. وفيها يقول:

## صوت

يا رَوضة الوضّاح قد عَنّيتِ وضّاحَ اليمنْ
فأسقي خليلَك مِن شرا بٍ لم يُكدِره الدَّرَن
الريحُ ريح سَفَرْجَلٍ والطعمُ طعم سُلافِ دَنّ
إني تُهيّجني اليكِ حمامتان على فَنَن

قال مُصعَب: فحدّثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وضاح مع روضةَ من أهل اليمن: أن وضّاحاً كان في سفر مع أصحابه. فبينا هو يسير إذ ٱستوقفهم وعدَل عنهم ساعةً، ثم عاد اليهم وهو يبكي. فسألوه عن حاله؛ فقال: عدلتُ

الى روضة، وكانت قد جُذمت فجعلت مع المجذومين، وأخرجت من بلدها، فأصلحت من شأنها وأعطيتُها صدراً[1] من نفقتي. وجعل يبكي غمّاً بها.

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات؛ فإن في جميعها غناء.

ومما قاله وضاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء، وأنشدنا حَرَميّ عن الزُّبير عن عمه:

## صوت

أيا روضةَ الوَضّاح يا خيرَ رَوْضةٍ لأهلكِ، لو جادوا علينا بمنزلِ
رهينُكِ وَضّاحٌ ذهبتِ بعقله فإن شئتِ فأحييه وإن شئتِ فاقتلي
وتُوقد حيناً باليَلَنْجُوج[2] نارَها وتوقد أحياناً بمسك ومَندلِ

والأبيات الأُوَل النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب، وفي سائرها غناء. وتمامُها بعد قوله:

«إني تُهيّجني اليكِ حمامتان على فَنَنْ»
الزوج يدعو إلفَه فتطاعما حُبَّ السكنْ
لا خيرَ في نَثّ[3] الحديث ولا الجليس إذا فطَنْ
فأعصي الوُشاةَ فإنما قول الوشاة هو الغَبَنْ
إنّ الوُشاة إذا أتو كِ تَنَصَّحوا ونَهَوكِ عنّ[4]

(١) الصدر: الطائفة من الشيء.

(٢) اليلنجوج: عود البخور.

(٣) نث الحديث: إفشاؤه وإذاعته. والمروي: بث.

(٤) يريد: عني.

دَسّت حُبَيبةُ مَوْهِناً إني وعيشكِ يا سَكَنْ
أبلغتُ عنكِ تبدُّلا وأنى بذلك مُؤتمن
وظننتُ أنكِ قد فعلت فكِدْتُ من حَزَنٍ أجن
ذَرَفتْ دموعي ثم قلت بن يادلني بن
أسكُتْ فلستَ مُصدَّقاً ما كان يفعل ذا أظن
إني وَجدِكَ لو رأيت خليلَنا ذاك الحسن
يجفوه ثم يحبنا واللهِ مِتُّ من الحَزَنِ
أخبرْه إمّا جئتَه أنّ الفؤاد به يجن
أبغضت فيه أحبتي وقَلَيتُ أهلي والوطن
أتركتَني حتى إذا عُلِقت أبيض كالشَّطَن
أنشأتَ تطلب وَصْلَنا في الصيف ضَيَّعتِ اللبن [١][٢]

— هكذا قال، وغيره يرويه : « في الصيف ضيحت اللبن » أي مذقته [٣] . قال —

لو قيل يا وضاح قم فاختر لنفسك أو تَمَنْ
لم أعدُ رَوْضَةَ والذي ساق الحجيج له البُدُنْ

الغناء في الأوّل من القصيدة وهو « يا روضة الوضّاح » يُنسب إن شاء الله . وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعة، وبعضها لم يَقع إليَّ أنه صُنِع فيه . فمن قوله فيها :

## صوت

يا روضُ جيرانكم الباكرُ فالقلبُ لا لاهٍ ولا صابرُ

---

(١) قلى : هجر .

(٢) المثل مشهور ويضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه .

(٣) مذق اللبن بالماء : مزجه .

قالت ألا لا تَلِجَـنْ دارَنا إنَّ أبانا رجـلٌ غائرُ
قلت فإنّي طـالبٌ غِرّةً منه وسيفي صـارمٌ باترُ
قالت فإن القَصْرَ مِن دوننا قلتُ فإني فوقـه ظاهر
قالت فإن البحرَ مِنْ دوننا قلت فإني سابـحٌ ماهر
قالت فحَوْلي إخـوةٌ سبعةٌ قلت فإني غـالبٌ قاهر
قالت فليثٌ رابضٌ بيننـا قلت فإني أسدٌ عـاقر
قالت فإن الله من فوقنـا قلت فربّي راحمٌ غـافر
قالت لقـد أعييتَنا حُجّةً فأتِ إذا ما هجـع السامر (١)
فاسقُط علينا كسقوط النّدى ليـلةَ لا ناهٍ ولا زاجر

الغناء في هذه الأبيات هَزَجٌ يمنيّ، وذكر يحيى المكي أنه له.

وقال في روضةَ وهو بالشام:

أَبتْ بالشام نفسي أن تطيبَا تذكَّرتُ المنازلَ والحبيبَا
تذكَّرتُ المنازلَ من شَعُوبٍ (٢) وحيّاً أصبحوا قُطِعـوا شُعوبا
سَبَوا قلبي فَحـلَّ بحيث حلُّوا ويُعظم إن دَعَـوْا ألّا يجيبا
ألا ليت الرياحَ لنـا رسولٌ اليكم إن شَمالًا أو جَنُـوبا
فتأتِيَكم بمـا قلنا سريعاً ويبلُغَنـا الذي قلتم قريبـا
ألا يا رَوْضُ قد عذّبتِ قلبي فأصبح من تذكُّرِكم كئيبا
ورقّقني هواكِ وكنتُ جَلْداً وأبـدى في مَفارِقِيَ المَشيبا
أما يُنسيكَ روضةَ شحطُ دار ولا قـربٌ اذا كانت قريبا

ومما قال فيها أيضاً:

---

(١) السامر: اسم جمع بمعنى المتسامرين.

(٢) شعوب: موضع قريب من صنعاء.

طَرِبَ الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشِي والقومُ بينَ أباطحٍ وعِشاشِ[١]
أنّى اهتديتِ ودون أرضكِ سَبسبٌ قَفرٌ وحَزْنٌ في دُجى ورِشاش
قالت تكاليفُ المحبّ كَلِفتُها إنّ المحبّ اذا أُخيف لَماشي
أدعوكِ روضة رحب وأسمك غيرُه شَفَقاً وأخشى أن يَشِي بكِ واشي
قالت فزُرنا قلتُ كيف أزورُكم وأنا امرؤٌ لخُروج سرّكِ خاشي
قالت فكُنْ لعُمومتي سَلماً معاً والطُفْ لإخوتيَ الذين تُماشي
فتزورنا معهم زيارةَ آمنٍ والسرُّ يا وضّاح ليس بفاشي
ولَقِيتُها تمشي بأبطحَ مرّةً بخَلاخلٍ وبحُلّةٍ أكباش[٢]
فظلِلتُ معموداً وبتّ مُسَهَّداً ودموع عيني في الرداء غَواشي
يا روض حبُّكِ سَلّ جسمي وانتحى في العظم حتى قد بلغتِ مُشاشي[٣]

ومما قال فيها ايضاً :

طَرَقَ[٤] الخيالُ فمرحباً سهلَا بخيال مَن أهدى لنا الوَصْلَا
وسَرى إليّ ودون منزله خمسٌ دوائمُ تُعمِل الإبِلا[٥]
يا حبّذا مَن زار معتسِفاً[٦] حَزْنَ البلاد إليّ والسَّهلا
حتى ألمّ بنا فبِتُّ به أغنى الخلائق كلّهم شَمْلا
يا حبذا هي حسب قدكِ في والله ما أبقيت لي عقلا
والله مالي عنكِ مُنصَرَفٌ إلا اليكِ فأجمِلي الفِعلا

---

(١) العشاش : جمع عشة ( بالفتح )، وهي الارض القليلة الشجر، وقيل : هي الارض الغليظة .

(٢) الاكباش : من برود اليمن .

(٣) المشاش : النفس . والمشاش ايضاً : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، واحده مشاشة .

(٤) ويروى : « طاف » .

(٥) ويروى : « الأسلا » .

(٦) وفي رواية : « ... من زائر متعسف » .

**عشقه أم البنين :**

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المروزيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لقيط والهيثم بن عديّ :

أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك في الحج فأذِن لها، وهو يومئذٍ خليفة وهي زوجته . فقدمت مكّةَ ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثله حسناً . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممن تبعها . وقدمتْ، فتراءت للناس، وتصدّى لها أهلُ الغزَل والشعر، ووقعتْ عينُها على وضّاح اليمن فهويته .

فحدّثنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني ابراهيم ابن محمد بن عبد العزيز الزّهري عن محمد بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه عن بُدَيح قال :

قدمتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذٍ خليفة . فبعثتْ الى كُثيّر والى وضّاح اليمن أنِ انسُبا بي. فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنّسيب بها ؛ فوَجد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله . وأمّا كُثيّر فعدَل عن ذكرها ونسب بجاريتها غاضِرة فقال :

## صوت

شجا أظعانُ غاضرةَ الغَوادي بغيرِ مَشورة عَرَضاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنتم حُنوَّ العائدات على وِسادي
أوَيتِ[1] لعاشق لم تشكُميه بواقدةٍ تلذّعُ كالزّنادِ

(١) أويت العاشق : رثيت له وأشفقت عليه .

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحرز ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحَبَش .
قال بُدَيح : فكنتَ لمّا حجّت أم البنين لا تشاء أن ترى وجهاً حسناً إلا رأيته معها . فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقيات : بمن تشبّب من هذا القطين ؟ فقال لي :

وما تصنع بالسرّ اذا لم تك مجنونا
اذا عالجتَ ثِقل الحبّ عالجت الأمَرّينا [1]
وقد بُحتَ بأمرٍ كا ن في قلبيَ مكنونا
وقد هِجتَ بما حاولتَ أمراً كان مدفونا

قال : ثم خلا بي فقال لي : أكتُم عليّ ، فإنك موضع للامانة؛ وأنشدني :

## صوت

أصحوتَ عن أمّ البنينَ وذكرِها وعَنائها
وهجرتَها هجرَ أمرئٍ لم يَقلُ صفوَ صفائها
قُرشيّةٌ كالشمس أشرق نورُها ببهائها
زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها
لمّا اسبكرّتْ للشبا ب وقُنِّعت بردائها
لم تلتفت لِلِداتها ومضتْ على غُلوائها
لولا هَوى أمِّ البنينَ وحاجتي للقائها
قد قرّبت لي بغلةً محبوسة لنَجائها

قال بُدَيح : فلمّا قتل الوليدُ وضّاحَ اليمن، حجّت بعد ذلك أمُّ البنين محتجبةً لا تكلِّم أحداً؛ وشخصت كذلك، فلقيني ابنُ قيس الرقيات ، فقال : يا بديح ،

---

(١) الأمرون : الدواهي .

# صوت

بان الحبيبُ الذي بـه تَثِقُ    واشتدّ دون الحبيبة القَلَقُ
يا من لصَفراء في مفـاصلها    لِينٌ وفي بعض بطشها خُرُقُ

وهي قصيدة قد ذُكِرت مع أخبار آبن قيس الرقيّات .

الغناء في الأبيات الأُوَل التي أولها :

أصحوتَ عن أمّ البنين

يُنسب في موضع آخر إن شاء الله .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّـلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال حدثني كُثيّر قال :

حججتُ مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وهي زوجة الوليـد بن عبد الملك، فأرسلت إليّ والى وضّاح اليمن أن انسُبا بي ؛ فهِبْتُ ذلـك ونسَبت بجاريتها غاضرةَ، فقلت :

شجا أظعانُ غاضرة الغَوادي    بغـير مَشُورة عَرَضاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنتم    حُنُوّ العائدات على وسادي
أوَيتِ لعاشقٍ لم تشكُميه    بواقـدة تلذّع كالزِّنادِ

وأمّا وضّاح فنسَب بها، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكَرانيّ قـال حدثني أبو عمر العُمَريّ عن العُتْبيّ قال :

مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك، وهو يومئذٍ خليفـة، ووعدَته أمّ

البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده[١] عنده وتقوّيَ أمره . فقدِم عليه وضّاح وأنشده قوله فيه :

## صوت

صبا قلبي ومال اليكِ مَيْلا وأرّقني خيالُكِ يا أُثَيْلا[٢]
يَمانيَةٌ تُلِمّ بنا فتُبدِي دقيقَ محاسنٍ وتُكنّ[٣] غَيْلا[٤]
دَعِينا ما أممت بناتِ[٥] نَعشٍ من الطَّيف الذي يَنتاب ليلا
ولكنْ إن أردتِ فَصبِّحينا اذا أمّتْ ركائبُنا سُهيلا[٦]
فإنكِ لو رأيتِ الخيلَ تعدو سِراعاً[٧] يتخذن النَّقعَ ذَيْلا
إذاً لرأيتِ فوقَ الخيل أُسْداً[٨] تُفيد مغانماً وتُفيت[٩] نَيْلا
اذا سار الوليدُ بنا وسِرنا الى خيل نَلُفّ بهنّ خَيلا
ونَدخل بالسرور ديارَ قوم ونُعقِب آخرين أذًى ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه . ومدحه بعدّة قصائد . ثم نُمي اليه أنه شبّب بأم البنين، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر في قتله .

---

(١) رفده وأرفده : أعانه .

(٢) أثيل : ترخيم أثيلة، وهو اسم أمرأة .

(٣) ويروى : « وتجن » .

(٤) الغيل : الساعد الريان الممتلئ .

(٥) بنات نعش : من الكواكب الشامية .

(٦) يريد اذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن . ورواية هذا البيت في شرح الحماسة وتجريد الاغاني :

ولكن إن أردت فهيجينا اذا رمقت بأعينها سهيلا

(٧) ويروى : « عوابس » .

(٨) ويروى : رأيت على متون الخيل جنّا

(٩) كذا في شرح الحماسة وتجريد الاغاني . يريد : تفيد المغانم من أعدائها وتفيتهم نيل شيء منها .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضاً :

ما بال عينكَ لا تَنام كأنما  طلب الطبيبُ بها قذًى فأضلّهْ
بل ما لقلبك لا يزال كأنه  نَشوانُ أنهله النديمُ وعلّه
ما كنت أحسب أن أبيتَ ببلدةٍ  وأخي بأخرى لا أحلُّ محلّه
كنّا لعَمْرُك ناعمين بغبطةٍ  مع ما نُحبّ مَبيتَه ومَظلّه
فأرى الذي كنّا وكان بغِرّةٍ  نلهو بغرّته ونهوى دَلّه
كالطيف وافق ذا هوًى فلها به  حتى إذا ذهب الرقاد أضلّه
قل للذي شَعَفَ[1] البلاء فؤاده  لا تهلكنّ أخاً فربّ أخٍ له
والقَ ابنَ مَروان الذي قد هزّه  عِرقٌ[2] المكارم والندى فأقلّه
وأشكُ الذي لاقيته من دونه[3]  وأنشرْ اليه داء قلبك كلّه
فعلى ابن مَروانَ السلامُ من امرئٍ  أمسى يذوق من الرُّقاد أقلّه
شوقاً اليك فما تنالك حاله  وإذا يَحِلّ الباب لم يؤذن له
فإليك أعملتُ المطايا ضُمّراً  وقطعتُ أرواحَ الشتاء وظِلّه[4]
ولياليا لو أنّ حاضرَ بثّها  طرف القضيب أصابه لأشلّه

فلم يزل مجفوّاً حتى وَجد الوليد له غِرّة، فبعث اليه مَن اختلسه ليلاً فجاءه به فقتله ودفنه في داره، فلم يوقف له على خبر.

**قتل الوليد له :**

وقال خالد بن كلثوم في خبره :

---

(١) ويروى : «شنف».

(٢) ويروى : «عرف».

(٣) ويروى : «من جفوة».

(٤) ويروى : «طله»، والطل : أخف المطر وأضعفه. وقيل : هو الندى.

كان وضّاح قد شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أمرأة الوليد بن عبد الملك ، وهي أم أبنه عبد العزيز بن الوليد ، والشرفُ فيهم . فبلغ الوليدَ تشبُّبُه بها ، فأمر بطلبه فأُتي به ، فأمر بقتله . فقال له أبنه عبد العزيز : لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقّقَ قولَه ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهْبَل ؛ فإنه لمّا شبّب بأبنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله ؛ فقال : إذاً تُحقّق قولَه ، ولكن تَبَرّه وتحسن اليه فيستحي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه . فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حياً . فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبية وبين رجل من ولد الوليد فَخارٌ خرجا فيه الى أن أغلظا المُسابّةَ ، وذلك في دولة بني العبّاس ؛ فوضع الشُّعوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أن أمّ البنين عشِقتْ وضّاحاً ، فكانت تُدخله صندوقاً عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه اليه وأراه الصندوق ، فأخذه فدفنه . هكذا ذكر كلثوم والزُّبير بن بكّار جميعاً .

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبيب عن أبن الكلبيّ قال :

عَشِقتْ أمُّ البنين وضّاحاً ، فكانت تُرسل اليه فيدخل اليها ويُقيم عندها ؛ فإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه . فأُهدي للوليد جوهر له قيمة فأعجبه وأستحسنه ، فدعا خادماً له فبعث بـه معه الى أم البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتُكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها ، فأدخلته الصندوقَ وهو يَرى ، فأدّى اليها رسالةَ الوليد ودفع اليها الجوهر ، ثم قال : يا مولاتي ، هَبيني منه حجراً ؛ فقالت : لا، يأبنَ اللَّخناء ولا كرامة . فرجع الى الوليد فأخبره ؛ فقال : كذبتَ يأبن اللخناء ، وأمر به فوُجئتْ عنقُه . ثم لبس نعليه ودخل على أمّ البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أمّ البنين ، ما أحبَّ اليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : أجلس فيـه

وأختاره لأنه يجمع حوائجي كلّها فأتناولها منه كما أريد من قرب . فقال لها : هَبي لي صندوقاً من هذه الصناديق؛ قالت : كلُّها لك يا أمير المؤمنين؛ قال : ما أريدها كلّها وإنما أريد واحداً منها؛ فقالت له : خذ أيّها شئتَ؛ قال : هذا الذي جلستُ عليه ؛ قالت : خذ غيرَه فإن لي فيه أشياء أحتاج اليها ؛ قال : ما أريد غيره ؛ قالت : خُذه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخدم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به الى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عَبيداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقة، فنُحّي البساط وحُفرت الى الماء . ثم دعا بالصندوق فقال : يا هذا إنه بلغنا شيء إن كان حقًّا فقد كفَّنَّاك ودفنَّاك ودفنَّا ذكرك وقطعنا أثرك الى آخر الدهر، وإن كان باطلًا فإنا دفنَّا الخشبَ، وما أهونَ ذلك ! ثم قُذِف به في البئر وهيل عليه الترابُ وسُوّيت الأرض ورُدّ البساط الى حاله وجلس الوليد عليه . ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا الى هذا اليوم . قال : وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني مصعب بن عبد الله قال :

مَرِضت أم البنين ووضّاح مُقيمٌ بدمشق، وكان نازلًا عليها؛ فقال في علّتها :

## صوت

حتّامَ نَكتُم حزنَنا حتّامَا ... وعَلامَ نَستبقي الدموعَ علامَا
إن الذي بي قد تفاقم واعتلى ... ونما وزاد وأورثَ الأسقاما
قد أصبحت أمُّ البنين مريضةً ... نَخشى ونُشفق أن يكون حِماما
يا ربّ أمتِعني بطول بقائها ... واجبُر بها الأرمال والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريبَ بأرضها ... قد فارق الأخوالَ والأعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤَّسٍ ... عُصموا بقرب جَنابها إعصاما

بجناب ظاهرة الثّنـا محمودةٍ　　لا يُستطاع كلامُهـا إعظاما

الغناء في الأوّل والثاني والثالث والرابع والخامس لحكمٍ الواديّ خفيفُ رمل بالوسطى، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى. ومما وجد في روايتي هـارون بن الزيّات وابن المكيّ في الرابع ثم الخامس ثم الأوّل والثاني لعمر الوادي خفيف رمل، من رواية الهشامي.

**شبب بفاطمة بنت عبد الملك:**

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال:

بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشببُ وضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له: إن قتلته فضحتَني وحقّقتَ قوله، وتوهّم الناس أن بينه وبين أمّي ريبة. فأمسك عنه على غيظ وَحنَق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدّى أمّ البنين الى أخته فاطمةَ بنت عبد الملك، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وقال فيها:

بنتُ الخليفة والخليفة جَدُّها　　أختُ الخليفة والخليفة بعلُها
فَرِحتْ قوابلُها بها وتباشرتْ　　وكذاك كانوا في المسرّة أهلُها

فأحنق[1] واشتدّ غيظه وقال: أما لهـذا الكلب مُزدَجرٌ عن ذكر نسائنا وإخوتنا، ولا له عنّا مذهب! ثم دعا به فأُحضر، وأمر ببئر فحفرت ودفَنه فيها حيّاً.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال:

أنشدت محمدَ بن المنكدِر قولَ وضّاح:

(١) أحنق الرجل: اذا حقد حقداً لا ينحل.

فما نوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها وأعلمتُها ما رخّص اللهُ في اللّممْ

قال : فضحك وقال ؛ إن كان وضّاح إلا مُفتياً لنفسه . وتمام هذه الأبيات :

ترَجلَ[1] وضّاحٌ وأسبل بعد ما تكهّل حيناً في الكهول وما احتلَمْ
وعُلق بيضاء العوارض طَفلةً مُخضَّبة الأطراف طيّبةَ النَّسم
إذا قلتُ يوماً نوّليني تبسّمتْ وقالت مَعاذَ اللهِ مِن فِعل ما حَرُم
فما نَوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها وأعلمتُها ما رخّص اللهُ في اللّمم

**رثى أباه وأخاه :**

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العمريّ عن العُتبيّ في خبره الأوّل المذكور من أخبار وضّاح مع أمّ البنين قال :

كان وضّاح مقيماً عند أم البنين ، فورد عليه نعيُ أخيه وأبيه ؛ فقال يرثيهما :

أراعك طائرٌ بعد الخُفوقِ بفاجعةٍ مُشنّعة الطُّروقِ
نعمْ وَلَهاً على رجل عَميد أظلُّ كأنني شَرِقٌ بريقي
كأني إذ علتُ بها هُدُوّاً هوتْ بي عاصفٌ من رأس نِيق[2]
أعلُّ بزَفرة من بَعد أخرى لها في القلب حَرٌّ كالحريق
وتَردُف عَبرةٌ تهتانَ أخرى كفائض غَرب نَضّاح فَتيق
كأني إذ أكفكِفُ دمعَ عيني وأنهاها أقول لها هَريقي
ألا تلك الحوادث غِبتُ عنها بأرض الشام كالفرد الغريق
فما أنفكُّ أنظر في كتاب تُداري النفسُ عنه هوًى زَهوق[3]

(١) الترجل والترجيل : تسريح الشعر .
(٢) النيق : أعلى موضع في الجبل .
(٣) الزهوق : الهالك .

يُخبِّر عن وفــاة أخٍ كريم بعيدِ الغور نَفــاع طَليقِ
وقَرْمٍ يُعرِض الخصمانُ عنه كما حاد البِكارُ عَنِ الفَنيق[١]
كريم يملأ الشِيزَى[٢] ويَقري إذا ما قــلَّ إيماضُ البُروق
وأعظم ما رُميتُ به فَجُوعاً[٣] كتابٌ جــاء من فَجٍّ عميق
يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصــبراً تَنجّزْ وعدَ مَنَّان صَدوق
سأصبر للقضاء فكل حيٍّ سيلقى سَكرة الموت المَذوق
فما الدنيا بقائمةٍ وفيهــا مِن الأحياء ذو عينٍ رَموق
وللأحيــاء أيامٌ تَقضّى يَلُفُّ ختامُها سُوقاً بسوق
فأغناهم كأعدمهم إذا ما تقضّتْ مُدَّةُ العيش الرقيق
كذلك يُبعثون وهم فُرادَى ليوم فيه تَوْفيــةُ الحقوق
أبعدَ هُمام قومك ذي الأيادي أبي الوضّاح رَتّاق الفُتوق
وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم وبعدَ سَماعَة العَوْد العَتيق
وبعد أبن المفضّل وأبن كافٍ هما أخواك في الزمن الأنيق
تؤمل أن تعيش قريرَ عينٍ وأين أمامَ طَلّابٍ لَحُوق
ودنياك التي أمسيتَ فيها مزايلةُ الشقيق عن الشقيق

ومما قاله مَرثية أهله وذكر الموت وغُنّي فيه — وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة — :

## صوت

ما لكَ وضّاح دائمَ الغزَلِ ألستَ تخشى تقارُبَ الأجلِ

(١) البكار : جمع بكر وهو الفتى من الإبل . والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب .

(٢) الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع .

(٣) الفجوع : الفاجع ، فعول للمبالغة .

صلِّ لذي العرش وأتخذ قَدَماً تُنجيك يوم العثار والزَّلل
يا موت ما إن تزال معترضاً لأملٍ دون منتهى الأمل
لو كان مَن فرَّ منك منفلتاً[1] إذاً لأسرعتُ رحلةَ الجمل
لكنَّ كفَّيك نال طولهما ما كلَّ عنه نجائبُ الإبل
تنال كفَّاك كلَّ مُسهلة وحوتَ بحر ومعقلَ الوَعِل
لولا حِذاري من الحُتوف فقد أصبحتُ من خوفها على وَجل
لكنتُ للقلبِ في الهوى تَبَعاً إنَّ هواه ربائبُ الحَجَل
حِرْميَّةٌ[2] تسكن الحجازَ لها شيخٌ غَيور يعتلَّ بالعِلل
عُلِّق قلبي ربيبَ بيتَ ملو كٍ ذاتَ قُرطين وَعثةَ الكَفَل[3]
تَفتَرُّ عن مَنطِقٍ تَضَنَّ به يَجري رُضاباً كذائب العسل

شبب بحبابة :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدَّثني سليان بن أيّوب عن مصعب قال :

قال وضّاح اليمن في حَبابة جاريةِ يزيد بن عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير اليه ، وسمع غناءها فأُعجب بها إعجاباً شديداً :

## صوت

يا مَن لقلبٍ لا يُطيع الزاجرين ولا يُفيقْ

(١) في الاصول «منقلباً» .

(٢) حرمية : نسبة الى الحرم ( بالتحريك ) على غير قياس .

(٣) يقال : امرأة وعثة : اي كثيرة اللحم كأن الاصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها .

تساو قلوبُ ذوي الهوى  وهو المكلَّف[1] والَمشوق
تَبَلتْ[2] حَبابةُ قلبَه  بالدَّل والشكل الأنيق
وبعين أحورَ يرتعي  سَقْط الكثيب[3] من العقيق
مكحولة بالسحر تُنشي  نشوةَ الخمر العَتيق
هيفاء إن هي أقبلتْ  لاحت كطالعة الشروق
والردفُ مثلُ نقاً تلبَّد  فهو رُحلوق زَلُوق
في درّة الأصداف معتنفاً  بها رَدْع الَخلوق[4]
داوي هوايَ وأَطفِئي  ما في الفؤاد من الحريق
وترفّقي أملي فقد  كلَّفتِني مالا أُطيق
في القلب منك جوى المحبّ  وراحةُ الصبّ الشفيق
هذا يقود برُمّتي[5]  قوداً اليك وذا يسوق
يا نفسُ قد كلَّفتِني  تَعبَ الهوى منها فذوق
إن كنتِ تائقةً لحرّ  صبابة منها فتُوق

**شعر له في روضة :**

ومما قاله في روضة وفيه غناء قوله :

## صوت

يا لَقومي لِكثرة العذّال  ولطيفٍ سرى مليحِ الدّلالِ

---

(١) كلف به كلفاً : اذا ولع به فهو كلف ومكلف .

(٢) تبله الحب : أسقمه .

(٣) سقط الكثيب : منقطعه .

(٤) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لان أعظم أجزائه من الزعفران . والردع : أثر الطيب في الجسد .

(٥) الرمة : قطعة حبل يشدّ بها .

زائر في قصور صنعاء يَسري كلَّ أرض مخوفةٍ وجبال

– والغناء لابن عبّاد عن الهشاميّ رمل – وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة يقول فيها :

يقطع الحَزْنَ والمَهامِهَ والبِيد ومِن دونه ثمانُ ليالي
عاتبٌ في المنام أحببْ بعُتْبا ه الينا وقولِه مِن مَقالِ
قلت أهلاً ومرحباً عددَ القطْر وسهلاً بطَيف هذا الخيالِ
حبّذا مَن إذا خلونا نَجِيّاً قال : أهلي لك الفِداء ومالي
وهي الهمّ والمُنى وهوى النفس إذا اعتلّ ذو هوًى باعتلال
قِستُ ما كان قبلنا من هوى النا س فما قِستُ حبّها بمثال
لم أجد حبّها يُشاكله الحبّ ولا وَجْدَنا كوَجد الرجال
كل حبٍّ إذا أستطال سيبلى وهوًى روضةِ المُنى غيرُ بالي
لم يَزِدْه تقادُمُ العهد إلّا جِدّةً عندنا وحسنَ احتلال
أيها العاذلون كيف عتابي بعد ما شاب مَفرِقي وقَذالي
كيف عَذلي على التي هي مني بمكان اليمين أختِ الشِّمال
والذي أحرموا له وأحلّوا بمِنًى صُبحَ عاشرات الليالي ¹
ما ملكتُ الهوى ولا النفس مني مُنذ عَلِقتُها فكيف احتيالي
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرفاً أو دنتْ لي فثمّ يبدو خَبالي
يابنةَ المالكيّ يا بهجة النفس أفي حبّكم يَحِلُّ اقتتالي
أيّ ذنب عليّ إن قلتُ إني لأُحِبّ الحجازَ حبّ الزِّلال
لأُحِبّ الحجاز مِن حبّ مَن فيه وأهوى حِلاله من حِلال ²

(١) يريد صبح الليلة العاشرة من ذي الحجة .

(٢) الحلال : جمع حلة ( بالكسر ) وهي المحلة، او القوم النزول فيهم كثرة .

## صوت

وما فيه غناء من شعر وضّاح :

أيها النّاعِبُ ماذا تقولُ فكلانا سائلٌ ومَسولُ
لا كساك الله ما عشتَ ريشاً وبجوفٍ بتّ ثم تَقيل
ثم لا أنقفتَ(١) في العشّ فرخاً أبداً إلا عليك دليل
حين تنبي أنّ هنداً قريبٌ يبلغ الحاجاتِ منها الرسول
ونأت هند فخبّرتَ عنها أن عهد الودّ سوف يزول

ومنها :

## صوت

حيّ التي أقصى فؤادِكَ حلّتِ علمتْ بأنك عاشقٌ فأدلّتِ
واذا رأتك تقلقلتْ أحشاؤها شوقاً اليك فأكثرتْ وأقلّتِ
واذا دخلتَ فأغلقتْ أبوابُها عزم الغيورُ حجابَها فاعتلّتِ
واذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً حتى تَبُلّ دموعُها ما بَلّتِ
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحباً رَحُبَت عليك بلادُنا وأظلّتِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها ليحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، من كتابه . ولابنه أحمدَ فيها هزج . وذكر حَبَش أن ليحيى فيها أيضاً خفيفَ ثقيل .

ومنها :

---

(١) أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة .

## صوت

أتعرف أطـلالًا بمَيْسرة اللِّوى ... الى أرعبَ[١] قد حالفتك به الصَّبا
فأهلًا وسهلًا بالتي حلَّ حبُّهـا ... فؤادي وحلَّت دارَ شَحْط من النَّوى

— الغناء فيه هَزَجٌ يَمنيٌّ بالبنصر عن ابن المكيّ — وهذه أبيات يقولها لأخيه سَماعةَ، وقد عتَب عليه في بعض الأمور . وفيها يقول :

أبادر دُرْنوكَ[٢] الأمـير وقُرْبَه ... لأُذكَرَ في أهل الكرامة والنُّهى
وأتبع القُصّاصَ كلَّ عشيَّـةٍ ... رجاء ثواب الله في عَـدد الخُطا
وأمستْ بقصر يضرب الماءُ سورَه ... وأصبحتُ في صنعاء ألتمس النَّدى
فمن مُبلِغٌ عني سماعـةَ ناهياً ... فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقطَع السَّلى[٣]
وإن شئتَ وصلَ الرَّحْم في غير حيلة ... فعلنا وقُلنا للـذي تشتهي بلى
وإن شئتَ صُرْماً للتفرُّق والنَّوى ... فبُعْداً، أدام الله تفرقـةَ النَّوى

ومنها :

## صوت

طرَق الخيالُ فمرحباً ألفَا ... بالشاغفات قلوبَنـا شَغفَا
ولقد يقول ليَ الطبيبُ وما ... نَبّأْتُه من شأننا حَرفا :

---

(١) أرعب : موضع .

(٢) الدرنوك : الطنفسة وضرب من البسط او الثياب له خمل قصير كخمل المناديل وبـه تشبه فروة البعير والاسد .

(٣) السلى : الجلدة التي يكون فيها الجنين من الناس والمواشي، فإن انقطع في البطن هلكت الام وهلك الجنين .

إني لأحسب أنَّ داءكَ ذا    مِن ذي دَمالجَ يخضِب الكفّا
إني أنا الوضّاح إن تَصِلي    أُحسِنْ بكِ التشبيبَ والوَصْفا
شطَّت فشفَّ القلبَ ذِكرُكها    ودنتْ فما بذلتْ لنا عُرْفا

ومنها :

# صوت

— ويُروى لبشّار —

يا مرحباً ألفاً وألفاً    بالكاسراتِ إليّ طَرْفا
زُجج الروادف كالظِبـا    ء تعرّضت حُوًّا ووُطفا[1]
أنكرنَ مركبيَ الحِمـا    رَ وكنّ لا يُنكرن طِرْفا[2]
وسألنني أينَ الشبـا    بُ فقلتُ بانَ وكان حِلفا
أفنى شبـابي فانقضى    حِلفُ النساء تَبِعن حِلفا
أعطيتهنّ مـودّتي    فجزينني كذباً وخُلفـا
وقصائدٌ مثلُ الـرُّقى    أرسلتُهن فكنَّ شَغْفا
أوجعن كلَّ مُغازِلٍ    وعَصَفن بالغيران عَصفـا
من كل لذّات الفتى    قـد نلتُ نائلةً وعُرفـا
صِدتُ الأوانسَ كالدُّمى    وسقيتُهنَّ الخمـرَ صِرفا

ومنها : — وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبي جُمد —

---

(١) الحو : جمع حواء، وهي التي بها لون الحوة ، وهي سواد الى خضرة . والوطف : جمع وطفاء، وهي كثيرة شعر أهداب العينين .

(٢) الطرف : الكريم من الخيل .

## صوت

أغنيّ[١] على بيضاء تَنكل[٢] عن بَرَدْ ... وتمشي على هَونٍ كِمشية ذي الحرَدْ[٣]
وتلبس من بَزّ العراق مَناصِفاً ... وأبرادَ عَصب من مُهلَهَلةِ الجَنَد[٤]
اذا قلت يوماً نَوّليني تبسّمت ... وقالت لعمرُ الله لو أنه اقتصد
سموتُ اليها بعدَ ما نام بعلُها ... وقد وَسّدته الكفّ في ليلة الصَّرَد[٥]
أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً ... ستُعطى الذي تهوى على رغم مَن حسد
ألستَ ترى مَن حولنا مِن عدوّنا ... وكل غلام شامخ الأنف قد مَرَد[٦]
فقلت لها إني امرؤ فَاعلمنّه ... اذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِل العَدَد
بَنى ليَ إسماعيلُ مجداً مُؤثّلاً ... وعبدُ كُلالٍ قبله وأبو جَمَد
تُطيف علينا قهوة في زجاجةٍ ... تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسد

ومنها :

## صوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجدُ ... قد يعشق القلبُ ثم يَتّئِدُ
قد يكتُم المرء حبّه حِقَباً ... وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِد
ماذا تُراعون من فتىً غَزِلٍ ... قد تيّمتْه خمصانةٌ رُوُد

(١) لعلها : «أعني» أمر من الإعانة .

(٢) تنكل : تفتر وتبسم .

(٣) الحرد : ثقل الدرع على المدرع فلا يقدر على الانبساط في المشي، أو هوداء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها .

(٤) الجند ( بالتحريك ) : مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وأربعون فرسخاً .

(٥) الصرد : البرد وقيل شدته .

(٦) مرد : عتا وبلغ الغاية .

يهدّدوني كيا أخـافَهمُ هيهـاتَ أنّى يُهدّدُ الأسدُ

ومنها :

## صوت

صدَعَ البَـينُ والتفرّقُ قلبي وتولّت أمُّ البنـين بِلُبِّي
ثَوتِ النفسُ في الحُمول لديها وتولّى بالجسم منّيَ صَحبي
ولقد قلتُ والمدامعُ تَجري بدموع كأنها فَيضُ غَرْب
جزعاً للفـراق يوم تولّت : حسبِيَ اللهُ ذو المعارج حسبي

ومنها :

## صوت

يأبنـةَ الواحد جودي فـا إن تَصرميني فَبِما أو لِمَا
جُودِي علينا اليومَ أو بَيّني فِيمَ قتلتِ الرجـلَ المُسلِما
إنّي وأيـدِي قُلُصٍ ضُمَّرٍ وكلِّ خِرْقٍ(١) وَرَدَ المَوْسِما
ما عُلّق القلبُ كتعليقها واضعـةً كفّاً على مِعصَما
رَبّةُ محرابٍ اذا جئتُها لم ألقَهـا أو أرتقي سُلَّما
إخوتُهـا أربعـةٌ كلُّهم ينفون عنهـا الفارسَ المُعلَما
كيف أُرَجّيهـا ومِن دونها بَوّابُ سوءٍ يُعجِـلُ المُشتَما
أسودُ هتّاكٌ لأعراضِ مَن مرَّ عـلى الأبواب أو سَلّما
لا مِنّـةً أعلَمُ كانت لهـا عندي ولا تطلُبُ فينـا دما
بـل هي لمّا أن رأت عاشقاً صَباً رمتْه اليومَ فيمن رَمَى
لمّا ارتمينـا(٢) ورأت أنّهـا قد أثبتتْ في قلبـه أسهُما

(١) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة .

(٢) ارتمينا : تَرامينا .

أعجبها ذاك فأبدت له ... سُنّتَها[1] البيضاء والمِعصَما
قامت تراءى لي على قصرها ... بين جوارٍ خُرَّد كالدُّمى
وتَعقِد المِرْط[2] على جَسْرة ... مثل كَثيب الرمل أو أعظَما

ومنها :

## صوت

دعاكَ من شوقك الدّواعي ... وأنت وضّاحُ ذو اتباعِ
دعتْك ميّالةٌ لَعوبٌ ... أسيلة الخد باللّماع
دلالُكِ الحلو والمشهِي ... وليس سرّيك بالمضاع
لا أمنع النفسَ عن هواها ... وكلّ شيء الى انقطاع

ومنها :

## صوت

ألا يا لَقومي أطلقوا غُلَّ مرتَهَنْ ... ومُنُّوا على مُستشعِر الهمّ والحَزَنْ
تذكّر سَلمى وَهْي نازحةٌ فَحنّ ... وهل تنفع الذكرى اذا اغترب الوطن
ألم تَرَها صفراء رُوْداً شبابُها ... أسيلةَ مجرى الدمع كالشّادن الأَغَنّ
وأبصرتُ سَلمى بين بُردَيْ مَراجل[3] ... وأبراد عَصْب من مُهلهلة اليمن
فقلتُ لها تَرتَقي السطحَ إنني ... أخاف عليكم كلَّ ذي لِمّة حَسَن

---

(١) السنة : الوجه، وقيل : الجبهة والجبينان، وقيل : غير ذلك .

(٢) المرط : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به . والجسر : كل عضو ضخم، ويريد بالجسرة هنا العجيزة .

(٣) المراجل : ضرب من برود اليمن عليه تصاوير .

الغناء لابن سُريج، وله في هذا الشعر لحنان: ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وأول الرمل قوله:

أَلا يا لَقومي أطلقوا غلّ مرتهَنْ

وأول الثقيل الاول: «تذكّر سلمى». وفي هذه الأبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر.

ومنها:

## صوت

أغدوتَ أمْ في الرائحين تَرُوحُ    أم أنت من ذِكر الحسان صحيحُ
إذ قالت الحسناء ما لصديقنا    رثّ الثياب وإنه لمليح
لا تسألنّ عن الثياب فإنني    يومَ اللقاء على الكماة مُشيح
أرمي وأطعَن ثم أتبِع ضربةً    تَدَعُ النساءَ على الرجال تنوح

* * *

## صوت

### من المائة المختارة

يا صاح إني قد حججتُ وزُرت بيتَ المَقدِسِ
وأتيت لُدّاً[١] عامداً في عيد مَرْيا سَرْجس[٢]
فرأيتُ فيه نِسوةً مثلَ الظباء الكُنَّس

(١) لد ( بالضم والتشديد ) : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين .

(٢) ويروى : «مريا جرجس» .

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طَريف مولى المَهديّ. ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر. وكان المُعلّى بن طَريف وأخوه ليث مملوكين مولّدين من مولّدي الكوفة لرجل من أهلها، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأهداهما الى المنصور، فوهبهما المنصور للمهديّ فأعتقهما. ونهر المعلّى ورَبَض المعلّى ببغداد منسوب الى المعلّى — هكذا ذكر ذلك ابن خُرْداذبه — وكان ضارباً محسِناً طيّبَ الصوت حسنَ الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحَكَم الواديّ. ووُلّي أخوه ليثٌ السِّنْدَ، ووُلّي هو الطِّرازَ(١) والبريدَ بخراسان، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه، ثم وُلّي الأهوازَ بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللّيثَ ويهجو عليَّ بن صالح صاحبَ المُصلّى:

يا عليَّ بنَ صالح ذا المصلّى أنت تَفدي لَيثاً وتفدي المعلّى
سَدّ ليثٌ ثغراً ووُلّيت فاُختنتَ فبئس المولى وبئس الموَلّى

وعليّ بن سليمان هذا الذي أهدى المُعلّى وأخاه الى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن الأسديّ؛ وكان خرج مع المهديّ الى الصيد، فرمى المهديّ وعليّ بن سليمان ظبياً سَنَح لهما، وقد أرسلت عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهدي الظبيَ وأصاب عليّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما. فقال أبو دُلامة:

قد رمى المهديُّ ظبياً شكّ بالسهم فؤادَهْ
وعليُّ بنُ سُليما نِ رَمى كَلْباً فصاده
فهنيئاً لهما كلّ أمرئٍ يأكل زادَهْ

حدّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مصعَب، وعن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكّار عن عمه.

(١) يريد ديوان الطراز وهو الذي تنسج فيه الثياب.

# صوت

## من المائة المختارة

أَلا طَرَدَ الهوى عنّي رُقادي  فحسبي ما لَقيتُ من السُّهادِ
لعبدةَ إنَّ عبدةَ تيَّمتْني  وحلّت من فؤادي في السَّوادِ

الشعر لبشّار . والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن عليّ أنه يمنيّ، وذكر الهشاميّ أنه لسُلَيم .

# أخبار بشار وعبدة خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت

حدّثني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أبو أيوب المَديني عمن حدّثه عن الأصمعيّ هكذا قال، وأخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأصمعيّ قال:

كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدان. فبينا هو في مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه، إذ سمع كلام امرأة يقال لها عَبْدة في المجلس، فدعا غلامَه فقال: إني قد عُلِّقت امرأة، فإذا تكلمتْ فانظر مَن هي وأعرِفْها، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهله فأتبعها وكلّمها وأعلمها أني لها محبّ وأنشدْها هذه الأبياتَ وعرِّفْها أني قلتُها فيها:

## صوت

قالوا بمَنْ لا ترى تَهذِي فقلتُ لهم ... الأُذْنُ كالعين تُوفِي القلبَ ما كانَا

ما كنتُ أولَ مشغوف بجارية ... يَلقى بِلُقيانها رَوْحاً ورَيحانا

— ويروى: هل من دواء لمشغوف بجارية —

يا قوم أُذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ ... والأُذْن تعشق قبل العين أحيانا

— غنّى ابراهيم في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لِسياطٍ ثقيلٌ أول بالوسطى، عن عمرو. وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه — قال: فأبلَغها الغلامُ الأبياتَ، فهَشَّتْ لها، وكانت تزوره مع نسوة

يَصحَبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشدَها ولا تُطمعه في نفسها . قال : وقال فيها :

قالت عُقَيل بنُ كعب[١] إذ تعلّقها قلبي فأضحى به من حبّها أثرُ
أنّى ولم ترها تهـذي ! فقلت لهم إن الفؤاد يَرى ما لا[٢] يرى البصر
أصبحتُ كالحائم الحرّان مُجتنَباً لم يَقض وِرْداً ولا يُرجى له صَدر

قال : وقال فيها أيضاً – وهو من جيّد ما قال فيها – :

يُزَهّدني في حبّ عبدةَ معشرٌ قلوبُهم فيهـا مخالفةٌ قلبي
فقلتُ دَعُوا قلبي وما أختار وأرتضى فبالقلب لا بالعينِ يُبصِر ذو الحبِ
فما تُبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذْنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كلّ حُسنٍ دعا الصِبا وألّف بين العشق والعاشقِ الصبّ

قال : وقال فيها :

يا قلبُ ما لي أراكَ لا تَقِرُ إياكَ أعني وعندك الخبرُ
أضعتَ بين الأُلى مَضوا حرَقاً أم ضاع ما أستودعوك إذ بَكَروا ؟
فقـال بعضُ الحديث يَشغَفُني والقلبُ راءٍ ما لا يَرى البصر

## هجوه الحسن البصري :

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسَديّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيه بمثل هذه القصة، وزاد فيها :

---

(١) عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها .

(٢) ويروى : « ما لم يرَ البصر » .

أنّ عَبْدة جاءت اليه في نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعراً يَنُحْن عليه به، فوافَينَه وقد احتجم – وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غُدوةً يسميه «البَرْدان» ومجلس يجلس فيه عشيّةً يسميه «الرَّقيق» – وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه: أمسِكْ عليَّ بابي وأَطْبُخ لي وهيِّئْ طعامي وَطيِّبه وَصفِّ نبيذي. قال: فإنه لكذلك اذ قُرِع الباب عليه قرعاً عنيفاً؛ فقال: وَيحك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقّ الشُّرَط؛ فنظر الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعراً يَنُحن فيه؛ فقال: أدخلهنّ. فلما دخلن نظرنَ الى النبيذ مُصفًّى في قَنانِيّه؛ في جانب بيته فقالت إحداهن: خمر؛ وقالت الأخرى: زبيب؛ وقالت الأخرى: معسَّل. فقال: لستُ بقائل لكُنّ حرفاً أو تَطعَمن من طعامي وتشربن من شرابي. فتماسكنَ ساعةً، وقالت إحداهن: فما عليكنّ من ذلك! هذا أعمى، كُلْن من طعامه وآشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه، ففعلن. وبلغ ذلك الحسنَ البصري فعابه وهتف به. فبلغ ذلك بشّاراً، وكان الحسن يُلقَّب القسّ[1]، فقال فيه بشّار:

لمّا طلعنَ من الرَّقيـ ... ـق عليّ بالبَرْدان خمسا
وكأنهنّ أهلّـة ... تحت الثياب زَفَفن شمسا
باكَرْنَ طِيبَ لَطيمةٍ[2] ... وغُمِسن في الجاديّ غَمسا
فسألنني مَن في البيو ... ت فقلتُ ما يحوين إنسا
ليت العيونَ الناظرا ... تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا
فأصبن من طَرَف الحدي ... ث لذاذةً وخرجن مُلسا
لولا تَعرُّضهن لي ... يا قسُّ كنتُ كأنت قسّا

---

(١) لقب به لصلاحه.

(٢) اللطيمة: المسك ونافجته، وقيل: العير التي تحمل الطيب. والجادي: الزعفران.

**مع مالك بن دينار :**

أخبرني الأَسَديّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن عِمران الصَّيرفي قالوا حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النَّوْفليّ قال :

أتيت بشاراً ذات يوم، فقال لي : ما شعَرت منذُ أيام إلا بقارع يقرَع بابي مع الصبح؛ فقلت : يا جارية، انظري مَن هُذا؛ فقالت : مالك بن دينار؛ فقلت : ما لي ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالي! ائذَني له . فدخل فقال لي : يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندي إلا دفعُه عن نفسي بأن قلت : لا أعاود؛ فخرج من عندي . وقلت في إثره :

غدا مالكٌ بملاماته ... عليّ وما بات من باليَهْ
فقلتُ دَعِ اللومَ في حُبِّها ... فقبلكَ أعيتْ عُذّاليه
وإنّي لأكتُمهم سِرَّها ... غداةَ تقول لها الجاليه
أعبدةَ ما لكِ مَساوبةً ... وكنتِ مُقرطَقةً[١] حاليه
فقالت على رِقبةٍ : إنني ... رهنتُ المرعَّث خلخاليه
بمجلِس يومٍ سأوفي به ... وإن أنكر الناسُ أحواليه

أخبرني وَكيع قال حدثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثني الحسن بن جهور قال حدثني هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال :

إني لعند بشار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ، عبدة تُقرئك السلامَ وتقول لك : قد اشتدّ شوقُنا اليك ولم نرك منذُ أيام ؛ فقال : عن غير

(١) مقرطقة : لابسة القرطق ( بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء وقد تضم ) وهو القباء. وقد مرت بلفظ : « معطرة » .

مَقلِية والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام، خذ الرقعةَ واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول . قال هشام : فأملى عليّ :

عبدَ إنّي اليكِ بالأشواقِ    لِتَلاقٍ وكيف لي بالتلاقِي
أنا والله أشتهي سحرَ عينيـ    ـك وأخشى مَصارعَ العشّاقِ
وأهاب الحَرْسيّ[1] مُحتسِبَ الجُنـ    ـد يَلُفّ البريء بالفُسّاقِ

ومما يغنى فيه من شعر بشار في عبدة قوله :

## صوت

لعبدةَ دارٌ ما تكلّمنا الدارُ    تَلوح مَغانيها كما لاح أسطارُ
أسائل أحجاراً ونُؤْيًا مُهدَّماً    وكيف يُجيب القولَ نؤيٌ وأحجار
وما كلّمتني دارُها إذ سألتُها    وفي كبدي كالنِّفط شُبّت به[2] النار
وعند مَغانِي دارها لو تكلّمتْ    لِمكتئبٍ بادِي الصَّبابة أخبار

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثقيلٌ أول عن الهشامي . ومن هذه القصيدة :

## صوت

تحمّـل جيراني فعيني لبَيْنهم    تَفيض بتَهتانٍ اذا لاحتِ الدارُ
بكيتُ على من كنت أحظى بقربه    وحقّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ سارُوا[3]

الغناء ليحيي المكيّ ثقيلٌ أولُ بالبنصر .

(١) الحرسي (بالتحريك) : واحد حرس السلطان، وسكن هنا للضرورة .

(٢) في الأصول : «له» .

(٣) ويروى : «صاروا» .

ومن الأغاني في شعره في عبدةَ :

## صوت

مسَّني من صدود عبدةَ ضُرٌّ فبنات الفؤاد ما تستقرُّ
ذاك شيء في القلب من حبّ عبدةَ بادٍ وباطنٌ يَستَسِرُّ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رمَل بالبنصر عن عمرو . وفيه لحكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم . وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيي المكيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرز رمَل عن الهشامي .

ومنها :

## صوت

يا عبد إني قد ظلمتُ وإنني مُبْدٍ مقالة راغبٍ أو راهبِ
وأتوبُ مما تَكرَهين لِتَقْبَلي والله يقبل حُسنَ فعل التائبِ

الغناء لحكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق . وفيه ليحيي المكيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرز رمل عن الهشامي .

ومنها :

## صوت

يا عبد حبُّك شفَّني شَغَفًا والحبُّ داءٌ يُورث الحَتْفا
والحبُّ يُخفيه المحبّ لكي لا يُستراب به ، وما يَخفى

الغناء لسياط خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

## صوت

يا عبدَ بالله فَرِّجي كُرَبي  فقد براني وشفَّني نَصَبي
وضِقْتُ ذَرعاً بما كَلِفتُ به  من حُبكم والمحبُّ في تعبِ
ففرِّجي كُربةً شَجيتُ بها  وحَرَّ حُزنٍ في الصدر كاللّهب
ولا تظنّي ما أشتكي لَعِباً  هيهات قد جلَّ ذا عن اللعب

غنّاه سِياطٌ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو .

ومنها :

## صوت

يا عبدَ زُوريني تَكُنْ مِنّةً  لله عندي يومَ ألقاكِ
والله ثُمّ الله فاستيقني  إني لأرجوكِ وأخشاك
يا عبد إني هالكٌ مُذْنَفٌ  إن لم أذُقْ بَرْدَ ثناياك
فلا تُرَدّي عاشقاً مُدْنَفاً  يرضى بهذا القدر من ذاك

الغناء لحكم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

## صوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأنعمي  وأشفي فؤادَ فتىً يَهيم مُتيَّمِ

الغناء ليزيد حَوراءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم .

ومنها :

## صوت

يا عبد هلْ لِلقاء مِن سَببِ　　أوْ لا فأدعو بالويل والحرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنَّس .

ومنها :

## صوت

يا عبد هل لي منكمُ مِنْ عائدِ　　أمْ هل لديكِ صلاحُ قلبٍ فاسدِ

الغناء لابن عبَّاد عن إبراهيم غير مجنَّس .

ومنها :

## صوت

يا عبد حبِّي عن قريبِ　　وتأمَّلي عينَ الرقيبِ
وارعَيْ ودادي غائباً　　فلقد رَعيتُكِ في المَغيب
أشكو إليكِ وإنَّما　　يشكو المحبّ الى الحبيب
غرضي اليك من الهوى　　غرض المريض الى الطبيب

الغناء لحكَم مطلق في مجرى البنصر .

ومنها :

## صوت

يا عبد بالله ارحمي عبدكِ　　وعلِّليه بمُنَى وَعدكِ
يُصبح مكروباً ويُمسي به　　وليس يَدري ما له عندكِ

ماذا تقولين لربّ العُلا إذا تخليتِ به وحدكِ

الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه. وفيه ليزيد حَوراء لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يجنّسه. وذكر حبشٌ أنّ الثقيل الثاني لِسياط.

ومنها:

## صوت

يا عبدَ جلّي كربي وأسعفي وأثيبي
فقد تطاول همّي وزَفرتي ونَحيبي

الغناء لابن سُكّرة عن إبراهيم ولم يجنّسه.

ومنها:

## صوت

يا عبدَ أنتِ ذخيرتي نفسي فَدَتْكِ وجيرتي
اللهُ يعلم فيكمُ يا عبد حسنَ سريرتي
نفسي لنفسكِ خُلّةٌ(١) وكذاك أنت أميرتي

الغناء لحكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

## صوت

يا عبدَ حُبّي لكِ مستورُ وكلّ حبّ غيره زُورُ

(١) الخلة: الخليلة.

إنْ كان هجري سرَّكم فاهجروا إني بما سرَّك مسرورُ

الغناء لحكم هَزَج بالوسطى عن ابن المكيّ .

ومنها :

## صوت

لم يَطُلْ لَيْلي ولكن لم أنَمْ ونفى عني الكَرَى طيفُ أَلَمْ
وإذا قلتُ لها جُودي لنا خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ
رَفِّهي يا عبدَ عني واعلمي أنني يا عبد من لحم ودم
إن في بُرْدَيَّ جسماً ناحلاً لو توكأتِ عليه لانهدم
خَتَمَ الحبُّ لها في عنقي موضعَ الخاتم من أهل الذمم

الغناء لحكم هَزَجٌ بالسبَّابة والوسطى عن ابن المكيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه الى أحد . وفيه لعَثْعَث الأسود خفيفُ رمل في الأول والخامس . وكان بشَّار يُنكر هذا البيتَ الأخيرَ وهو :

خَتَمَ الحبّ لها في عُنُقي

**أنشده رجل بيتاً له فأنكره :**

أخبرني عمي قال حدثنا الكرانيّ قال حدّثني أبو حاتم السِّجستانيّ قال حدّثني مَنْ أنشد بشاراً قوله :

لم يَطُلْ لَيْلي ولكنْ لم أنَم

حتى بلغ الى قوله :

ختم الحبُّ لها في عُنقي موضعَ الخاتمِ مِنْ أهل الذممْ

فقال بشار : عمّن أخذتَ هذا ؟ قلتُ : عن راويتك فلان ؛ فقال : قبَّحه الله !

والله ما قلت هذا البيتَ قطّ، أما ترى الى أثره فيه! ما أقبحه وأشدّ تميّزه عني! فقال له بعضُ من حضر: نعم، هو ألحقه بالأبيات.

ومنها:

## صوت

عَبْدُ إني قد اعترفتُ بذَنبي فاغفِري وأعرُكي[1] خطاي بجنبِ
عبد لا صبر لي ولستُ — فهلّا — قائلًا قد عَتَبتِ في غير عَتْب
ولقد قلتُ حين أنصبني الحبّ فأبلى جسمي وعذّب قلبي
ربِّ لا صبرَ لي على الهجر حَسبي فأقِلني حَسبي لكَ الحمدُ حسبي

الغناء لِسياطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكيّ.

ومنها:

## صوت

عبدَ مُنّي وأنعمي قد مَلَكتِم قِيادَيَهْ
شابَ رأسي ولم تَشِبْ وا بَلائي لِداتِيَهْ

الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لَعريبَ هزج.

ومنها:

## صوت

عبدَ يا هِمّتي[2] عليك السلامُ فيم يُجفى حبيبُك المستهامُ

---

(١) يقال: عرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأنه حكه حتى عفاه. وأصله من عرك الأديم اذا دلكه.

(٢) الهمة: الهوى.

نزل الحبّ منزلاً في فؤادي   وله فيـــه مجلسٌ ومقامُ

الغناء لأبي زكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَريبَ هَزَجٌ .

ومنها :

## صوت

عبدَ يا قُرّةَ عيني   أنصفي، رُوحي فداكِ
عاشقاً ليس له ذِكـــر ولا همٌّ سواكِ

الغناء لعريبَ هَزَجٌ . وفيه لحن ليزيد حَوراء غير مجنَّس .

ومنها :

## صوت

يا عَبدَ يا جافيةً قاطعهْ   أما رَحِمتِ المُقلةَ الدامعهْ
يا عبدَ خافي اللهَ في عاشقٍ   يهواكِ حتى تَقَعَ الواقعهْ

الغناء لأبي زكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو .

## صوت

### من المائة المختارة

أرسَلَتْ أمُّ جعفر لا تزورُ   ليتَ شعري بالغيب مَنْ ذا دهاها
أأتاهـا محرّشٌ بنميمٍ   كاذبٌ ما أراد إلا ردَاهـا

— عروضه من الخفيف — الشعر للأحوص . والغنـــاء لأمّ جعفر المدنيّة مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ولحنه من الثقيل الأوّل في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيي المكيّ وإسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ .

# اخبار الاحوص مع أم جعفر

وقد ذُكِرتْ أخبارُ الأحوص مُتقدِّماً إلا أخبارَه مع أمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أُخِرت الى هٰذا الموضع. وأمّ جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمة[1]، وهي أمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفطة بن قَتادة بن مَعَدّ بن غياث ابن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك بن الأوس. وله فيها أشعار كثيرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر ابن شبّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيي الطّلحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت، وأخبرني عمي قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني أحمد ابن زهير عن مصعب، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن المحرز بن جعفر الدّوسيّ، قالوا جميعاً:

لمّا أكثر الأحوصُ التشبيبَ بأمّ جعفر وشاع ذكرُه فيها توعّده أخوها أيمنُ وهدّده فلم يَنْته، فاستعدَى عليه واليَ المدينة – وقال الزبير في خبره: فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز – فربطهما في حبل ودفع اليهما سوطين وقال لهما: تجالدا؛ فتجالدا فغلَب أخوها. وقال الزّبير في خبره: وسلَح الأحوصُ في ثيابه وهرَب وتَبِعه أخوها حتى فاتـه الأحوص هرباً. وقد كان الأحوص قال فيها:

لقـد منعتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ وإنّي الى معروفهـا لفقيرُ

(١) لقب خطمة لأنه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه.

وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتي وقد وَغِرتْ فيهـا عليّ صدورُ
أدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ بأبياتكم ما درتُ حيث أدور
أزور البيوتَ اللاصقاتِ ببيتهـا وقلبي الى البيت الذي لا أزور
وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى اذا لم يَزُرْ لا بدّ أن سيزور
أزور على أن لست أنفكُ كلّما أتيتُ عـدوّاً بالبنـان يُشير

فقال السائب بن عمرو، أحد بني عمرو بن عَوْف، يعارض الأحوصَ في هـذه الأبيات ويعيّره بفراره:

لقد منع المعروفَ من أم جعفر أخو ثقةٍ عند الجِلاد صَبورُ
عَلاك بمَتن السوطِ حتى اتّقيتَه بأصفرَ من ماء الصِّفاق[1] يفور

فقال الأحوص:

اذا أنا لم أغفِر لأيمنَ ذنبَه فمن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدِي
أريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدّني يدٌ لأدانيـه مباركةٌ عندي

وقال الزبير في خبره خاصّة: وإنما أعطاها عمرُ بن عبـد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداءً بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لمـا تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة ابن واقع الغَطَفاني الفَزاري لزّهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

وقال عمر بن شَبّة في خبره: وقال الأحوص فيها أيضاً — وقد أنشدني علي ابن سليمان الأخفش هذه الأبياتَ وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّـة بيتين فأضفتهما اليها —:

وإني ليدعوني هـوى أمّ جعفر وجاراتهـا من ساعـةٍ فأجيبُ
وإني لآتي البيتَ ما إن أحبّـه وأُكثِر هجرَ البيت وهو حبيب

(١) الصفاق: جمع صفق (بالتحريك) وهو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج منه مـاء أصفر، واسم ذلك الماء: الصفق (بسكون الفاء وفتحها).

وأُغضِي على أشياء منكم تسوءني ... وأُدعَى الى ما سَرّكم فأُجيبُ
هَبيني أمراً إمّا بريئاً ظلمتِه ... وإمّا مُسيئاً مذنباً فيتوب
فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنها ... من الحزن قد كادت عليك تذوب
لكِ اللهُ إني واصلٌ ما وصلتِني ... ومُثنٍ بما أوليتِني ومُثيب
وآخُذُ ما أعطيتِ عفواً وإنني ... لأزْوَرُ عما تكرهين هَيوب

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، وهي مروية للمجنون في عدة روايات؛ وهي بشعره أشبه. وفي هذه الأشعار التي مضت أغانٍ نسبتها :

# صوت

أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفر ... بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
أدور على أن لستُ أنفكُّ كلما ... أتيتُ عدواً بالبَنان يُشير

الغناء لَمعْبد، وله فيه لحنان : ثقيلٌ أولُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن عمرو. ولإسحاقَ فيهما وفي قوله :

أزور البيوتَ اللّاصقات ببيتها

وبعده :

أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفر

لحن من الرمل. وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيلٌ أول عن الهشامي، ولإبراهيم خفيف ثقيل. وفيه لحن لشارية عن أبن المعتز ولم يذكر طريقته.

اذا أنا لم أغفِر لأيمنَ ذنبَه ... فمَن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي
أُريد مكافاةً له وتَصُدّني ... يدٌ لأدانيه مباركةٌ عندي

الغناء لَمعْبد ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر غيرُه أنه منحول يحيى الى معبد. وفيه ثقيلٌ أول ينسب الى عَريبَ ورِوَنق.

ومنها وهو :

## صوت

### من المائة المختارة

وإني لآتي البيتَ ما إن أُحِبُّه وأُكثر هجرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغضي على أشياءَ منكم تسوءني وأُدعى الى ما سرَّكم فأُجيب
وما زلتُ من ذِكراكِ حتى كأنني أَمِيمٌ[1] بأفياء الديار سَليبُ[2]
أُبَثِّك ما ألقى وفي النفس حاجةٌ لها بين جِلْدي والعظام دَبيب
لكِ اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتِني ومُثْنٍ بما أوليتِني ومُثيب
وآخُذ ما أعطيتِ عفواً وإنني لأزْوَرُ عما تكرهين هَيوب
فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنها من الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص . ومن الناس من ينسُب البيتَ الخامسَ وما بعده الى المجنون . والغناء في اللحن المختار لدَحمان، وهو ثقيلٌ أولُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وذكر الهشاميّ أن في الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الاول، فلا أعلم ألحنَ دَحمانَ عنى أم ثقيلًا آخر . وفي :

لكِ اللهُ إني واصلٌ ما وصلتِني ومُثْنٍ بما أوليتِني ومُثيبُ

لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

**أم جعفر تفضحه :**

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن حسن؛ قال الزبير وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن مُحرِز :

(١) الأميم : المشجوج الرأس .

(٢) السليب : المستلب العقل .

أن أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت منتقِبةً[١]، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأةً عفيفة؛ فقالت له: اقضِ ثمن الغنم التي ابتعتَها منّي؛ فقال: ما ابتعتُ منكِ شيئاً. فأظهرتْ كتاباً قد وضعته عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُراً وفاقةً وقالت: يا قوم، كلِّموه. فلامه قومُه وقالوا: اقضِ المرأةَ حقَّها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قطُّ ولا يعرفها. فكشفتْ وجهَها وقالت: وَيحك! أمَا تعرفني! فجعل يحلف مجتهداً أنه ما يعرفها ولا رآها قطُّ. حتى اذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُروا وسمعوا ما دار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، اسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدوّ الله! صدقتَ، والله ما لي عليك حقّ ولا تعرفني، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول: قلت لأمّ جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك! فخجِل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزبير، وأخبرني به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا ثَعلَب قال حدّثنا الزبير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ الأحوص:

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر وإنّي الى معروفها لفقيرُ

فلما انتهيتُ الى قوله:

أزور على أن لست أنفكُّ كلّما أتيتُ عدوّاً بالبنان يُشيرُ

أعجبه ذلك وطَرِب وقال: أتدري يابنَ أخي كيف كانوا يقولون! الساعةَ دخل، الساعةَ خرج، الساعةَ مرّ، الساعةَ رجع، وجعل يُومئ بإبهاميه الى وراء منكبيه وبسبّابته الى حِيال وجهه ويقلبها، يحكي ذهابَه ورجوعَه.

(١) انتقبت المرأة وتنقبت: وضعت النقاب على وجهها.

# صوت

## من المائة المختارة

صاحِ قد لُمتَ ظالماً فانظرِ أنْ كنتَ لائماً
هــل ترى مثلَ ظَبْية قَلَّدوهــا التائمــا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء في اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيــل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرني ذُكاء وجه الرزّة أن فيه لعَريبَ رملًا بالبنصر، وهو الذي فيه سَجحة . وفيه لابن المكيّ خفيفُ ثقيلٍ آخرُ بالوسطى . وزعم الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج، وقــد سمعها ممن يغنّيه . وذكر حَبَش أنّ فيه رملًا آخر للغَريض . ولعاتكة بنت شُهْدة فيــه خفيفُ ثقيل، وهو من جيّد صنعتها، وذكر جَحظة عن أصحابه أن لحنها الرملَ هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيدها، ويزعم أنه أخذه عنها . وقــال ابن المعتزّ : حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ : أنّ عَريب صنعتْ فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافةُ الى المعتصم، فأعجبه وأمرها أن تطرحه عــلى جواريه، ولم أسمع بَشَراً قطّ غنّاه أحسنَ من خِشْف الواضحيّة .

وكل اخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ، أو لها موضع تُذكر فيه، إلا عاتكة بنت شُهدة فإن أخبارَها تذكر هاهنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا . وقد ذكر جَحظة عن أصحابه أن لحنها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةَ غيرها .

# اخبار عاتكة بنت شهدة المغنية

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيَّة . وأمُّها شُهدة جارية الوليد بن يزيد، وهو الصحيح . وكانت شهدة مغنّية أيضاً .

حدّثني محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدّثنا العَلاء قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن بعض المغنّين قال :

كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن عليّ؛ فتغنّى المغنّون، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه بين أضعافهم :

## صوت

أمَّ الوليد سَلَبْتِني حِلْمي ... وقتلْتِني فتخوّفي إثمي
بالله يا أمَّ الوليد أما ... تخشَين في عواقبَ الظلمِ
وتركتِني أبغي الطبيبَ وما ... لطبيبنا بالداء من عِلْم
خافي إلهكِ في ابن عمّكِ قد ... زوّدتِه سُقماً على سُقم

قال : فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميعُ من حضره وطربوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبي، لمن هذا الصوت؟ فقال : يا أمير المؤمنين، سَلْ هؤلاء المغنّين لمن هو . فقالوا : والله ما ندري، وإنه لَغريبٌ . فقال : بحياتي لمن هو؟ فقال :

وحياتِك ما أدري إلا أنّي أخذتُه من شُهدة جاريةِ الوليد أمّ عاتكة بنت شُهدة . هذا الشعر المذكور لأبن قيس الرُّقيّات، والغناء لأبن مُحرِز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل اول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر . ولُحسين بن مُحرز ثقيل اول عن الهشاميّ وحَبَش .

**ضاربة مجيدة :**

أخبرني محمد بن مَزْيد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنه ذكر عاتكة بنت شُهدة يوماً فقال :

كانت أضربَ مَن رأيتُ بالعود؛ ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلف اليها في كل يوم فتُضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل اليها منّي ومن أبي أكثرُ من ثلاثين الف درهم بسببي : دراهمَ وهدايا .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال :

كانت عاتكة بنت شُهدة أحسنَ خَلق الله غناء وأرواهم، وماتت بالبصرة . وأمّا شُهدة نائحة من أهل مكة . وكان ابن جامع يَلوذ منها بكثرة الترجيع . فكان اذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له : الى أين يا أبا القاسم ! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له ! عُدْ بنا الى معظم الغناء ودَعْ من جنونك . فأضجرته يوماً بين يدي الرشيد فقال لها : إني أشتهي، عَلِم الله، أن تحتكّ بِشعرتي بشعرتك . فقالت: اخسأ، قطع الله ظهرَك ! ولم تَعُد لأذاه بعدها .

---

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : قال لي عليّ ابن جعفر بن محمد :

دخلت على جواري المروانيّ المغنيات بمكة، وعاتكة بنت شُهدة تطارحهنّ لحنها :

يا صاحبيّ دَعا الملامةَ وأعلَما أنّ الهوى يَدَع الكِرامَ عَبيدا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول : «يدع الرجالَ عَبيداً» . فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهدة : ويلكِ ! بُندارٌ الزيات العاضُ بظرَ أمه رجل ! أفمِنَ الكرام هو ! قال : فكنتُ اذا مرّ بي بُندار أو رأيتُه غلبني الضحك فأستحي منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً ؛ حتى أورث هذا بيني وبينه مقاربةً ؛ فكان يقول : أبو الحسن عليُّ بن جعفر صديقٌ لي .

**علمت مخارقا الغناء :**

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة، وهي علّمته الغناء ووضعت يده على العود، ثم باعته ؛ فانتقل من مِلك رجل الى مِلك آخر حتى صار الى الرشيد . وقد ذُكر ذلك في أخباره .

## صوت

### من المائة المختارة

ولو أنّ ما عندَ ابنِ بُجرةَ عندها من الخمر لم تَبلُلْ لَهاتيَ[1] بناطِلِ
لعمري لأنتَ[2] البيتُ أُكرِمُ أهلَه وأقعُد في أفيائه بالأصائل[3]

(١) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .

(٢) ويروى : «لآتي البيت» .

(٣) الاصائل : العشيات .

عروضه من الطويل . الشعر لأبي ذُؤَيب الهُذَلِيّ . والغناء لحكَم الواديّ ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها . ابن بُجْرة هذا ، فيما ذكره الأصمعيّ ، رجل كان يبيع الخمر بالطائف ، وزعم أن الناطل كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابي : ليس هذا بشيء ، وزعم أن الناطل : الشيء ؛ يقال : ما في الإناء ناطــل ، أي شيء . وقال أَبو عمرو الشيباني : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجُرْعة من الماء واللبن والنبيذ . انتهى .

# ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه

هو خُوَيلد بن خالد بن مُحرِّث بن زُبيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدركة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فحسن إسلامُه. ومات في غَزاة إفريقية.

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال:

كان أبو ذؤيب شاعراً فَحلًا لا غَميزة[1] فيه ولا وَهْن.

وقال ابن سَلّام: قال أبو عمرو بن العلاء:

سُئل حسّان بن ثابت: مَن أشعر الناس؟ قال: أحيّاً أم رجلًا؟ قالوا: حيّاً؛ قال: أشعرُ الناس حيّاً هُذَيل، وأشعر هذيل غيرَ مُدافع أبو ذؤيب. قال ابن سلّام: ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله.

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال أخبرني محمد بن مُعاذ العُمَريّ قال:

في التَّوراة: أبو ذؤيب مؤلف زوراً، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا». فأخبرتُ بذلك بعض أصحاب العربيّة، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال: قد بلغني ذاك. وكان فصيحاً كثيرَ الغريب متمكّناً في الشعر.

---

(١) الغميزة: المطعن.

**أشعر هذيل :**

قال أبو زيد عمر بن شبَّة :

تقدَّم أبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيَّة التي يرثي فيها بنيه . يعني قوله :

أمِنَ المَنون ورَيبه تتوجَّعُ والدهر ليس بمُعتِبٍ من يَجْزَعُ

وهذه يقولها في بنِينَ له خمسةٍ أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغنَّى فيه عنها على أثر أخباره هذه .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزُّبيريّ ، وأخبرني حرَميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدَّثني عمي قال :

كان أبو ذؤيب الهذليّ خرج في جُند عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أحد بني عامر بن لؤيّ الى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازياً إفرنجةَ في زمن عثمان . فلما فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ الله بن الزبير — وكان في جنده — بشيراً الى عثمان بن عفَّان ، وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤيب . ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب :

فصاحبَ صدقٍ كسِيدِ الضَّرا ءِ ينهض في الغزو نهضاً نَجيحاً [١]

في قصيدة له . فلما قدِموا مصرَ مات أبو ذؤيب [٢] بها . وقدِم ابنُ الزبير على عثمان،

(١) يقول : فإن استبدلت بي إنساناً فاستبدلي بي مثل هذا الصاحب . والضراء : ما واراك من شجر . والسيد : الذئب . وأخبث ما يكون من الذئاب سيد الضراء الذي تعوده .

(٢) في فتوح البلدان للبلاذري ( ص ٢٢٦ طبع أوربا ) : أن أبا ذؤيب توفي بإفريقية فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه في لحده . ورواية البلاذري تتفق مع ما ذكره ابن قتيبة في طبقات الشعراء ( ص ٤١٣ طبع أوربا ) وابن الأثير في الكامل ( ج ٣ ص ٧٠ طبع أوربا ) وابن حجر في الإصابة ( ج ٧ ص ٦٣ طبع مطبعة السعادة ) . وسيذكر المؤلف في هذه الترجمة أنه مات بأرض الروم ودفن بها .

وهو يومئذٍ، في قول ابن الزبير، ابن ستٍّ وعشرين سنة؛ وفي قول الواقديّ ابن أربع وعشرين سنة. وبُشِّر عبد الله عند مَقدمه بخُبَيب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عُروة بن الزبير، وكانا وُلدا في ذلك العام، وخُبيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبي والزبيرَ بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان: قال عبد الله بن الزبير: أحاط بنا جُرجير صاحب إفريقية وهو ملك إفرنجة في عشرين ألفاً ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً؛ فضاق بالمسلمين أمرهم واختلفوا في الرأي، فدخل عبد الله بن سعد فُسطاطه يخلو ويفكر. قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عَورة من جُرجير والناس على مَصافّهم، رأيته على بِرذَون أشهبَ خلفَ أصحابه مُنقطعاً منهم، معه جاريتان له تُظلّانه من الشمس بريش الطواويس. فجئت فُسطاطَ عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه؛ فقال: إنه في شأنكم وإنه قد أمرني أن أمسك الناسَ عنه. قال: فدُرتُ فأتيت مؤخّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلت عليه، فإذا هو مستلقٍ على فراشه؛ ففزع وقال: ما الذي أدخلك عليّ يابن الزبير؟ فقلت: إيه وإيه! كلُّ أزبَّ نَفورٌ[1]! إني رأيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخشيت فواتَها، فاخرُج فاندب الناسَ إليّ. قال: وما هي؟ فأخبرته؛ فقال: عورةٌ لعمري! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدبوا مع ابن الزبير الى عدوّكم. فاخترتُ ثلاثين فارساً، وقلت: إني حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإني سأكفيكم مَن ألقى إن شاء الله تعالى. فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبّوا عني حتى خرقتهم الى أرض خالية، وتبيّنته فصمدتُ[2] صمده؛ فوالله ما حسب إلا أني رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بي من أثر السلاح، فثنى بِرذَونَه هارباً، فأدركتُه فطعنته فسقط، ورميت بنفسي عليه، واتقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما. وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسه في رمحي، وجال أصحابُه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبّروا

---

(١) الأزب من الإبل: الذي يكثر شعر حاجبيه، ولا يكون الأزب إلا نفورا لان الريح تضربه فينفر. وهذا مثل يضرب في عيب الجبان. قاله زهير بن جذيمة لاخيه أسيد وكان أزب جبانا.

(٢) صمد صمد الأمر: قصد قصده.

فقتّلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة. فقال لي عبد الله بن سعد: ما أحدٌ أحق بالبشارة منك، فبعثني الى عثمان. وقدِم مروانُ بعدي على عثمان حين اطمأنّوا وباعوا المغنم وقسّموه. وكان مروان قد صفق[1] على الخُمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه. فقال عبد الرحمن بن حَنبل ابن مُلَيل – وكان هو وأخوه كَلَدة أخوي صَفوان بن أميّة بن خَلف لأمه، وهي صَفيّة بنت مَعمر بن حبيب بن وَهب بن حُذافة بن جُمَح، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن الى مكة –:

أحلِفُ[2] بالله جهدَ اليميـــن ما تركَ الله أمراً سُدَى
ولكنْ خُلقتَ[3] لنا فتنةً لكي نُبتلى فيكَ[4] أو تُبتلى
دعوتَ الطَّريدَ[5] فأدنيتَــه خلافاً لسنَّة مَن قــد مضى[6]
وأعطيتَ[7] مَروان خُمس العبا د ظلماً لهم وحَميــتَ الحمى
ومالًا أتاكَ بــه الأشعريّ من الفَيْء أعطيتَــه مَن دنا
وإن الأمينين قــد بَيّنا منارَ الطريق عليــه الهدى
فما أخــذا درهماً غِيلةً ولا قسّما درهماً في هوى

قال: والمال الذي ذكر أن الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان

---

(١) الصفق: التبايع، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع.

(٢) ويروى: «وأحلف» و: «سأحلف».

(٣) ويروى: «جعلت».

(٤) في رواية: «بك».

(٥) الطريد: هو الحكم بن العاص بن أمية.

(٦) ويروى: خلافاً لما سنه المصطفى

(٧) ورد هذا البيت والذي بعده في الاستيعاب هكذا:

ووليت قرباك أمر العبــاد خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيـــمة آثرتــه وحميت الحمى

من العراق، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم؛ فأنكر الناس ذلك.

**ذكر ابن بجرة وخبره في قصيدة غني في أبيات منها:**

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز — أظنه ابن الدّراوَرْدي — قال: ابن بُجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عديّ بن كعب من قُرَيش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قَطّ، وبالمدينة منهم امرأة، ولهم موالٍ أشهرُ منهم، يقال لهم بنو سجفان. وكان ابن بُجرة هذا خَمّاراً. وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة. فمما يغنّى فيها منها:

## صوت

أساءلتَ رَسمَ الدار أم لم تُسائلِ عن الحيّ أم عن عهده بالأوائلِ
عفا غيرَ رسم الدار ما إن تُبينُه وعفرِ ظباء قد ثَوَتْ في المَنازل
فلو أنّ ما عند ابن بُجرةَ عندها من الخمر لم تَبْلُل لهاتي بناطل
فتلكَ[1] التي لا يذهبُ الدهرَ حُبُّها ولا ذِكرُها ما أرزَمَتْ أمُّ حائل

غنّاه الغريض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى. ويقال: إن لمعبد فيه أيضاً لحناً.

قوله: «أساءلتَ» يخاطب نفسه. ويروى: «عن السُّكن أو عن أهله». والسُّكن: الذي كانوا فيه. وقال الأصمعيّ: السكن: سكن الدار. والسكن: المنزل أيضاً. ويروى: «عفا غير نُؤي الدار». والنُّؤي: حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يَصِل المطر اليها. ويروى — وهو الصحيح —:

---

(١) ويروى: «فتلك التي لا يبرح القلب حبها».

وأقطاع[1] طُفي قد عفت في المعاقل

والطُّفي : خُوص المُقْل . والمعاقل : حيث نزلوا فأمتنعوا ، واحدها مَعْقِل . وواحد الطُّفي : طُفية . وأرزمت : حَنَّت . والحائل : الأنثى . والسَّقْب : الذكر .

ومنها :

## صوت

وإنّ حديثاً منكِ لو تَبذُلينه جَنَى النحلِ في ألبان عُوذٍ مَطافلِ

مَطافل أبكار حديث نِتاجها تُشاب بماء مثلِ ماء المفاصل

غنّاه ابن سُرَيج رملاً بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُوذ : جمع عائذ ، الناقة حين تضع فهي عائذ ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطفل . والمفاصل : مُنفَصل السهل من الجبل حيث يكون الرَّضراض[2] ، والماء الذي يَستَنقِع فيها أطيبُ المياه . وتُشاب : تُخلط .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ :

أن أبا ذؤيب إنما عَنى بقوله : « مَطافل أبكار » أن لبن الأبكار أطيبُ الألبان ، وهو لبنُها لأوّل بطن وضعتْ . قال : وكذلك العسل فإنّ أطيبَه ما كان من بِكر النحل . قال : وحدّثني كُرْدين قال : كتب الحجاج الى عامله على فارس : ابعث إليّ بعَسل من عسل خُلّار[3] من النحل الأبكار ، من الدستفشار[4] ، الذي لم تمسّه النار .

(١) أقطاع : جمع قطع ( بالكسر ) وهو – كالقطيع – : الغصن تقطعه من الشجرة .

(٢) الرضراض : ما دق من الحصى .

(٣) خلار : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد .

(٤) الدستفشار : لفظة فارسية ، معناها : ما عصرته الايدي وعالجته .

فأما قصيدته العينية التي فُضِّل بها، فما يغنّى به منها :

## صوت

أَمِنَ المَنون ورَيبها[1] تتوجّـعُ ... والدهرُ ليس بمُعتِبٍ من يَجزَعُ
قالت أمامةُ[2] ما لجسمك شاحباً ... منذُ ابتُذلتَ ومثلُ مالك يَنفع
أم ما لجنبك لا يُلائم مضجعاً ... إلا أقضّ عليـك ذاك المضجع
فأجبتُهـا أنْ ما لجسمي أنّه ... أودى بنيّ مِن البلاد فودّعوا

عروضه من الكامل . غنّاه ابن مُحرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراهـا . قال الأصمعيّ : سُمِّيت المنون منوناً لأنها تذهب بمُنَّة كل شيء، وهي قوّته . وروى الأصمعي : « وريبه » فذكّر المَنون. والشاحب : المُغـيَّر المهزول . يقال : شحُب يشحُب . ابتُذلتَ : امتَهَنتَ نفسك وكرهتَ الدعةَ والزينة ولزمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغنيك عن هذا، فاشترِ لنفسكَ مَن يكفيك ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أقضّ عليك أي خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَض : الرمل والحصى . قال الراجز :

إنّ أُحيحاً مات من غيرِ مَرَضْ ... ووُجِدَ في مَرْمَضه حيث ارتمضْ[3]
عَساقلٌ[4] وجِبأٌ[4] فيها قَضَضْ

وودّعوا : ذهبوا . استُعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع .

---

(١) يروى : بالتذكير والتأنيث .

(٢) ويروى : « أميمة » .

(٣) ارتمض الرجل من كذا، أي اشتدّ عليه وأقلقه .

(٤) العساقل : ضرب من الكمأة ، وهي الكمأة الكبار البيض يقال لهـا شحمة الارض . والجبء : الكمأة السود .

**الاهتمام بعينيته :**

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدّثني أبي عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال :

لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة[١] الى مقابر قريش[٢] ، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف الى قصره . ثم أقبل على الربيع فقال : يا ربيع ، انظر مَن في أهلي يُنشدني :

أمِنَ المنون وريبها تتوجّعُ

حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي . قال الربيع : فخرجتُ الى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور ، فسألتُهم عنها ، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ، فرجعتُ فأخبرته ؛ فقال : والله لمصيبتي بأهل بيتي ألّا يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدّ عليّ من مُصيبتي بابني . ثم قال : انظر هل في القوّاد والعوامّ من الجند مَن يعرفها ، فإني أحبّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها . فخرجتُ فاعترضت الناسَ فلم أجد أحداً يُنشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه ، فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ، شِعر أبي ذؤيب . فقلت : أنشدني . فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة . فقلت له : أنت بُغيتي . ثم أوصلته الى المنصور فاستنشده إياها . فلما قال :

والدهرُ ليس بمعتِبٍ[٣] مَن يجزَعُ

قال : صدق والله ، فأنشدني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ ؛ فأنشدَه ، ثم مرّ فيها . فلما انتهى الى قوله :

(١) يريد بغداد .

(٢) مقابر قريش ببغداد : مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير .

(٣) أعتبه : رجع الى ما يرضيه وترك ما يسخطه .

والدهر لا يبقى على حدثانه جونُ السَّراة له جدائد[١] أربعُ

قال: سلا أبو ذؤيب عن هذا القول. ثم أمرَ الشيخ بالانصراف. فأتبعتُه فقلت له: أأمر لك أميرُ المؤمنين بشيء؟ فأراني صُرَّةً في يده فيها مائةُ درهم.

**خيانة مسلسلة:**

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثنا الرياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال:

كان أبو ذؤيب الهذليّ يهوى امرأةً يقال لها أم عمرو، وكان يُرسل اليها خالدَ[٢] ابن زُهير فخانه فيها، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عُوَيم بن مالك ابن عويمر وكان رسولَه اليها. فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها. فأرسلت تترضّاه، فلم يفعل، وقال فيها:

تُريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمع السيفانِ وَيحكِ في غمدِ

أخالدُ ما راعيتَ مِنّي[٣] قرابةً فتحفَظني بالغيب أو بعضِ ما تُبدي[٤]

دعاكَ اليها مُقلتاها وجيدُها فملتَ كما مال المحبُّ على عمدِ

وكنتَ كرقراق السَّراب إذا بدا لقوم وقد بات المطيُّ بهم يَخدي[٥]

فآليتُ لا أنفكُّ أحذو قصيدةً تكون وإياها بها مثلاً بعدي

غنّاه ابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر. الغيب: السرّ. والرقراق: الجاري.

---

(١) جون السراة: أسود الظهر أو أبيضه، فإن الجون يطلق على الأسود والابيض. ويريد بجون السراة حماراً. والجدائد: الأتن، واحدها جدود (بفتح أوله) وهي التي لا لبن لها.

(٢) هو خالد بن زهير الهذلي، وكان ابن أخت أبي ذؤيب، وقيل: ابن أخيه.

(٣) ويروى: «من ذي قرابة».

(٤) اراد: فتحفظني بالغيب او في بعض ما تظهر من المودة والإخاء.

(٥) خدى البعير والفرس خدياً وخدياناً: أسرع وزج بقوائمه.

ويروى : « أحذو قصيدة » . فمن قال : « أحذو » بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال : « أحدو » أراد أغني .

وقال أبو ذؤيب في ذلك :

وما حُمِّل البُخْتيّ عامَ غِيارِه[1] عليه الوُسوق[2] بُرُّها وشعيرُها
أتى قريةً كانت كثيراً طعامُها كرَفع التراب كلُّ شيء يَميرها

– الرفع من التراب : الكثير اللين –

فقيل تَحمَّلْ فوق طوقك إنّها مُطبَّعة[3] مَن يأتِها لا يُضيرُها
بأعظمَ[4] مما كنتُ حُمِّلتُ خالداً وبعضُ أمانات الرجال غُرورها
ولو أنني حُمِّلتُه البُزْلَ ما مشتْ به البُزلُ حتى تَتلئبَّ صدورها

– تتلئب : تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتتابع –

خليلي الذي دلّى[5] لغيٍّ خليلتي جِهاراً فكلٌّ قد أصابَ عُرورها[6]

– يقال : عرّه بكذا أي أصابه به –

فشأنَكها، إني أمينٌ وإنّني إذا ما تَحالَى مثلُها لا أُطورها

– تحالى : من الحلاوة . أطورها : أقربُها –

أحاذر يوماً أن تَبين قَرينتي ويُسلمها أحرازُها ونَصيرُها

(١) الغيار : مصدر غارهم يغيرهم اذا مارهم أي أتاهم بالميرة .

(٢) الوسوق : جمع وسق ( بالفتح )، وهو حمل البعير، وقيل : الحمل عامة .

(٣) يريد أن هذه القرية مملوءة بالطعام، فكنى عن ذلك بأنها مطبعة اي مختومة لان الختم إنما يكون غالباً بعد الملء .

(٤) ويروى : « بأثقل » .

(٥) دلى فلان فلاناً في الشرّ : أوقعه وصيره فيه .

(٦) العرور : المعرة والعيب .

– الأحراز : الحصون . قرينتي : نفسي –

وما أنفُس الفتيان إلا قرائنٌ ... تَبين ويبقى هامُها وقُبورُها
فنفسَك فاحفظها ولا تُفشِ للعدا ... من السرِّ ما يُطوَى عليه ضميرُها
وما يَحفظُ المكتومَ من سرِّ أهله ... إذا عُقَدُ الأسرار ضاع كبيرُها
مِنَ القوم إلا ذو عَفاف يُعينه ... على ذاك منه صِدْقُ نفس وخيرُها
رَعَى خالدٌ سرِّي ليالِيَ نفسُه ... تَوالَى[١] على قَصد السبيل أمورُها
فلما تراماه[٢] الشبابُ وغَيُّه ... وفي النفس منه فِتنَةٌ وفُجورُها
لوى رأسه عني ومال بودِّه ... أغانيجُ خُودٌ[٣] كان فينا يَزُورها
تَعلَّقه منها دَلالٌ ومُقلةٌ ... تَظَلُّ لأصحاب الشقاء تُديرُها
فإنَّ حراماً أنْ أخون أمانةً ... وآمَنَ نفساً ليس عندي ضميرُها[٤]

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبعدنَّ الله لُبَّك إذ غَزا ... وسافر والأحلامُ جَمٌّ عُثورُها

– غزا وسافر لبك : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ –

وكنتَ إماماً للعشيرة تنتهي ... اليك إذا ضاقتْ بأمرٍ صدورها
لعلَّك إمّا أمُّ عمرو تبدّلت ... سِواكَ خليلاً شاتمي تَستخيرها

– الاستخارة : الاستعطاف –

فإنَّ التي فينا زعمتَ ومثلها ... لفِيكَ ولكنّي أراكَ تَجورها

---

(١) توالى : تتابع . وقصد السبيل : مستقيمه .

(٢) تراماه الشباب : اي تم شبابه فقذف به الى الغي كما تترامى الفلاة براكبها .

(٣) الاغانيج : جمع أغنوجة . والأغنوجة من التغنج وهو التكسر والتدلل . والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً .

(٤) يريد : لا آمن من ليس عندي ضمير قلبه والذي يزعم أنه اخي وليس ضميره عندي . وفي نسبة هذا البيت لابي ذؤيب خلاف ذكر في شرح ديوانه .

– تجورها : تُعرض عنها –

أَلم تَتنقذها من عويم بن مالك وأنت صفيُّ نفسه وسَجيرُها [١]
فلا تَجزَعَنْ من سُنَّةٍ أنت سِرتَها فأوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرها

– ويروى قد أسرتَها ، أي جعلتها سائرة . ومن رواه هكذا روى « يُسيرها » لأن مستقبل أفعل أسارها يسيرها . و « يَسيرها » مستقبل سار السيرة يسيرها –

فإن كنتَ تشكو من خليلٍ مخانةً فتلك الجوازي عَقبها ونُصورها

– عَقبها : يريد عاقبتها . ونُصورها أي تُنصر عليك ، الواحد نصر –

وإن كنتَ تَبغي للظُّلامة مَركباً ذَلولاً فإني ليس عندي بَعيرها
نشأتُ عَسيراً لا تَلينُ [٢] عَريكتي ولم [٣] يَعلُ يوماً فوق ظهري كُورها [٤]
متى ما تشأ أحمِلْك والرأسُ مائلٌ على صَعبةٍ حَرفٍ وَشيكٍ طُمورها [٥]
فلا تَكُ كالثور الذي دُفنتْ له حديدةُ حَتفٍ ثم أمسى [٦] يُثيرها
يُطيل ثَواءً عندها لِيَرُدَّها وهيهات منه دارها [٧] وقُصورها
وقاسمها بالله جَهداً لأَنتمُ ألذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورها

– نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل –

(١) السجير : الخليل الصفيّ .
(٢) يروى : « لم تديث » . وتديث : تذلل وتلين .
(٣) ويروى : « ولم يستقر فوق ... الخ » .
(٤) الكور : الرحل .
(٥) الرأس مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .
(٦) ويروى : « ثم ظل » .
(٧) في رواية : « دورها » .

فلم يُغنِ عنه خَدْعُه يوم أزْمَعتْ صَرِيمَتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها[١]
ولم يُلْفَ جَلداً حازماً ذا عزيمة وذا قوّة يَنْفِي بها من يَزُورها
فأقْصِرْ[٢] ولم تأخذْك منّي سحابةٌ يُنَفِّرِ شاءَ المُقلِعين خَرِيرُها

— المقلعين : الذين أصابهم القلع وهو السحاب —

ولا تَسبِقنّ الناس منّي بِخَمْطةٍ[٣] مِنَ السمّ مَذرورٍ عليها ذَرُورها

## موته :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا السَّكَن بن سعيد قال حدّثنا العبّاس بن هشام قال حدّثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهُذَليّ من أهل المدينة قال :

خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عُبيد ، حتى قدموا على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه. فقال له : أيُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال : الجهادُ في سبيل الله . قال : ذلك كان عليّ وإني لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً . ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين . فلما قَفَلوا أخذه الموت ؛ فأراد ابنُه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً ؛ فمنعهما صاحبُ الساقة[٤] وقال : ليتخلّف عليه أحدُكما وليعلمْ أنه مقتول . فقال لهما أبو ذؤيب : اقترِعا، فطارت القُرعة لأبي عُبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس . فكان أبو عُبَيد يُحدّث قال قال لي أبو ذؤيب : يا أبا عُبيد، احفِر

---

(١) مرّ ضميرها اي نفسها خبيثة كارهة .

(٢) أي كف ولم تأخذك مني سحابة منطق وهجاء كأنه مطر ينفر شاء الناس .

(٣) الخمطة : الطرية التي أخذت طعماً ولم تستحكم، او هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد . والمراد هنا اللوم والكلام القبيح . ومعنى البيت أنه ينهاه عن التعرض لشتمه وهجائه .

(٤) ساقة الجيش : مؤخرته .

ذلك الجُرُف برمحك ثم أعضِد[1] من الشجر بسيفك ثم أجرُنّي الى هذا النهر فإنك لا تفرُغ حتى أفرُغ ، فاغسلني وكفّني ثم اجعلني في حفيري وانثِل[2] عليّ الجُرُف برمحك، وألقِ عليّ الغصونَ والشجر ، ثم اتبع الناس فإن لهم رَهجة[3] تراها في الأفق إذا مشيتَ كأنها جهامة[4] . قال : فما أخطأ مما قال شيئاً. ولولا نعتُه لم أهتد لأثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسه :

أبا عُبَيد رُفع الكتابُ واقترب الموعد والحسابُ
وعند رَحلي جملٌ نُجابُ أحمرُ في حاركه[5] انصبابُ

ثم مضيتُ حتى لحقت الناسَ . فكان يُقال : إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين .

---

(١) عضد الشجر يعضده : قطعه .

(٢) نثل الركية ينثلها : أخرج ترابها .

(٣) الرهجة : ما أثير من الغبار .

(٤) الجهامة : السحابة لا ماء فيها .

(٥) الحارك : أعلى الكاهل .

# ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

هو الحَكَم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك . وكان أبوه حلّاقاً يحلق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه . وكان حكمٌ طويلاً أحولَ ، يُكري الجمالَ ينقل عليها الزيت من الشام الى المدينة . ويُكنى أبا يحيى . وقال مصعب بن عبد الله بن الزُّبير : هو حكم بن يحيى بن ميمون ، وكان أصله من الفُرس ، وكان جمّالا ينقل الزيت من وادي[1] القُرى الى المدينة . وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أحولَ أجناً[2] يخضِب بالحناء ، وكان جمّالا يحمل الزيت من جُدّة الى المدينة ، وكان واحدَ دهره في الحِذق ، وكان ينقُر بالدف ويغنّي مرتجلاً ، وعُمّر عمراً طويلاً ، غنّى الوليدَ بن عبد الملك ، وغنّى الرشيدَ ومات في الشَّطْر من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادي . قال : وكان بوادي القُرَى جماعة من المغنّين فيهم عمر بن زاذان – وقيل : ابن داود بن زاذان ، وهو الذي كان يسميه الوليد جامعَ لذّتي – وحكم بن يحيى ، وسليمان ، وخُلَيد بن عَتيك – وقيل : ابن عبيد – ويعقوب الوادي . وكل هؤلاء كان يصنع فيُحسن .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني حمّاد قال قال لي أبي :

أحذقُ من رأيتُ من المغنّين أربعة : جدّك وحَكَم وفُليح بن العوراء وسياط . قلت : وما بلغ من حذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون غناء غيرهم فيحسنون . قال إسحاق : وقال لي أبي : ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أطبع من حَكَم وابن جامع، وفُليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

(١) وادي القرى : واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر .

(٢) الاجناء : الاحدب .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكيّ حدّثه عن أبيه قال حدّثني حكم الواديّ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكيّ عن أبيه عن حكم الوادي قال:

أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد، وهو على حمار، وعليه جُبَّة وَشْي ورداء وَشْي وخُفّ وَشْي، وفي يده عِقْد جوهر، وفي كُمّه شيء، لا أدري ما هو. فقال: مَن غنَّاني ما أشتهي فله ما في كُمّي وما عليّ وما تحتي؛ فغنَّوْه كلُّهم فلم يَطرَب؛ فقال لي: غنّ يا غلام، فغنَّيت:

## صوت

إكليلُها ألوانُ ووجهُها فَتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس له جيران
اذا مشت تَثنَّت كأنها ثعبان

— الشعر لمُطيع بن إياس. والغناء لحَكَم الوادي هَزَجٌ بالوسطى. وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى — فطرب وأخرج ما كان في كمه، واذا كيسٌ فيه ألفُ دينار، فرمى به إليّ مع عقد الجوهر؛ فلما دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه. وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مُطيع بن إياس.

وفي حكم الواديّ يقول رجل من قريش:

## صوت

أبو يحيى أخو الغزَل المغنّي بَصيرٌ بالثِّقال وبالخِفافِ
على العيدان يُحسِن ما يُغنّي ويُحسن ما يقول على الدِّفافِ

غنّاه حكم الواديّ هزجاً بالبنصر.

قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيي العِبادِيّ قال حدّثني أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يوماً فقال لي : يا قِصافيّ[١]، إن رجلاً من قريش قال في هذا الشعر :

أبو يحيي أخو الغزَل المغنّي

وقد غنّيتُ فيه، فخذ العودَ حتى تسمعه منّي؛ فأخذتُ العود فضربتُ عليه وغنّانيه، فكنت أولَ من أخذ من حَكَم الواديّ هذا الصوت .

قال أبو يحيي وقال إسحاق :

سمعت حكماً الواديَّ يغنّي صوتاً فأعجبني، فسألتُه لمن هو؟ فقال : ولمن يكون هذا إلا لي .

وقال مُصعَب :

حدّثني شيخ أنه سمع حَكَماً الواديَّ يغنّي، فقال له : أحسنت ! فألقى الدُّفّ وقال للرجل : قبّحك الله ! تراني مع المغنّين منذ ستين سنةً وتقول لي أحسنتَ ! .

**عند يحيي بن خالد :**

وقال لي هارون حدّثني مُدْرِك بن يزيد قال قال لي فُلَيح :

بعث إليّ يحيي بنُ خالد وإلى حَكَم الواديّ، وابنُ جامع معنا، فأتيناه . فقلت لحكم الواديّ — أو قال لي — إنّ ابنَ جامع معنا، فعاونّي عليه لنكسِرَه . فلما صرنا الى الغِناء غنّى حَكَمٌ، نِصحتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ففعل بي حَكَمٌ مثلَ ذلك، وغنّى ابنُ جامع فما كنا معه في شيء . فلما كان العَشيُّ أرسل الى جاريته دَنانِيرَ : إن أصحابَكِ عندنا، فهل لكِ أن تخرجي

(١) بنو قصاف : بطن من العرب .

الينا ؟! فخرَجتْ وخرج معها وصائفُ لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنّا لا نسمع : ليس في القوم أنزهُ نفساً من فُلَيح، ثم أشار الى غـلام له : أن ائت كلَّ إنسان بألفي درهم، فجاء بها . فدفع الى ابن جامع ألفين فأخذهـا فطرحها في كمّه، وحكم مثلَ ذلك فطرحها في كمّه، ودفع إليَّ الفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذُ فاحتبسيها لي عندك، فأخذت الدراهمَ منّي وبعثتْ بها إليَّ من الغد، وقد زادت عليها مثلَها، وأرسلتْ إليَّ : قد بعثتُ اليك بوديعتكَ وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أخواتي ( تعني جواريّ ) .

**نبوغه في الهزج :**

قال هارون بن محمد قال حمّاد بن إسحاق قال أبي :

أربعةٌ بلغوا في أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغاً قصَّر عنـه غيرُهم : معبد في الثقيل، وابن سُرَيج في الرَّمل، وحكمٌ في الهزَج، وإبراهيمُ في الماخُوري .

قال هارون وحدّثني أبي قال حدّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال :

زار حَكَمٌ الواديّ الرشيدَ، فبرّه ووصله بثلثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها اليه؛ فقال : اكتب لي بها الى إبراهيم بن المهـديّ – وكان عاملاً له بالشام – قال إبراهيم : فقدِم عليَّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد، فدفعتُ اليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله، إلا أني نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له : لا أصِلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذتُ منه فيها ثلثمائـة صوت، كلُّ صوت منها أحبُّ إليَّ من الثلثمائة الألف التي وهبتُها له .

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خُرداذْبه قال قال مصعَب بن عبد الله :

بينا حَكَمٌ الواديّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون : لو ذهبنا الى جارية ابن شُقران ! فإنها حسنة الغناء ! فضوا اليها، وتبعهم حكم وعليه فروة[١] ؛ فدخلوا ودخل معهم، وصاحبُ المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه. فغنَّتِ الجارية أصواتاً ثم غنَّت صوتاً ثم صوتاً. فقال حَكَمٌ الواديّ : أحسنتِ والله ! وصاح . فقال له ربُّ البيت: يا ماصَّ كذا وكذا من أمه ! وما يُدريك ما الغناء ! فوثَب عليه يُتعتِعه[٢] وأراد ضربَه . فقال له حَكَمٌ : يا عبد الله، دخلتُ بسَلام وأَخرجُ كما دخلت، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضربَك . فقال حكم : على رِسْلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال : شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا، واندفع يغنّي . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى ! فقال ربّ المنزل : جُعلتُ فداك ! المعذرةُ الى الله واليك ! لم أعرفك ! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ ؛ فقال : والله لأخرجنّ، فسأعود اليها لكرامتها لا لكرامتك .

وذكر أحمد بن المكيّ عن أبيه : أنّ حكماً لم يُشهَر بالغناء ويذهب له الصَّوت[٣] به حتى صار الأمر الى بني العباس؛ فانقطع الى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور؛ فأُعجب به واختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجُه . وكان يقال : إنه من أهزجِ الناس . ويقال : إنه غنّى الأهزاجَ في آخر عمره، وإن أبنه لامه على ذلك، وقال له : أبعدَ الكبر تغنّي غناء المخنّثين ! فقال له : اسكت فإنك جاهلٌ، غنّيتُ الثقيلَ ستين سنةً فلم أنلْ إلا القوت، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيَّات فأكسبتُك ما لم تَرَ مثلَه قطُّ .

---

(١) الفروة والفرو : شيء نحو الجبـة يبطن من جلود بعض الحيوان كالارانب والثعالب والسمور .

(٢) تعتعه : تلتله وحركه بعنف .

(٣) الصوت والصيت : الذكر الحسن الذي ينتشر بين الناس .

**شهادة يحيى البرمكي فيه :**

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد :

ما رأينا فيمن يأتينا من المغنّين أحداً أجود أداء من حَكَم . وليس أحد يسمع غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلا وهو يغيّره ويَزيد فيه ويَنقُص إلا حَكَما . فقيل لحكم ذلك فقال : إني لست أشرب ، وغيري يشرب، فإذا شرب تغيّر غناؤه .

**المنصور يستكثر عطاء المغنين :**

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان خبرُ حَكَم الواديّ يتناهى الى المنصور ويَبلُغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ، فيَعجَب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أن حسَّن شعراً بصوته وطرَّب مستمعيه، فماذا يكون ! وعَلامَ يُعطونه هذه العطايا المُسرِفة ! الى أن جلس يوماً في مُستشرَف له، وقد كان حَكَمٌ دخل الى رجل من قوّاده – أراه قال : عليُّ بنُ[1] يَقطِين أو أبوه – وهو يراه، ثم خرج عشيّاً وقد حَمَله على بغلة له يعرفها المنصور، وخلع عليه ثياباً يعرفها له . فلما رآه المنصور قال : من هذا ؟ فقيل : حَكَمٌ الواديّ . فحرّك رأسه مَليّاً ثم قال : الآنَ علمتُ أن هذا يستحقّ ما يُعطاه .

---

(١) كان يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدعاة، وطلبه مروان فهرب . وآبنه علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة . وهربت أم علي به وبأخيه عبيد بن يقطين الى المدينة. فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أم علي بعلي وعبيد . فلم يزل يقطين في خدمة أبي العباس وأبي جعفر المنصور، وكان مع ذلك يرى رأي آل أبي طالب ويقول بإمامتهم، وكذلك ولده وكان يحمل الاموال الى جعفر بن محمد بن علي والألطاف . ونم خبره الى المنصور والمهدي فصرف الله عنه كيدهما . وتوفي علي بن يقطين بمدينة السلام سنة ١٨٢ ﻫ وسنه ٥٧ سنة وصلى عليه ولي العهد محمد بن الرشيد وتوفي ابوه بعده في سنة ١٨٥ ﻫ .

قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه؟ قال: لأنّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلًا ولا يَضعه إلا في حقه.

## مع المهدي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدثنا قَعنب بن المُحرِز الباهِليّ عن الأصمعيّ قال:

رأيت حَكَماً الواديّ حين مضى المهديّ الى بيت المَقْدِس، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفّه ونَقَر فيه وله شُعَيرات على رأسه وقال: أنا والله يا أمير المؤمنين القائل:

ومتى تخرج العرو س فقد طال حبسُها

فتسرّع اليه الحَرَس؛ فقال: دعوه، وسأل عنه فأُخبر أنه حَكَمٌ الواديّ، فوَصله وأحسن اليه.

لحنُ حَكَمٍ في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر. وفيه ألحان لغيره، وقد ذُكِرتْ في أخبار الوليد بن يزيد.

## مع الهادي:

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهرويه قال حدّثنا عليّ بن محمد النّوفلي عن صالح الأضجَم عن حَكَمٍ الواديّ قال:

كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعُه ولم يبلغ أن يُستخَفّ جداً؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال: من أطربني فهي له. فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزبيرُ بن دَحمان فلم يصنعوا شيئاً، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سرَيج:

## صوت

غرّاء كالليلة المباركة الـــقمراء تهدي أوائل الظُّلَمِ
أكني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كلّ مكتتمِ
كأن فاها اذا تنسّم عن طيب مشمٍّ وحسن مبتسمِ
يُسَنّ[1] بالضرو[2] من براقش أو هيلان[3] أو يانع من العُتُمِ[4]

— الشعر في هذا الغناء للنابغة الجعديّ؛ والصنعة لابن سريج رمل بالبنصر — فوثب عن فراشه طرباً وقال: أحسنتَ أحسنتَ والله! اسقُوني فسُقي. ووثقت بأن البِدَرَ لي، فقمتُ فجلست عليها. فأحسن ابنُ جامع المحضر وقال: أحسن والله كما قال أمير المؤمنين، وإنه لمحسن مجمِل. فلما سكن أمر الفرّاشين بحملها معي. فقلت لابن جامع: مثلُك يفعل ما فعلتَ في شرفك ونسبك! فإن رأيت أن تشرّفني بقبول إحداها فعلتَ. فقال: لا والله لا فعلتُ، والله لوددتُ أن الله زادك، وأسأل الله أن يُهنِّيك ما رزقك. ولحقني الموصليّ فقال: آخذ يا حكم من هذا؟ فقلت: لا والله ولا درهماً واحداً لأنك لم تُحسِن المحضر.

**رثاء الدارمي له:**

ومات حكمٌ الوادي من قرحة أصابته في صدره. فقال الدارميّ فيه قبل وفاته:

## صوت

إنّ أبا يحيى اشتكى علّةً أصبح منها بين عُوّادِ

(١) يسن (بالبناء للمجهول): يسوك.

(٢) الضرو: شجرة الكمكام، وهو شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقـه في العطر، وهو الحلب.

(٣) براقش: واد باليمن شجير وكذلك هيلان. واكثر نبات الضرو باليمن.

(٤) العتم: شجر الزيتون.

فقلتُ والقلبُ به مُوجَعٌ يا رَبَّ عافِ الحَكَمَ الوادي
فرُبَّ بِيضٍ قادةٍ سادةٍ كأنصُلٍ سُلَّتْ مِنَ أغماد
نادَمهم في مجلس لاهياً فأصمتَ المُنشِدَ والشادي

غنّى فيه حكَمٌ الواديّ هزَجاً بالبنصر .

# صوت

## من المائة المختارة

أمعارِفَ الدِّمَنِ القِفَار تَوَهّمُ ولقد مضى حولٌ لهنَّ مُجرِّمُ[1]
ولقد وقفتُ على الديار لعلّها[2] بجواب رَجْع تحيَّة تتكلّم
عن عِلم ما فعل الخليطُ، فما دَرَتْ أنّى توجّهَ بالخليط المَوْسِم
ولقد عهدتُ بها سُعادَ وإنها بالله جاهدةَ اليمين لتُقسِم
إني لأَوْجهُ مَن تكلّم عندها بأليَّةٍ ومخالفٌ مَن يَزعُم
فلها لدينا بالذي بذَلتْ لنا وُدٌّ يطول له العَناء ويَعظُم

عروضه من الكامل . الشعر لنُصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان . والغناء لابن جامع . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم في البيتين الأوّلين ثقيل اول مطلق في مجرى الوسطى . ولإسحاقَ وسِياطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو .

---

(١) مجرم : منقطع ومنصرم .
(٢) ويروى : « كأنها » .

# ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلِب بن أبي وَداعة بن ضُبَيرة بن سُعَيد بن سعد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب بن لؤي ابن غالب.

أخبرني الطُّوسيّ عن الزُّبير بن بَكّار عن عمه مصعب، وأخبرنا محمد بن جَرير الطَّبريّ قال حدّثنا محمد بن حُمَيد عن سلمة عن ابن إسحاق قالا جميعاً:

مات ضُبيرة السَّهميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لحيته شَيب. فقال بعض شعراء قريش يرثيه:

حُجَّاجَ بيت الله إنّ ضُبيرة السَّهْميّ ماتَا
سبَقَتْ منيَّتُه المَشيبَ وكان مِيتتُه افتلاتا
فتزوّدوا لا تَهلِكوا من دون أهلكم خُفاتا[1]

قال: وأُسِر أبو وَداعة كافراً يوم بَدر ففَداه ابنُه المطّلِب، وكان المطّلب رجلَ صدق. وقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم الحديث.

ويُكنى ابنُ جامع أبا القاسم. وأمه امرأة من بني سَهم، وتزوّجتْ بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن. فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَون حاجب مَعن بن زائدة قال: رأيتُ أمّ ابن جامع وابنُ جامع معها عند مَعْن بن زائدة وهو ضعيف يَتبعُها ويطأ ذيلَها وكانت

(١) خفت الرجل خفاتاً: مات فجأة.

من قريش ، ومَعْن يومئذ على اليمن . فقالت : أصلح الله الأمير ، إنّ عمي زوّجني زوجاً ليس بكُفء ، ففرّق بيني وبينه . قال : من هو ؟ قالت : ابنُ ذي مناجب . قال : عليّ به . قال : فدخل أقبح مَن خلق اللهُ وأشوهه خَلقاً . قال : مَن هذه منكَ ؟ قال : امرأتي . قال خلّ سبيلها ، ففعل . فأطرق مَعنٌ ساعةً ثم رفع رأسه فقال :

لعمري لقد أصبحتَ غيرَ محبَّبٍ ... ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجبِ
فما لمتُها لمّا تبيَّنتُ وجهَه ... وعيناً له حَوصاءَ من تحت حاجب
وأنفاً كأنف البَكر يقطُر دائباً ... على لحية عَصْلاءَ[1] شابتْ وشارِب
أتيتَ بها مثلَ المَهاة تسوقها[2] ... فيا حُسن مجلوب ويا قُبح جالب

وأمر لها بمائتي دينار وقال لها : تجهَّزي بها الى بلادك .

## سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلي :

أخبرني يحيي بن عليّ بن يحيي قال أخبرني حمّاد عن أبيه :

أنّ الرشيد سأل ابنَ جامع يوماً عن نسبه وقال له : أيْ بَني الإنسِ وَلَدَك يا إسماعيل ؟ قال : لا أدري ، ولكن سَلِ ابنَ أخي ( يعني إسحاق ) – وكان يُماظ[3] إبراهيمَ الموصليّ ويَميل الى ابنه إسحاق – قال إسحاق : ثم التفتَ إليّ ابنُ جامع فقال : أخبره يابنَ أخي بنسب عمك . فقال له الرشيد : قبّحك الله شيخاً من قريش ! تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم !

---

(١) عصلاء : معوجة .

(٢) ويروى : « تسومها » .

(٣) ماظظت فلاناً : شاررته ونازعته .

**ورعه وتقواه :**

قال هارون حدثني عبد الله بن عمر قال حدثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزومي قال أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فروة بن أبي قراد المخزومي قال :

كان ابن جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج اليه ، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلِّي الصبح ثم يَصُفّ قدميه حتى تطلع الشمس، ولا يصلي الناسُ الجمعةَ حتى يختم القرآن ثم ينصرف الى منزله .

قال هارون وحدثني عليّ بن محمد النوفلي قال حدثني صالح بن علي بن عطية وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا :

**محاورته لأبي يوسف الفقيه :**

قدِم ابنُ جامع قَدْمَــةً له من مكة على الرشيد، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه، وكان يعتمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة، ويلبس لباسَ الفقهاء ، ويركب حماراً مِرّيسيّاً(١) في زيّ أهل الحجاز . فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه ، فوقف على ما كان يقف الناسُ عليه في القديم حتى يأذنَ لهم أو يَصرفَهم، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهلِ القَلانِس؛ فلما هجم على الباب نظر الى رجل يقف الى جانبه ويحادثه، فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته، فجاء فوقف الى جانبه ثم قال له : أمتع الله بك، توسّمتُ فيك الحجازيّة والقُرَشيّة ؛ قال : أصبتَ . قال : فمن أيّ قريش أنت ؟ قال : من بني سَهم . قال : فأيُّ الحرمين منزلُك ؟ قال : مكة . ومن لقيتَ من فقهائهم ؟ قال : سَلْ عمن شئت . ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأعجب به . ونظر الناسُ اليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبل على

(١) مريسي : نسبة الى مريسة : قرية بمصر من ناحية الصعيد اليها تنسب الحمر المريسية .

المغنّي ، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لا، لعلّه لا يعود الى مواقفته بعد اليوم، فلِمَ نغمُّه . فلما كان الإذنُ الثاني ليحيي غدا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابنَ جامع فرآه، فذهب فوقف الى جانبه فحادثه طويلًا كما فعل في المرّة الأولى . فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضي ، أتعرف هذا الذي تُواقِف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنّي ؛ قال : إنا لله ! قالوا : إن الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعالك . فلما كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر اليه فتنكّبه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسلّم عليه ، فردّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابن جامع ، وعرف الناسُ القصة، وكان ابن جامع جَهيراً فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تنحرف عني ؟ أيَّ شيء أنكرتَ ؟ قالوا لك : إني ابنُ جامع المغنّي فكرهتَ مواقفتي لك ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئتَ ؛ ومال الناس فأقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابياً جِلفاً وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال :

يا دارَ ميّةَ بالعَلياء فالسَّنَدِ ... أقوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

أكنتَ ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا، قد رُوِيَ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم في الشعر قولٌ ، ورُوِيَ في الحديث . قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه ؛ ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتني زِدتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ، أعفِنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتيا ، ما زِدتُه على أن حسّنتُه بألفاظي فحَسُن في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحّى عنه ابن جامع .

قال وحدّثني عبد الله بن شبيب قال حدّثني إبراهيم ابن المُنذِر عن سُفيان ابن عُيَينة، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخزّ ، فقال لبعض أصحابه :

بلغني أنّ هذا القرشيّ أصاب مالًا من بعض الخلفاء ، فبأيّ شيء أصابه ؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعضَ ذلك ؟ فأنشد بعضُ أصحابه ما يغنّى فيه :

وأصحب بالليل أهلَ الطّواف وأرفـع من مِئزَري المُسبَلِ

قال : أحسنَ ، هيه ! قال :

وأسجدُ بالليل حتى الصباح وأتـلو من المُحكَم المُنزَلِ

قال : أحسنَ ، هيه ! قال :

عَسى فارجُ الكرب عن يوسفٍ يُسخِّر لي ربّة المَحمِـلِ

قال : أمّا هذا فدَعْه .

وحدّثني محمد بن الحسن العتّابيّ قال حدّثني جعفر بن محمد الكاتب قال حدّثني طيّب بن عبد الرحمن قال :

كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن .

**حبه القمار والكلاب :**

وحدّث محمد بن الحسن قال حدّثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلْم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمن قال :

قال لي ابن جامع : لولا أن القمار وحبّ الكلاب قد شغلاني لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز .

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذبه قال :

أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال: ما اسمه؟ فقال: لا أدري، فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.

**لحن من الجن:**

قال هارون بن محمد حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني محمد بن أحمد المكيّ قال حدّثتني حَوْلاء مولاةُ ابن جامع قالت:

انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال: عليّ بهشام (يعني ابنَه) ادْعوه لي عجِّلوه، فجاء مسرعاً. فقال: أي بُنيّ، خذ العودَ، فإنّ رجلاً من الجنّ ألقى عليّ في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه، وهو:

## صوت

أمستْ رُسوم الديار غيّرها  هوجُ الرّياح الزّعازعِ العُصُفِ
وكلُّ حَنّانة لها زَجَلٌ  مثلُ حنينِ الرّوائم الشُّغُفِ

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجن. وفي هذا الصوت للهُذَليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه للغَريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لعَبادلَ. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

**عند الرشيد:**

قال هارون وحدّثني أحمد بن بِشر بن عبد الوهاب قال حدّثني محمد بن موسى بن فُلَيح الُخزاعيّ قال حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكيّ قال: قال لي ابن جامع:

أخذتُ من هارون ببيتين غنّيتُه بهما عشرةَ آلاف دينار :

# صوت

لا بدّ للعـاشق من وَقفةٍ  تكون[١] بين الوَصل والصَّرمِ
يَعتِبُ أحياناً وفي عَتْبِـه  إظهار[٢] ما يُخفي من السُّقمِ
إشفاقُه داعٍ إلى ظَنِّـه  وظنُّـه داعٍ إلى الظلمِ
حتى إذا ما مَضَّـه هجرهُ[٣]  راجع مَنْ يَهوَى على رَغْمِ

– هكذا رُوِيتُه . الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسليم . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أولُ بالوسطى – قال : ثم قال لي ابنُ جامع : فتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً !

وقال هارون حدّثني أحمد بن زُهير قال حدّثني مُصعب بن عبد الله قال :

خرج ابن أبي عمرو الغِفاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّاراً[٤] يريدون مكة ؛ فلما كانوا بفخّ[٥] نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها . قال : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء ، فقلنا : لو ذهبنا الى هؤلاء فسمعنا غناءهم ! فأتيناهم ، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فَضِيخ[٦] لهم يشربون منه ؛ فقالوا : تقدّموا يا فِتيان ، فتقدّم ابنُ أبي عمرو فجلس مع القوم وكان

(١) في ديوان العباس بن الأحنف : « يكون » .

(٢) في ديوانه : « يهيج ما يخفي ... الخ » .

(٣) في ديوانه : « شوقه » .

(٤) عماراً : زوّاراً ، من العمرة وهي الطواف بالبيت وبالسعي بين الصفا والمروة . والعمرة تكون في السنة كلها . والحج في وقت معين من السنة .

(٥) فخ : واد بمكة .

(٦) الفضيخ : عصير العنب ، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ ( مطبوخ ) .

رأسهم ، فجلسنا نشرب ؛ وطرب ابن أبي قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وابأبي وأمي ! ابنُ أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة . فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه هِمياناً[1] فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة . فقال ابن جامع : امضوا بنا الى المنزل، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثني عليّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النَّوفليّ عن جارية ابن جامع الحولاء قال : وكانت تَتَبنّاني — فتغنّت يوماً وطربت وقالت : يا بُنيّ ، ألا أغنّيك هزجاً لسيّدي في عَشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنّت هزجاً ما سمعتُ أحسنَ منه ، وهو :

## صوت

أَشبهكِ المسكُ وأشبهتِهِ قائمةً في لونه قاعدَهْ
لا شكَّ إذ لونُكما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحدَهْ

وقد رُوِي هذا الشعر لأبي حفصٍ[2] الشِّطْرَنجيّ يقوله في دنانير[3] مولاة البرامكة . ونُسب هذا الهزج الى إبراهيم وابن جامع وغيرِهما .

**ابن جامع في رأي ناقد :**

قال عبد الله بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهريّ قال حدّثني

(١) الهميان : كيس تجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط .

(٢) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس . وكان ابوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيره وسماه عبد العزيز . وكان ابو حفص لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به، فلقب به لغلبته عليه .

(٣) دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكي .

محمد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام – وكان يلقّب الأبله – قال : قال بَرْصوما الزّامر، وذكر إبراهيمَ الموصليّ وابنَ جامع، فقال :

الموصليّ بستانٌ تجدُ فيه الحُلوَ والحامضَ وطريّاً لم يَنضَج ، فتأكل منه مِن ذا وذا . وابن جامع زِقُّ عسلٍ ، إن فتحتَ فمه خرج عسل حلو ، وإن خرقتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو، وإن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو، كلُّه جيّد .

أخبرنا يحيي بن عليّ عن أبيه وحمّاد عن إبراهيم[1] بن المهديّ – وكان إبراهيم يفضّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحداً، وابن جامع يميل اليه – قال :

كنّا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ الموصليّ فقال : قد خَرِيَ فيه؛ وفهمتُ صِدْقه قال : فقلت لابن جامع : يا أبا القاسم، أعِدِ الصوت وتحفّظْ فيه ؛ فانتبه وأعاده فأصاب . فقال إبراهيم :

أعلِّمُــه الرِّماية كلَّ يومٍ فلمّا استدّ ساعــدُه رماني

وتنكّر لي لميْلي مع ابن جامع عليه . فقلتُ للرّشيد بعد أيام : إن لي حاجةً اليك . قال : وما هي؟ قلت : تسألُ إبراهيمَ الموصليّ أن يَرضى عنّي ويعودَ الى ما كان عليه . فقال : إنما هو عبدُك ، وقال له : قم اليه فقبِّلْ رأسه . فقلتُ : لا ينفعني رِضاه في الظاهر دون الباطن ، فسَلْه أن يصحّح الرّضا . فقام إليّ ليُقبّل رأسي كما أمر ، فقال لي وقد أكبّ عليّ ليقبّل رأسي : أتعود؟ قلتُ لا . قال : قد رضيتُ عنك رِضاً صحيحاً . وعاد إلى ما كان عليه .

وقال حمّاد عن أبي يحيي العِباديّ قال : قدِم حوراء غلام حمّاد الشّعرانيّ وكان أحدَ المغنّين المُجيدين قال حدّثني بعض أصحابنا قال :

---

(١) «حماد بن ابراهيم بن المهدي ... الخ» ولا يعرف أن ابراهيم بن المهدي أعقب ولداً اسمه ابراهيم او حماد .

كنّا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين : من فيكم يعرف

وكَعْبَةُ نَجرانَ[1] حَتمٌ عليكِ حتى تُناخي بأبوابها ؟

– الشعر للأعشى – فبدرهم إبراهيمُ الموصليّ فقال : أنا أغنّيه ، وغنّاه فجاء بشيء عجيب . فغضب ابنُ جامع وقال لزَلزَل : دَعِ العودَ ، أنا من جِحاش وَجرة[2] لا أحتاج الى بَيطار ؛ ثم غنّى الصوتَ ؛ فصاح اليه مسرور[3] : أحسنتَ يا أبا القاسم ! ثلاث مرات .

## نسبة هذا الصوت

## صوت

وكعبةُ نَجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بأبوابِها
نَزور يزيدَ وعبدَ المَسيح وقيساً هُمُ خيرُ أربابِها
وشاهدُنا الجُلّ[4] والياسمينُ والمُسمِعاتُ بقُصّابِها[5]
وبَرْبَطنا[6] دائمٌ مُعمَل فأيُّ الثلاثةِ أزرَى بها
تنازِعني إذ خلَتْ بُرْدَها معطّرةٌ غيرَ جِلبابها
فلما التقينا على آلةٍ ومدّتْ إليّ بأسبابها

(١) نجران : موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة .

(٢) وجرة – وفيها أقوال أخرى – بين مكة والبصرة بينها وبين البصرة نحو اربعين ميلا ليس فيها منزل، فهي مرب للوحش .

(٣) هو أبو هاشم خادم الرشيد، وكان اوثق رجاله عنده وقد تولى له قتل جعفر بن يحيى البرمكي .

(٤) الجل : الورد أبيضه وأحمره وأصفره، واحده جلة .

(٥) القصابة : المزمار والجمع القصاب .

(٦) البربط : العود . والكلمة فارسية معربة .

الشعر للأعشى أعشى بني قَيس بن ثَعلبة . وهؤلاء الذين ذكرهم أساقفةُ نَجران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقبَ والسيّد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يَسقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناء الرُّوميّ ، فإذا انصرف أجزَلوا صلته .

أخبرنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمه عُبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكر في مواضعها إن شاء الله . والغناء لحُنَين الحِيريّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مَجراها عن إسحاق في الأربعة الأُوَل . وذكر عمرو أنه لابن مُحرز . وذكر يونُس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجنّسه . وذكر الهشاميّ أن في الخامس والسادس ثم الأوّل والثاني خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكيّ .

وقال حمّاد عن مصعب بن عبد الله قال حدّثني الطرّاز وكان بَريدَ الفضل بن الرّبيع قال :

لما مات المهدي ومُلِّك موسى الهادي أعطاني الفضلُ دنانيرَ وقال : الْحَقْ بمكة فأتني بابن جامع وَاْحمِله في قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا أحداً ؛ ففعلت فأنزلتُه عندي واشتريت له جاريةً ، وكان ابنُ جامع صاحبَ نِساء . فذكره موسى ذات ليلة — وكان هو والحرّاني[1] منقطعَين الى موسى أيام المهديّ فضربهما المهديّ وطردهما — فقال لجلسائه : أما فيكم أحدٌ يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعه منّي ! فقال له الفضل ابن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذي أردتَ . وبعَثَ اليه فأُتي به في الليل . فوَصل الفضلَ تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولّاه حِجابتَه .

قال إسحاق عن بعض أصحابه :

---

(١) هو ابراهيم الحرّاني . كان من ندماء الهادي، وقيّما على خزائن الاموال في أيامه .

كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة : يابن جامع ، تغنَّ ببيت السَّعْدي[١] :

فلو سألتْ سَراةَ الحيِّ سَلْمى عـلى أن قد تَلوّن بي زماني
لخبَّرهـا ذوو الأحساب عنّي وأعدائي فكلٌّ قد بَـلاني
بذبّي الذمَّ عن حسبي بمـالي وزَبُّوناتِ أشْوسَ تَيَّحـانِ[٢]
وأني لا أزال أخـا حُروبٍ إذا لم أجن كنتُ مِجَنَّ جـاني

قال : فحرّك ابنُ جامع رأسه – وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وأكمله طار فرحاً – فغنّى به ؛ فاربدّ وجهُ إبراهيم لمَّا سمعه منه ، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل ؛ فقال له صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميري ! أعِدْ فأعاد؛ فقال: أنت في حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبداً. ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم: تغنَّ بهذا الشعر فتغنّى ؛ فلما فرَغ قال : « مَرْعًى ولا كالسَّعْدان[٣] » ! أخطأتَ في موضع كذا وفي موضع كذا . فقال : نَفِي إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً، وقد علمتُ أني أغفلتُ في هذين الموضعين .

قال إبراهيم : فلما انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أنّ أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناء معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، لهو إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذي فيه .

قال إسحاق :

كان ابن جامع إذا تغنّى في هذا الشعر :

---

(١) هو سوّار بن المضرب السعدي .

(٢) زبونات : جمع زبونة وهي الكبر . والاشوس : الذي ينظر بمؤخر عينه من الكبر . والتيحان : الذي يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد .

(٣) السعدان نبتة غبراء اللون حلوة يأكلها كل شيء، ولبست بكبيرة ولها اذا يبست شوكة مفلطحة كأنها درهم . وهذا مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .

# صوت

مَن كان يَبكي لِما بي ... مِن طول سُقمٍ رَسيسِ[1]
فالآن من قبل موتي ... لا عِطرَ بعد عَروسِ[2]
بَنَيتُمُ في فؤادي ... أوكارَ طيرِ النحوس
قلبي فَريسُ المَنايا ... يا ويحه من فَريس

– الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل – لم يتغنَّ في ذلك المجلس بغيره. وكان إذا اراد أن يتغنّى سأل أن يَزْمِر عليه بَرصوما. فلما كثُر ذلك سألوه فيه فقال: لا والله، ولكنه اذا ابتدأتُ فغنَّيتُ في الشعر عرف الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه، وكنتُ معه في راحة؛ وذلك أن المغنّي اذا تغنّى بزَمرِ زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر؛ فإذا زَمر بَرصوما فأنا في راحة وهو في تعب، واذا زَمر عليَّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلزَل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق.

قال وحدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال: سمعت مُصعب بن عبد الله يقول:

بلغ المهديّ أنّ ابن جامع والموصليّ يأتيان موسى، فبعث اليهما فجيء بهما، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحاً، وقال له ابن جامع: أرحم أمّي! فرقّ له وقال له: قبّحك الله! رجل من قريش يغنّي وطرده. فلما قام[3] موسى، وجّه الفضلُ خلفه بريداً حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

(١) الرسيس: الثابت الذي قد لزم مكانه. ويقال رس السقم في جسمه وقلبه رسيساً اذا دخل وثبت.

(٢) هذا مثل مشهور قالته أسماء بنت عبد الله العذرية، وكان اسم زوجها عروس، ومات عنها، فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دمم.

(٣) يريد: صار خليفة.

قال وحدّثني الزبير بن بكّار قال قال لي فلفلة :

تمنّى يوماً موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خمسمائة دينار وقال : امض حتى تحملَ ابنَ جامع، وبعث اليه بما يُصلحه، فمضيتُ فحملتُه. فلما دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغنّاه فلم يُعجبْه. فلمّا خرج قال له الفضلُ : تركتَ الخفيفَ وغنيتَ الثقيلَ، قال : فأَدخِلني عليه أخرى؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ؛ فقال : حاجتَك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار.

قال وحدّثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنا أبو يحيى العِباديّ قال حدّثني ابن أبي الرجال قال حدّثني زَلزَل قال :

أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد، فأمر مسروراً الخادمَ يسأل عنه — وكان أمير المؤمنين قد صيّر أمرَ المغنّين اليه — فقيل له : لم يأت بعدُ. ثم جاء في آخر النهار، فقعد بيني وبين بَرصوما، فغنّى صوتاً له فأطربه وأطرب والله كلَّ من كان في المجلس. قال : فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال : أما والله يا نَبَطيّ ما أحسن ابراهيمُ وما أحسن غيرُكما. قال : ثم غنّى فنسينا أنفسنا، والله لكأنّ العودَ كان في يده.

**جودة إيقاعه :**

قال وحدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهيك قال :

دعا أبي الرشيدُ يوماً، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى، فأقاما عنده، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما. فلما كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر. قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفراً عن يومهم؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع — وهو في قوله يريد أن يطيّب نفسَ

إبراهيم الموصليّ – قال: فقال له إبراهيم: أتريد أن تطيّب نفسي بما لا تَطِيب به! لا والله، ما ضَرَطَ ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع!

قال وحدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني أبي قال:

كان سبب عزل العثمانيّ أن ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له في المُهارشة بالدُّيوك والكلاب ولا يُحَدّ في النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً الى العثمانيّ فلما وصل الكتاب قال: كذَبتَ! أميرُ المؤمنين لا يُحِلّ ما حرّم الله، وهذا كتاب مزوّر. والله لئن ثَقِفْتك[1] على حال من هذه الاحوال لأُوَدِّبَنّك أدبَك. قال: فحذِره ابنُ جامع. ووقع بين العثماني وحماد اليزيديّ، وهو على البريد، ما يقع بين العمال. فلما حجّ هارون، قال حماد لابن جامع: أعِنّي عليه حتى أعزِله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهدني. فقال له ابن جامع: هذا لا يُقبل في العثمانيّ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبَنا، ولكني أحتال من جهة ألطفَ من هذه. قال: فسأله هارون ابتداء فقال له: يابنَ جامع كيف أميركم العثماني؟ قال: خيرُ أميرٍ وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحقّ لولا ضعفٌ في عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه الى إفنائها؟ قال: زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقي على الكناس فأكل وجهه، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزلوه! فكان سببَ عزله.

قال هارون بن محمد وحدّثني الحسن بن محمد الغِياثيّ قال حدّثني أبي عن القَطِرانيّ قال:

كان ابن جامع بارّاً بوالدته، وكانت مقيمةً بالمدينة وبمكة. فدعاه إبراهيم ابن المهديّ وأظهر له كتاباً الى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته. قال: فجزِع لذلك جزعاً شديداً، وجعل أصحابُه يُعزّونه ويؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه

(١) ثقفتك: صادفتك.

حتى طَعِم وشرب، وسألوه الغناء فامتنع. فقال له إبراهيم بن المهدي: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذُله لإخوانك؛ فاندفع يُغنّي:

## صوت

كم بالدُّروب وأرض الروم مِنْ قَدَم ومِنْ جماجم صَرْعى ما بها قُبِروا[1]
بقُنْدُهارَ[2] ومَن تُقدَرْ منيّتُه بقُنْدُهار يُرَجَّم دونه الخبرُ

— الشعر ليزيد بن مُفرّغ الحِمْيري. والغناء لابن جامع رمل. وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشامي — قال: وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له. ثم قال: لا والله ما كان ممّا خبّرتاك شيء، إنما مزَحْنا بك. قال: ثم قال له: رُدّ الصوتَ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الاول في شيء. فقال له إبراهيم: خذه الآن علي، فأدّاه إبراهيم على السماع الاول. فقال له ابن جامع: أحبّ أن تطرحه أنت على كذا.

**نباهته:**

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني علي بن الحسن الشَّيبانيّ عن أحمد بن يحيى المكيّ قال:

كان أبي بين يدي الرشيد وابنُ جامع معه يغنّي بين يدي الرشيد. فغنّاه:

خليفةٌ لا يَخيبُ سائلُه عليه تاجُ الوقار مُعتَدلُ

(١) القدم: الشجاع. يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. وجاجم القوم: ساداتهم ورؤساؤهم.

(٢) قندهار: مدينة كبيرة بالقرب من كابل، عاصمة أفغانستان الآن.

قال: وغنّى من يتلوه، وهَوَّم ابن(١) جامع سكراً ونُعاساً. فلما دار الغناء على أصحابه وصارت النوبةُ اليه، حرّكه مَن بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغنّي:

إسلَمْ وحُيّيتَ أيّها الطَّلَلُ وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ(٢)

– قال: وهو يتلو البيت الاول – فعجِب أهلُ المجلس من ذكائه وفهمه، وأعجب ذلك الرشيد.

## نسبة هذا الصوت

# صوت

إسلم وحُيّيت أيها الطللُ وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ
خليفةٌ لا يَخيب سائلُه عليه تاجُ الوقار مُعتَدِلُ

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادي. والغناء لابن جامع ثقيلٌ أولُ بالوسطى، من رواية الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكيّ.

قال هارون وقد حدّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال:

كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناء اذا حَزِن صوتُه. فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع: ابعَثْ خريطةً فيها نَعْيُ أمّ ابن جامع – وكان باراً بأمّه – ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه، فقال: يابنَ جامع، جاء في هذه الخريطة نعيُ أمّك. فاندفع ابن جامع يغنّي بتلك الحُرْقة والحزن الذي في قلبه:

(١) هوّم الرجل: هزّ رأسه من النعاس، وقيل: نام قليلاً.

(٢) السبل: المطر.

كم بالدّروب وأرض السِّند من قَدَم ومن جماجم صَرْعى ما بها قُبِروا
بقُندُهار ومن تُكتب مَنيَّتُه بقُندُهار يُرَجَّم دونه الخبرُ

قال: فوالله ما ملكنا أنفسنا، ورأيتُ الغِلمان يضربون برءوسهم الحيطانَ والأساطين.

— قال هارون: لا أشك أن ابن المكيّ قد حدَّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب — قال: ثم غنّى بعد ذلك:

يا صاحب القبر الغريب

— وهو لحن قديم. وفيه لحن لابن المكيّ — فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

## نسبة هذا الصوت الأخير

## صوت

يا صاحبَ القبر الغريبِ بالشام في طَرَف الكَثيبِ
بالحِجر[١] بين صفائح صُمٍّ تُرَصَّف بالجَبُوب[٢]
رَصفاً ولحدٍ مُمكِنٍ تحت العَجاجة في القليب
فإذا ذكرتُ أُنَينَهُ ومغيبَه تحت المغيب
هاجتْ لواعجُ عَبرة في الصدر دائمة الدبيب
أسفاً لحسن بلائه ولمصرع الشيخ الغريب

(١) الحجر: قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز وهي بين جبال كانت ديار ثمود.

(٢) الجبوب: المدر (الطوب) المفتت.

أقبلتُ أطلب طِبَّـه والموت يُعضِل[1] بالطبيب

الشعر لمكين العُذريّ يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بأبنه الى الشام هرباً به من جارية هَويها فمات هناك. والغناء لحكم الوادي، رمل في مجرى البنصر. وقيل: إن الشعر لسَلامة[2] ترثي الوليدَ بن يزيد.

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مَهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن محمد قال حدّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدّثني عبد الله ابن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدّث:

أنّ أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت اليه: يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع. فأرسل اليها: عندي ابنُ جامع. فأرسلت اليه: أنت تعلم أني لا أتهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تَشرَكني فيه، فما كان عليك أن أشرَكك في الذي أنت فيه! فأرسل اليها: إني سائر اليكِ الساعةَ. ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم: امضِ اليها فأعلمها أني قد جئت. وأقبل الرشيد، فلما نظر الى الخادم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجّه اليها: إن معي ابنَ جامع؛ فعدلتْ الى بعض المقاصير. وجاء الرشيد وصيّر ابن جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم. وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد وأهوتْ لتنكبَّ على يده؛ فأجلسها الى جانبه فأعتنقها وأعتنقته. ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّي فأندفع فغنّى:

## صوت

ما رَعَدَتْ رَعْدةً ولا بَرَقتْ لكنّها أنشئت لنا خَلِقَه[3]

---

(١) أعضل به: أعياه وأعجزه.

(٢) هي سلامة القس.

(٣) يقال: نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أي فيها أثر المطر.

الماء يجري على نظام له لو يَجِدُ الماء مَخرِقاً خَرَقه
بتنا وباتت على نمارقها حتى بدا الصبحُ عَيْنُها أَرِقه
أن قيل إنّ الرحيل بعد غدٍ والدارُ بعدَ الجميع مُفترِقه

— الشعر لعَبيد بن الأبرص . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه ، عن إسحاق . وفيه لابن مُحرز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه . وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو الهشامي . وللمخارق في هذه الأبيات رمَل بالبنصر عن الهشامي . وذكر حبش أن الثقيل الأوّل للغريض . وذكر الهشامي أن لمتيّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى — قال : فقالت أمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت لمسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائةَ ألف درهم . فقال الرشيد : غلبتِنا يا بنتَ أبي الفضل[1] وسبقتِنا الى برّ ضيفنا وجليسنا . فلما خرج ، حمل اليها مكان كلّ درهم ديناراً .

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن ضُوين الصَّلصال التَّيمي قال حدّثني إسماعيل بن جامع السَّهمي قال :

ضمّني الدهر[2] ضمّاً شديداً بمكة ، فانتقلتُ منها بعيالي الى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلا ثلاثةَ دراهم . فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جرّة تريد الرَّكِيّ[3] تسعى بين يديّ وتُرنّم بصوت شَجِيّ تقول :

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا

(١) المعروف أن أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وأن جعفراً أباها ولد ابراهيم وزبيدة وجعفراً وعيسى وعبيد الله وصالحاً ولبابة .

(٢) يريد ضغطني واشتد عليّ، من شدّة الفقر والحاجة .

(٣) الركي : جنس للركية وهي البئر .

وذاك لأنّ النوم يَغشى عيونَهم    سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعيُنا
إذا ما دنا الليلُ المُضرّ لذي الهوى    جَزِعنا وهم يَستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما    نلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

قال : فأخذ الغناء بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدري أوجهُكِ أحسن أم غناؤكِ ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حُبّاً وكرامةً . ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب منها ورفعتْ إحدى رجليها فوضعتْها على الأخرى ، ووضعت الجرّة على ساقيها ثم انبعثت تغنّيه ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلتُ : أحسنتِ ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أخرى ! ففطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت : ما أعجب أمرَكم ! أحدُكم لا يزال يجيء الى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها ! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها اليها ، وقلت : أقيمي بها وجهَكِ اليومَ الى أن نلتقي . قال : فأخذتْها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألفَ دينار وألفَ دينار . قال : وانبعثتْ تغنّي ؛ فأعملتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمتُه ، وانصرفتُ مسروراً الى منزلي أردِّده حتى خفّ على لساني . ثم إني خرجتُ أريد بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب مُحوّل[١] ؛ فبقيتُ لا أدري أين أتوجّه ولا مَن أقصِد . فذهبتُ أمشي مع الناس حتى أتيت الجسر فعبرت معهم ، ثم انتهيت الى شارع المدينة ، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ؛ فقلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلتُه ، وحضرتُ صلاةَ المغرب وأقمت بمكاني حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب . وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلّي ، خلفه جماعة خدم وخَوَل ينتظرون فراغَه ؛ فصلّى مليّاً ثم انصرف ؛ فرآني فقال : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً ، وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليستْ صناعتي من الصنائع التي يُمتّ بها الى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟

---

(١) باب محول : محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ .

قلت : أتغنى . قال : فوثب مبادراً ووكّل بي بعضَ من معه . فسألتُ الموكّل بي عنه فقال : هذا سَلّام[١] الأبرش . قال : وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي الى قصر من قصور الخلافة، وجاوز بي مقصورةً الى مقصورة، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلتُ حتى امتلأتُ . فإني لكذلك إذ سمعت رَكضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : أدعوا له بغَسول[٢] وخِلعة وطِيب ، ففُعل ذلك بي . فحملت على دابّة الى دار الخلافة — وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران — فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة ، حتى صرتُ الى دارٍ قَوْراء[٣] فيها أسِرّة في وسطها قد أُضيف بعضها الى بعض . فأمرني الرجل بالصعود فصعِدتُ ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجرهنّ العيدان ، وفي حجر الرجل عود . فرحّب الرجل بي ، وإذا مجالسُ حِياله كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل : تَغنَّ ؛ فانبعث يغني بصوت لي وهو :

لم تَمشِ مِيلاً ولم تركب على قَتَبٍ ... ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ[٤]
تمشي الهُوَينَى كأن الريح تَرجعها ... مَشيَ اليَعافيرِ[٥] في جيآتها الوَهَلُ

فغنى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَساتينَ[٦] مختلفة . ثم عاد الخادم الى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تَغنّي ، فغنّتْ أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسنَ حالاً من الرجل، وهو قوله :

يا دار أضحتْ خلاءً لا أنيسَ بها ... إلا الظباءُ وإلا النّاشطُ[٧] الفَرِدُ

---

(١) خدم المنصور وتولى المظالم للمهدي وعاصر الهادي والرشيد .

(٢) الغسول : الماء يغتسل به، او هو ما تغسل به الايدي كالاشنان وغيره .

(٣) الدار القوراء : الواسعة الجوف .

(٤) الكلل : جمع كلة وهي ستر يخاط كالبيت ( ناموسية ) .

(٥) اليعافير : الظباء . والوهل : الفزع .

(٦) الدساتين : هي الرباطات التي توضع الاصابع عليها، واحدها دستان .

(٧) الناشط : الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشيّ . والفرد : المنفرد .

أَينَ الذين إذا ما زُرتُهم جَذِلوا     وطار عن قلبيَ الّتشواق والكَمَدُ

ثم عاد الى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنَّت به ثم عاد الخادم الى الجارية التي تليها فأنبعثتْ تغنّي بصوت لحكم الواديّ وهو :

فوالله مــا أدري أيَغلبني الهوَى     إذا جدّ وَشْكُ البَيْن أم أنا غالبُهْ
فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى     فمثلُ الذي لاقيتُ يُغلَب صاحبُهْ

قال : ثم عاد الخادم الى الجارية الثالثة فغنَّت بصوتٍ لحُنَين وهو قوله :

مَرَرنا عــلى قَيسيَّة عامريَّة     لهــا بَشرٌ صافي الأَديم هِجانِ [١]
فقالت وألقتْ جانبَ السِّتر دونها     مِنَ آية أرض أو مَنِ الرُجلان
فقلتُ لهــا أمّا تميم فأُسرتي     هُديتِ وأما صــاحبي فيَماني
رفيقان ضَمّ السّفرُ بيني وبينــه     وقد يَلتقي الشتّى فيأتلفــان

ثم عاد الى الرجل فغنّى صوتاً فشَبَّه [٢] فيه . والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله :

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا     إذا أقول صحــا يعتاده عِيدا
كأنّ أحورَ من غِزلان ذي [٣] بَقَر     أعارهــا شَبَهَ العينين والجيدا
بمُشْرِقٍ كشُعاع الشمس بهجته     ومُسبكِرٍ عــلى لَبَّاتها سودا

ثم عاد الى الجارية فتغنَّت بصوت لحكمٍ الواديّ :

تُعيّرنا أَنّا قليــلٌ عَديدُنا     فقلتُ لهــا إن الكرام قليلُ
وما ضَرّنا أَنّا قليــلٌ وجارُنا     عزيزٌ وجــارُ الأكثرين ذليل

---

(١) الهجان : الابيض الخالص من كل شيء .

(٢) يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه .

(٣) ذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة، وقرية في ديار بني أسد . ويروى ذو نفــر وهو موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الربذة .

وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسَلولُ
يُقرّب حبُّ الموت آجالَنا لنا وتكرهه آجالُهم فتطول

وتغنّت الثانية :

وَدِدتُك لما كان وُدُّك خالصاً وأعرضتُ لما صِرتِ نهباً مُقسَّما
ولا يَلبثُ الحوضُ الجديدُ بناؤه إذا كَثُر الوُرّاد أن يتهدّما

وتغنّت الثالثة بشعر الخنساء :

وما كرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ ولا أبصرته الخيلُ إلا اقشعرّتِ
فيُدرك ثأراً وهو لم يُخطِه الغنى فمثلُ أخي يوماً به العين قرّتِ
فلستُ أرزَأ بعده برزيّة فأذكرَه إلا سَلَتْ وتجلّتِ

وغنّى الرجل في الدور الثالث :

لَحى الله صُعلوكاً مُناه وهمّه من الدهر أن يلقى لَبوساً ومَطعما
يَنام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى[1] تنبّه مثلوجَ[2] الفؤاد مُورّما[3]
ولكنّ صعلوكاً يساور همّه ويمضي على الهيجاء ليثاً مقدّما[4]
فذلك إن يَلقَ الكريهة يَلقَها كريماً وإن يَستغن يوماً فربّما

قال : وتغنّت الجارية :

إذا كنتَ ربّاً للقلوص فلا يكن[5] رفيقُك يمشي خلفَها غيرَ راكبِ

---

(١) ويروى : « استوى » .

(٢) ويروى : « مسلوب » .

(٣) مورما : منتفخاً بادناً لعدم ما يشغله من شؤون الحياة .

(٤) رواية هذا البيت في ديوانه :

ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الاحداث والدهر مقدما

(٥) ويروى : « فلا تدع » .

أُنِخْها فأردفه فإن حملتكما فذاك وان كان العِقابُ[1] فعاقِبِ

قال : وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب :

ألم تر لمّا ضمّني البلدُ القفرُ سمعتُ نداء يصدَع القلبَ يا عمرُو
أغِثنا فإنا عُصبة مَذْحجيّة نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر

قال : وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أبي ربيعة :

فلما تَواقفنا وسلّمتُ أَسفرتْ[2] وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعرفان لمّا عرفْنني وقُلْنَ امروٌ باغٍ أكلّ[3] وأوضعا
ولما تنازعن الأحاديثَ قُلن لي أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعا

قال : وتوقّعتُ مجيء الخادم إليّ ، فقلت للرجل : بأبي أنت ! خُذِ العود فشُدّ وتر كذا وأرفع الطبقة وحُطّ دُستانَ كذا ؛ ففعل ما أمرتُه . وخرج الخادم فقال لي : تَغَنّ عافاك الله ؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه ، فإذا جماعة من الخدم يحضُرون حتى استندوا الى الأسِرّة وقالوا : وَيحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي ؛ فانصرفوا عنّي بتلك السرعة ، وخرج إليّ الخادم وقال : كذبتَ ! هذا الغناء لابن جامع . ودار الدورُ ؛ فلما انتهى الغناء إليّ قلتُ للجارية التي تَلي الرجلَ : خذي العود ، فعلتْ ما أريد فسوّتِ العود على غنائها للصوت الثاني فتغنّيتُ به . فخرجتْ إليّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا ؟ قلت : لي ؛ فرجعوا وخرج الخادم . فتغنّيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلا بي ، وسَقَوْني فتزيّدت ، وهو :

عُوجي عليّ فسلّمي جَبْرُ فيمَ الصدود وأنتمُ سَفْرُ

(١) العقاب : هو أن تركب الدابة مرة ويركبها صاحبك مرة .

(٢) ويروى : « أقبلت » . وفي ديوانه : « أشرقت » .

(٣) أكلّ : أعيا . وأوضع : أسرع .

ما نلتقي إلا ثلاثَ مِنًى حتى يُفرّق بيننا الدهرُ[١]

قال : فتزلزلتْ والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبتَ ! هذا غناء ابن جامع . فقلت : فأنا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرتُ إلا وأميرَ المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضلُ بن الربيع : هذا أميرُ المؤمنين قد أقبل اليك . فلما صَعِد السريرَ وَثَبتُ قائماً . فقال لي : أبنُ جامع ؟ قلت : ابن جامع، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ! متى كنتَ في هذه البلدة ؟ قلت : آنِفاً، دخلتُها في الوقت الذي علم بي أميرُ المؤمنين . قال : اجلس ويحك يأبن جامع ! ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي : أبشِر وابسُط أملَك؛ فدعوت له . ثم قال : غنِّني يأبنَ جامع . فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُميراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة، فعرف ما أردتُ، فوزَنَ العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الاوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها، وانبعثتُ أغنّي بصوت الجارية الحُميراء . فنظر الرشيد الى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا والله ما خرَق مسامعي قطُّ مثلُه . فرفع الرشيد رأسه الى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إليّ، فصيّرتُه تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين . فقال : يأبنَ جامع، رُدَّ على أمير المؤمنين هذا الصوتَ، فرددتُه وتزيّدت فيه . فقال له جعفر : يا سيّدي، أما تراه كيف يتزيّد في الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أولًا وإن كان الامر في اللحن واحداً . قال : فرفع الرشيد رأسه الى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار، فجاءني به فصيّرته تحت فخذي . وقال : تغنَّ يا إسماعيل ما حضَرك . فجعلت أقصِد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري فأغنّيه؛ فلم أزلْ أفعل ذلك الى أن عَسعس الليلُ . فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك، فأعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعني صوتَ الجارية) فتغنّيتُ . فدعا الخادمَ وأمره فأحضر

(١) ويروى : « النفر » . والنفر : هو نفر الحاج من منى .

كيساً ثالثاً فيه ألفُ دينار . قال : فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسّمت، ولحظني فقال : يابن الفاعلة، ممّ تبسّمتَ ؟ فجثوتُ على ركبتيّ وقلت : يا أمير المؤمنين، الصدقُ مَنجاة . فقال لي بانتهار : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلما استوعبه قال : صدقَت، قد يكون هذا وقام . ونزلت من السرير ولا أدري أين أقصد . فابتدرني فرّاشان فصارا بي الى دار قد أمر بها أميرُ المؤمنين؛ ففُرِشت وأُعِدّ فيها جميعُ ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم، ومن كل آلة وخَوَل الى جوارٍ ووُصفاء . فدخلتها[1] فقيراً وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لي هذا الخبرَ عبدُ الله بن الربيع عن أبي حفص الشيبانيّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال :

ضمّني الدهرُ بمكة ضمّاً شديداً فانتقلت الى المدينة . فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدّث، إذ قال لي رجل حضرنا : والله لقد بلغنا يابن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت في هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بي نهوض . قال بعضهم : فنحن نُنهضك . فاحتلتُ في شيء وشخصت الى العراق، فقدِمتُ بغدادَ، ونزلت عن بغل كنت أكتريته . ثم ذكر باقي الحديث نحوَ الذي قبله في المعاني، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوتَ عنها . وأحسبه غلِط في إدخاله هذه الحكاية هاهنا، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا . قال في هذا الخبر : إن الدَّوْر دار مرّة أخرى حتى صار إليّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنّ أيها الرجل ! فقلت : ما أنتظر الآن ! ! ثم اندفعتُ أغنّي بصوت لي وهو :

فلو كان لي قلبان عِشتُ بواحد ... وخلّفتُ قلباً في هواكِ يُعذَّبُ
ولكنما أحيا بقلب مُروَّع ... فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقرُبُ
تعلّمت أسبابَ الرضا خوفَ سُخطها ... وعلّمها حبّي لها كيف تغضب

---

(١) يريد مدينة بغداد التي تقدّمت في اول الخبر .

ولي ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه ولكن بلا قلب الى أين أذهب

فخرج الرشيد حينئذٍ .

## نسبة ما في هذه الاصوات من الأغاني

### صوت

شكونا الى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغشى عيونَهم سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعينا
إذا ما دنا الليلُ المضرّبذي الهوى جَزِعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثلَ ما نُلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

عروضه من الطويل . وذكر الهشاميّ أن الغنــاء لأبن جامع هزج بالوسطى، وفي الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة .

ومنها :

### صوت

يا دار أضحت خلاءً لا أنيسَ بها إلا الظباءُ وإلا النّاشط الفَرِدُ
أين الذين اذا مازرتُهم جذِلوا وطار عن قلبيَ التشواق والكمد

في هذا الصوت لحنٌ لأبن سريج خفيفُ ثقيل اول بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن جامع رمل .

ومنها :

## صوت

لم تَمش مِيلًا ولم تركب على جَمَل ... ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ
أقول للركب في دُرْنا[1] وقد ثَملوا ... شِيموا وكيف يَشيم الشارب الثَّمِل

الشعر للأعشى . والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر، وقد كُتب فيما يغنّى فيه من قصيدة الأعشى التي أولها :

وَدِّعْ هُرَيرةَ إن الركبَ مُرتحلُ

ومنها :

## صوت

مَرَرْنا على قَيسيّةٍ عامريّةٍ ... لها بَشَرٌ صافي الأديم هِجانِ
فقالت وألقت جانبَ السترِ دونها ... مِنَ آيةِ أرض أو مَنِ الرجلان
فقلت لها أمّا تميمٌ فأسرتي ... هُديتِ وأمّا صاحبي فَيَماني
رفيقان ضمّ السَّفْرُ بيني وبينه ... وقد يَلتقي الشتّى فيأتلفان

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر .

ومنها :

## صوت

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا ... اذا أقول صحا يعتاده عِيدا
أجري على موعد منها فتُخلفني ... فما أَمَلّ ولا تُوفي المواعيدا

(١) درنا : ناحية باليمامة وكانت تسمى هكذا في الجاهلية . ويروى : «فقلت للشرب في درنا ... الخ» .

كأنني حين أمسي لا تكلمني ذو بُغية يَبتغي ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل اول بالوسطى، وله فيه ثقيل اول بالبنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلًا أول بالوسطى على مذهب إسحاق .

ومنها :

## صوت

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى اذا جدّ وَشْكُ البين أم أنا غالبُهْ

فإن أستطع أغلِبْ وإن يَغلِبِ الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغلَب صاحبُهْ

عروضه من الطويل . الشعر لابن مَيَّادة، والغناء للحَجَبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش .

ومنها :

## صوت

تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرام قليلُ

وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل

وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً اذا ما رأتْه عامرٌ وسَلُول

يقرّب حبُّ الموت آجالَنا لنا وتكرهه آجالُهم فتطول

عروضه من مقبوض[1] الطويل . والشعر للسموءل بن عادياء اليهوديّ . والغناء لحكَم الوادي :

ومنها :

(١) القبض : هو حذف الخامس الساكن فيصير «فعولن» «فعول» .

## صوت

وَدِدْتُكِ لمَّا كان ودُّكِ خالصاً　　وأعرضتُ لما صار نَهْباً مقسَّما
ولن يلبَثَ الحوضُ الجديد بناؤُه　　على كثرة الورّاد أن يتهدَّما

عروضه من الطويل . وفيه خفيفُ ثقيل قديم لأهل مكة . وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أول .

ومنها :

## صوت

وما كرَّ إلا كان أولَ طاعن　　ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اقشعرَّتِ
فيُدرك ثأراً ثم لم يُخطِه الغِنى　　فمثلُ أخي يوماً به العين قرَّت
فإن طلبوا وِتراً بَدا بِتِراتهم　　ويَصبر يحميهم اذا الخيل وَلَّت

عروضه من الطويل . الشعر للخَنساء، والغناء لابن سُريج ثقيل اول بالبنصر . وذكر علي بن يحيى أنه لمعبد في هذه الطريقة .

ومنها :

## صوت

لحا الله صُعلوكاً مُناه وَهمُّه　　من الدهر أن يلقى لَبوساً ومَطعما
ينام الضحى حتى اذا ليلُه انتهى　　تنبَّه مثلوج الفؤاد مُوَرَّما
ولكن صعلوكاً يُساور هَمَّه　　ويَمضي على الهيجاء ليثاً مصمِّما
فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقَها　　كريماً وإن يَستغن يوماً فربَّما

عروضه من الطويل . الشعر يقال إنه لعُروة بن الوَرْد، ويقال : إنه لحاتم الطائي وهو الصحيح . والغناء لطُوَيس خفيفُ رمل بالبنصر .

ومنها :

## صوت

اذا كنتَ ربًّا للقَلوص فلا يكن رفيقُك يَمشي خلفَها غيرَ راكبِ
أَنِخْها فأردفه فإنْ حملتْكما فذاك وإن كان العِقاب فعاقب

عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طيّئ .

ومنها :

## صوت

ألم تَرَ لمّا ضَمَّني البلد القَفْرُ سمعتُ نداء يصدع القلبَ يا عمْرُو
أَغِثْنا فإنا عُصْبة مَذحِجيّة نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن معد يكرب . والغناء لُحنَين رمل بالوسطى عن حَبَش .

ومنها :

## صوت

فلما تواقفْنا وسلّمتُ أقبلتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعِرفان لما رأيْنَني وقُلنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأوضعا
ولما تَنازعن الأحاديثَ قلن لي أَخِفتَ علينا أن نُغَرَّ وُنخدَعا
وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيَّم يَقيس ذراعاً كلما قِسن إصبعا

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدّة ألحان، قد كُتبتْ مع الخبر في موضع غير هذا .

ومنها :

## صوت

عُوجي عليّ فسلِّمي جَبرُ فيم الصدودُ وأنتم سَفرُ
ما نلتقِي إلا ثـلاثَ مِنًى حتى يفرّق بيننا النَّفـر
الحـول ثم الحول يتبعـه ما الدهر إلا الحول والشهر

الشعر للعَرْجيّ . والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، ويقال إنه لابن محرز، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .

ومنها :

## صوت

فلو كان لي قلبان عشتُ بواحـد وخلّفتُ قلباً في هواك يعـذَّبُ
ولكنما أحيـا بقلب مُروّع[1] فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرُب
تعلّمتُ أسباب الرّضا خوفَ هجرها وعلّمها حبّي لهـا كيف تغضب
ولي ألف وجه قد عرفت مكانَه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو الورّاق . والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبد الله بن العباس . وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّل . وفيه لزَذاذ خفيفُ ثقيل . وفيه هَزَج يقال إنه لعريب ، ويقال إنه لنمرة، ويُقال إنه لأبي فارة ، ويقال إنه لابن جامع .

حدّثني مصعب الزبيريّ قال :

(١) ويروى : «معذب» .

قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً في أيام الرشيد؛ فسمعته يوماً يغنّي في بعض بساتين المدينة:

ومالِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي ... إذا صَدَر الرُّعيانُ وِردَ المناهلِ
وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رَحلتُها ... فسارت بمحزون كثيرِ[1] البَلابلِ[2]

وكان رجلًا صيِّتاً[3]، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله.

## نسبة هذا الصوت

## صوت

ومالِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي ... إذا صَدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنت إذا ما اشتدّ شوقي ركبتها ... فسارتْ بمحزون كثير البلابل

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ.

أخبرني وكيع قال حدّثني هارون بن محمد الزّيات قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال:

كنت في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور، فَفُرّقنا في خدمته، فصرت الى ياسر صاحب وضوئه. فكنت أراه يفعل شيئاً أعلم أنه خطأ: يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح. وقال لي يوماً: كن مكاني في آخر المستراح.

(١) يروى: «طويل».

(٢) البلابل: شدّة الهم والوسواس في الصدر وحديث النفس.

(٣) الصيت: الجهير الصوت.

فكنت أعطيه الابريق وأخرج مبادراً ، فإذا سمعت حركته بادرت اليه . فقال لي : ما أخفّك على قلبي يا غلام ! ويحك ! ثم دخل قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب منفرد ، فقرأه فإذا هو :

وماليَ لا أبكي وأندُبُ ناقتي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ نحوَ المَناهِلِ
وكنت إذا ما اشتدّ شوقي رَحلتُها فسارتْ بمحزون طويل البلابل

وتحته مكتوب : آه آه ، فلم يَدرِ ما هو . وفطِنتُ له فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، قد عرفت ما هو . فقال : قل ؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال : آه آه ، فكتب تأوّهه وتنفّسه وتأسّفه . فقال : مالك قاتلك الله ! قد أعتقتُكَ ووليّتُكَ مكانَ ياسر .

## ذكر أخبار هذه الاصوات المتفرّقة في الأخبار
## وإنما افردتها عنها لئلا تنقطع

## خبر

أمسى بأسماء هذا القلبُ مَعمودَا

أخبرني الحُسين بن يحيى قال حمّاد : قرأت على أبي ، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكيّ قال حدّثني المخزوميّ (يعني الحارث بن خالد) قال :

بلغني أنّ العَريض خرج مع نِسوة من أهل مكة من أهل الشَّرَف ليلاً الى بعض المتحدَّثات من نواحي مكة ، وكانت ليلة مقمرة ؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ والى حديثهنّ ، وخفتُ على نفسي لجنايةٍ كنت أُطالَب بها ، وكان عمر مَهيباً معظَّماً لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره ، وكان منّي قريباً ؛ فأتيتُه فقلت له :

إنّ فلانة وفلانة وفلانة – حتى سمّيتهنّ كلّهنّ – قد بعثْنَني، وهنّ يقرأنَ عليك السلامَ، وقلن: تشوّقن اليك في ليلتنا هـذه لصوتٍ أنشدناه فُوَيسِقُك الغريض – وكان الغريض يغنّي هذا الصوتَ فيُجيده وكان ابن أبي ربيعة به مُعجَباً، وكان كثيراً ما يسأل الغريضَ أن يُغنّيه، وهو قوله:

أمسى بأسماء هذا القلبُ مَعمودَا إذا أقول صحاً يعتـاده عِيدَا
كأنّ أحورَ من غِزلان ذي نفـر أهدى لها شَبَه العينين والجيدا
قامت تراءى وقد جدّ الرحيلُ بنا لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا
كأنني يومَ أمسي لا تكلّمني ذو بُغية يبتغي ما ليس موجودا
أجري على موعدٍ منها فتُخلفني فـا أملّ وما تُوفي المواعيدا
قد طال مَطلي، لَوَ انّ اليأس يَنفعني أوْ أن أُصادفَ من تِلقائها جُودا
فليس تَبذُل لي عفواً وأكرُمهـا من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا [1]

– فلما أخبرتُه الخبر قال: لقد أزعجتني في وقت كانت الدّعةُ أحبّ فيه إليّ؛ ولـكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النِّسوة ليس له مُترَك ولا عنه مَحيص. فدعـا بثيابه فلبِسها، وقال: امضِ؛ فمضينا نمشي العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ. فقال لي عمر: خَفِض عليك مَشيَك ففعلتُ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ في أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلّمنا، فتهيّبننا وتخفّرن منّا. فقال الغريض: لا عليكنّ! هذا ابن أبي ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقين الى حديثكنّ وغنائي. فقالت فلانة: وعليك السلامُ يابنَ أبي ربيعة، والله ما تمّ مجلسنا إلا بك، اجلسا. فجلسنا غيرَ بعيدٍ، وأخذنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلن لعمر: كيف أحسستَ بنا وقد أخفينا أمرَنا؟ فقال: هذا الفاسقُ جاءني برسالتكنّ وكنت وقيذاً [2] من علة وجدتُها، فأسرعت الإجابةَ، ورجوتُ منكنّ على ذلك

(١) ويروى:
... ... ... فأكرمها ما إن ترى عندنا في الحرص تشديدا

(٢) الوقيذ: المريض.

حسنَ الإثابة . فرددن عليه : قد وجب أجرك ، ولم يَخِبْ سعيُك ، ووافق منّا الحارثُ إرادةً . فحدثهن بما قلتُ له من قصة غناء الغريض ؛ فقال النِسوة : والله ما كان ذلك كذلك ، ولقد نبَّهتنا على صوت حسن ، يا غريضُ هاتِه . فاندفع الغريضُ يغنّي ويقول :

أمسى بأسماء هذا القلبُ مَعمودا إذا أقولُ صَحا يَعتاده عِيدا

حتى أتى على الشعر كلِّه إلى آخره ، فكلٌّ استحسنه . وأقبل عليَّ ابنُ أبي ربيعة فخبّرني الخبرَ ، وكذلك النِسوة . فلم نَزَلْ بأنعمِ ليلةٍ وأطيبِها حتى بدأ القمرُ يغيب ، فقمنا جميعاً ، وأخذ النِسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا .

وقال عمر في ذلك :

## صوت

هل عند رَسم برامةٍ[1] خبرُ أم لا فأيَّ الأشياء تَنتظرُ
قد ذكَّرتني الديارُ إذ درسَتْ والشوقُ مما يَهيجه الذِّكَر
تمشي رسولٌ إليّ يُخبرني عنهم عِشاء ببعض ما ائتمروا
ومجلسَ النِسوة الثلاث لدى الـخيمات حتى تبلَّج السَّحَر
فيهنّ هندٌ والهمُّ ذِكرُتها تلك التي لا يُرى لها خَطَر
ثم انطلقنا وعندنا ولنا فيهنّ لو طال ليلُنا وطر
وقولَها للفتاة إذ أزِف الـبينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَر
عَجلانَ لم يَقضِ[2] بعضَ حاجته هلا تأنّى يوماً فينتظر
اللهُ جارٌ له وإن نَزَحَتْ دارٌ به أو بدا له سفر

---

(١) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة . وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة .

(٢) في الديوان : «لم يقض بعد حاجته» .

غنّاه الغريض ثقيلًا أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى . وفيه لعبد الرحيم الدفّاف ثقيلٌ أوّل بالبنصر في البيتين الأوّلين . وبعدهما :

هل من رسول إليّ يُخبرني بعد عشاء ببعض ما ائتمروا
يومَ ظَلِلْنا وعندنا ولنـــا فيهنّ لو طال يومُنــا وَطَرُ

فلما كانت الليلةُ القابلةُ بعث إليّ عمر فأتيتُه وإذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ ؛ فاندفع يغنّي :

هل عند رَسمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فأيّ الأشيــاء تنتظرُ
ومجلسَ النِّسوة الثلاثِ لدى الـــخيات حتى تبلّــج السحر

فقلتُ في نفسي : هذا والله صفةُ ما كنّا فيه ، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلّه ؛ فقلت : يا أبا الخطّاب ، جُعلتُ فِداك ! هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النِّسوة . فقال : إن ذلك ليُقال .

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال :

إنّ موسى بن مُصعب كان على الموصل ، فاستعمل رجلًا من أهل حرّان على كُورة باهُذْرا ، وهي أجلّ كُوَرِ الموصل ، فأبطأ عليه الخراجُ ؛ فكتب اليه :

هل عند رسمٍ برامةٍ خــبرُ أم لا فأيّ الأشيــاء تنتظرُ

احمِل ما عندك يا ماصّ بَظرِ أمه ، وإلا فقــد أمرتُ رسولي بشدّك وَثاقًا ويأتي بك . فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلحِق بحرّان ، وكتب اليه : يا عاضّ بَظرِ أمّه ! إلي تكتب بمثل هذا !

وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني عرفتْــني الدَّوِّيّة(١) الملساء

(١) الدوّية : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة .

فلما قرأ موسى كتابَه ضَحِك وقال: أحسن - يعلم الله - الجوابَ، ولا والله لا أطلبه أبداً. وفي غير هذه الرواية أنه كتب اليه في آخر رقعة:

إنّ الخليط الأُلى تهوَى قد ائتمروا للبَيْن ثم أجدّوا السيرَ فانشمروا

يا بن الزّانية! والسلام. ثم هرب، فلم يَطلُبه.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبي:

غنّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض:

هل عند رَسمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فأيَّ الأشياء تنتظرُ

فسألتُه أن يُلقيه عليّ، فقال: لا إلا بألف درهم؛ فلم أسمح له بذلك. ومضى فلم ألقَه. فوالله يا بنيّ ما ندمتُ على شيء قطُّ نَدَمي على ذلك، ولَوَدِدْتُ أني وجدُته الآن فأخذُته منه كما سمعتُه وأخذَ مني ألفَ دينار مكان الألف الدرهم.

## خبر

تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا

الشعر لشُرَيح بن السَّمَوْءل بن عادياء. ويقال: إنه للسموءل. وكان من يهود يَثرِب؛ وهو الذي يُضرب به المثل في الوفاء فيقال: «أوفى من السَّموءل».

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبيدة وحدّثني به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأُمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال:

**قصة السموءل في الوفاء:**

كان امرؤ القيس بن حُجر أودع السموءلَ بن عادياء أدراعاً؛ فأتاه الحارثُ

ابن ظالم – ويقال: الحارث بن أبي شَمِر الغسّاني – ليأخذَها منه؛ فتحصّن منه السموءلُ؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه: إمّا أن تُسلّم الأدراع وإمّا أن قتلتُ ابنك؛ فأبى السموءلُ أن يُسلِّم الأدراعَ اليه؛ فضرب الحارثُ وسْطَ الغلام بالسيف فقطعه اثنين. فقال السموءل:

وَفيتُ بأدرُعِ الكنديّ إنّي ... إذا ما خــان أقوامٌ وَفيتُ
وأوصى عــادياً يوماً[1] بألّا ... تُهـدِّمَ يا سموءلُ ما بنيت
بنى لي عــادياً حصناً حصيناً ... ومــاءً[2] كلّما شئتُ استقيت

وفي هذه القصيدة يقول:

## صوت

أعــاذِلتي ألا لا تَعذُليني ... فكَمْ مِنْ أَمرِ عاذلةٍ عَصَيتُ
دعيني وأرشدي إن كنتُ أغوَى ... ولا تَغوَيْ–زعمتِ–كما غَويت
أعاذلَ قد طلبتُ[3] اللومَ حتى ... لَوَ انّي مُنْتَهٍ لقــد انتهيت
وصفراء المعاصم قــد دَعَتني ... الى وَصْلٍ فقلتُ لها أبَيْت
وزِقٍّ قد جرَرتُ الى النّدامَى ... وزقٍّ قد شربتُ وقد سقيت
وحتى لو يكون فتى أُناسٍ ... بكى من عذل عاذلة بكيت

عروضُه من الوافر. والشعر للسَّمَوْءل بن عادياء. والغنــاء لابن مُحرز في الأوّل والثاني والرابع والخامس خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر في الأوّل والثاني. وغنّى دَحمانُ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى. وغنّى عبد الرحيم الدَّفّاف في

---

(١) رواية هذا الشطر في ديوانه: وأوصى عادياً جدي بألا

(٢) في مجمع الامثال للميداني: «بئراً». وفي ديوانه: «عيناً».

(٣) لعلها: «أطلت».

الأوّل والثاني رملًا بالبنصر . وفي هذه الأبيات لابن سُرَيج لحنٌ في الرابع وما بعده . ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنسبه . ولإبراهيم الموصليّ فيها لحن غير منسوب أيضاً .

## إطلاق الأعشى بشفاعة ابن السموءل :

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سَعيد الأُمويّ قال حدّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال :

هجا الأعشى رجلًا من كلب فقال :

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ... ولستَ من الكرام بني عُبَيدِ
ولا من رهط جبّار بن قُرْط ... ولا من رهط حارثة بن زيد

— قال : وهؤلاء كلهم من كلب — فقال الكلبيّ : أنا، لا أبا لك ، أشرفُ من هؤلاء . قال : فسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظاً عليه . فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأَسرَ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموءل بن عادياء الغسّاني صاحب تَيْماء[1] بحصنه الذي يقال له الأبلَق[2] . فمرّ شريح بالأعشى ، فنادى به الأعشى بقوله :

شُرَيحُ لا تترُكَنّي بعد ما عَلِقتْ ... حبالَكَ اليومَ بعد القِدّ[3] أظفاري
قد جُلتُ ما بين بانقيا[4] الى عَدَنٍ ... فطال في العُجْم تَرْدادي وتَسياري
فكان أكرَمهم عهداً وأوثقهم ... عَقداً أبوك بعُرف غير إنكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابلُه ... وفي الشدائد كالمستأسِد الضّاري

(١) تيماء : بليدة في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(٢) قيل له الأبلق لانه كان في بنائه بياض وحمرة، وقيل : لانه بني من حجارة مختلفة الالوان .

(٣) القد : القيد .

(٤) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة .

كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به  في جَحفَل كسواد الليل جرّارِ
إذ سامه خُطّتَيْ خسفٍ فقال له  قُلْ ما تشاء فإني سامعٌ حار
فقال غدرٌ وثُكلٌ أنت بينهما  فاْختَرْ وما فيهما حظٌ لمختار
فشكّ غيرَ طويلٍ ثم قال له  أقتُل أسيرَك إني مانعٌ جاري
وسوف يُعقبُنيه إن ظفِرتَ به  ربٌ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هدَراً  وحافظات إذا أستُودِعن أسراري
فأختار أدراعَه كي لا يُسَبّ بها  ولم يكن وعدُه فيها بختّار (١)

قال: فجاء شُرَيح الى الكلبيّ فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرورَ؛ فقال: هو لك، فأطلقه. وقال له: أقِمْ عندي حتى أُكرِمك وأحبُوك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إليّ أن تُعطيني ناقةً ناجيةً (٢) وتُخلّيَني الساعةَ. قال: فأعطاه ناقةً، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أن الذي وَهَب لشريح هو الأعشى، فأرسل الى شُريح: ابعث إليّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوَه وأعطيَه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثَره فلم يَلحقه.

وأما خبر:

وما كرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ

— والشعر للخنساء — فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفرداً عن المائة الصوت المختارةِ في أخبار الخنساء.

## رجع الخبر إلى قصة ابن جامع

وأما خبرُ الجارية التي أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنه

(١) الختار: الغادر.
(٢) ناقة ناجية: سريعة السير.

وقع في حكاية محمد بن ضوين الصَّلصال فيها خطأ ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمد العامريّ قال حدّثني عُكّاشة الزيديّ بجرجان قال حدّثني إسماعيل بن جامع قال :

بَينا أنا في غُرفة لي باليمن وأنا مُشرِف على مَشرَعةٍ(١)، إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ، فملأتها ووضعتها على المَشرعة لتستريح، وجلست فغنَّت :

## صوت

فَرُدّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلتِه ولا تُبعِدي فيما تجشَّمتِ كُلْثُمَا

— ويُروى « ولا تَتركيه هائمَ القلب مُغرما » —

إلى الله أشكو بُخلَها وسماحتي لها عسلٌ منّي وتبذُل عَلْقَمَا
أَبى اللهُ أن أُمسي ولا تذكُرينَني وعَيناي من ذكراكِ قد ذَرَفَتْ دَمَا
أَبيتُ فما تنفكّ لي منكِ حاجةٌ رمى الله بالحبّ الذي كان أظلما

— غنّاه سِياطٌ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة — قال : ثم أخذتْ قِربتَها لتمضيَ . فاستفزّني من شهوة الصوت ما لا قِوامَ لي به، فنزلتُ اليها فقلت لها : أعيديه . فقالت : أنا عنك في شغل بخَراجي . قلتُ : وكم هو ؟ قالت : درهمان في كل يوم . قلتُ : فهذان درهمان، ورُدّيه عليّ حتى آخذه منك ، وأعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أمّا الآن فنعم . فجلستْ، فلم تَبرح حتى أخذتُه منها وانصرفت ؛ فلهوتُ يومي به ، وأصبحتُ من غدٍ لا أذكر منه حرفاً ، فإذا أنا بالسوداء قد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأمس . فلما وضعتِ القِربةَ تغنَّت غيرَه، فعَدَوتُ في أثرها وقلت : يا جارية، بحقّي عليك رُدّي عليّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّي منه نَغمةٌ . فقالت : لا والله، ما مثلُك تذهب عنه نغمة ، أنت

---

(١) المشرعة : مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون .

تَقيسُ أوّلَه على آخره، ولكنك قد أنسيتَه، ولستُ أفعل إلا بدرهمين آخرين. فدفعتُهما اليها وأعادَته عليّ حتى أخذتُه ثانيةً. ثم قالت: إنك تستكثر فيه أربعةَ دراهم، وكأني بك قد أصبتَ به أربعة آلاف دينار. فكنتُ عند هارون يوماً وهو على سريره؛ فقال: من غنّاني فأطربني فله ألفُ دينار، وقدّامه أكياسٌ في كل كيس ألفُ دينار. فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ، حتى دار الغناء إليّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السوداء؛ فرمى إليّ بكيس فيه ألفُ دينار، ثم قال: أعِدْه فغنّيتُه؛ فرمى إليّ بثانٍ ثم قال: أعِدْه فرمى إليّ بثالث وأمسك. فضحِكتُ؛ فقال: ما يُضحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فحدّثتُه به وقصصتُ عليه القصةَ؛ فرمى إليّ برابع وقال: لا نكذّب قولها.

## خبر

عُوجي عليّ فسلّمي جَبْرُ

الشعر للعَرْجيّ وقد ذكرنا نسبة الصوت.

**قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث:**

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد قال حدّثني محمد بن إسحاق قال:

قيل لعمر بن عبد العزيز: إن بالمدينة مُخنّثاً قد أفسد نساءها. فكتب الى عامله بالمدينة أن يحمله. فأُدخِل عليه، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأطرافِ مُعتجِرٌ بسَبَنيَّة[1] قد حمل دُفّاً في خريطته. فلما وقف بين يَدي عمر صعّد بصرَه فيه وصوّبه وقال: سوأةً لهذه الشَّيبة وهذه القامةِ! أتحفظ القرآن؟ قال: لا والله يا

(١) السبنية: منسوبة الى سبن (بالتحريك): بلدة ببغداد؛ وهي إزار أسود متخذ من الحرير يلبسه النساء.

أبانا؛ قال: قبّحك اللهُ! وأشار اليه مَن حضَره فقالوا: اسكُتْ فسكتَ. فقال له عمر: أتقرأ من المفصَّل شيئاً؟ قال: وما المُفصّل؟ قال: ويلك! أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ (الحمد لله) وأُخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة، وأقرأ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّاس) وأُخطئ فيها، وأقرأ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) مثلَ الماء الجاري. قال: ضعوه في الحبس ووكِّلوا به مُعلِّماً يعلِّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطّهارة والصلاة وأجرُوا عليه في كل يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلِّمه ثلاثة دراهمَ أُخر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ. فكان كلّما عُلِّم سورةً نَسِي التي قبلها. فبعث رسولًا الى عمر: يا أمير المؤمنين، وجِّه إليّ من يحمل اليك ما أتعلّمه أولًا فأولًا، فإني لا أقدِر على حمله جملةً واحدةً. فيئس عمرُ من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدراهمَ إلا ضائعةً، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عُرياناً لكان أصلحَ. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ (قُلْ يَا أَيُّها الكافِرونَ). قال: أسأل اللهَ العافيةَ! أدخلتَ يدَك في الجراب فأخرجتَ شرّ ما فيه وأصعبَه. فأمر به فوُجِئَتْ[1] عُنُقه ونفاه. فاندفع يغنّي وقد توجّهوا به:

عُوجِي عليّ فَسلِّمي جَبْرُ ... فيم الوقوفُ وأنتم سَفْرُ
ما نَلتقِي إلا ثلاثَ مِنًى ... حتى يفرِّق بيننا النَّفْرُ

فلما سمِع المُوكَّلون به حسنَ ترنّمه خلّوْه وقالوا له: اذهب حيث شئتَ مُصاحَباً بعد أستماعهم منه طرائفَ غنائه سائرَ يومهم وليلتهم.

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ قال:

أحجّ خالدُ بن عبد الله أبنَه محمداً وأصحبه رزاماً مولاه وأعطاه مالًا، وقال: اذا دخلتَ المدينةَ فأصرفه فيما أحببتَ. فلما صِرْنا بالمدينة سأل محمد عن جاريةٍ حاذقةٍ؛ فقيل: عند محمد بن عِمران التَّيمي القاضي. فصلّينا الظهرَ في المسجد ثم

(١) الوجء: اللكز والضرب، يقال: وجأت عنقه وفي عنقه أي ضربته.

مِلنا اليه فاستأذنّا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد[1] ونعلاه في آخر اللّبد؛ فسلّمنا عليه فردّ؛ ونَسَبَ[2] محمداً فانتسب له، فقال: خيراً. ثم قال: هل من حاجة؟ فلَجلَج. فقال: كأنك ذكرتَ فلانة! يا جاريةُ اخرجي؛ فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس، ثم تغنّت فإذا أحذقُ الناس؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجيء، الى أن غنّت قوله:

عوجي عليّ فسلّمي جَبْرُ

فلما بلغتْ:

حتى يفرّق بيننا النَّفر

وثب الشيخُ الى نعله فعلّقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أذنه والنّعل فيها وجعل يقول: أهدوني[3] أنا بَدَنَةٌ، أهدوني أنا بَدَنَةٌ. ثم أقبل عليهم فقال: كم قيل لكم إنها تساوي؟ قالوا: ستمائة دينار. قال: هي وحقِّ القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار، ووالله لا يملكها عليّ أحدٌ أبداً، فانصرِفوا اذا شئتم.

أخبرنا وَسواسةُ بن الموصليّ – وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ – قال حدّثني حماد بن إسحاق قال:

وجدتُ في كتب أبي عن عثمان بن حَفص الثّقفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدّثني سُلَيم الحساب عن داود المكيّ قال:

كنّا في حَلقة ابن جُرَيجْ وهو يحدّثنا وعنده ابنُ المبارَك وجماعةٌ من

(١) اللبد: بساط من صوف.

(٢) نسبه: سأله عن نسبه.

(٣) الإهداء: سوق الحيوان إبلاً أو بقراً أو شاء الى البيت الحرام هدياً.

العراقيين، إذ مرّ به ابن تَيزن – قال حمّاد: ويقال ابن بيزن – وقد ائـتزر بمئزَرة على صدره، وهي إزرَةُ الشُّطَّار[١] عندنا. فدعاه ابن جُرَيج؛ فقال له: إني مستعجِل، وقد وعدتُ أصحاباً لي فلا أقدِر أن أحتبس عنهم. فأقسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له: ما تريد؟ قال: أحِبّ أن تُسمِعني. قال: أنا أجيئك الى المنزل، فلِمَ تُجلِسني مع هؤلاء الثقلاء!. قال: أسألك أن تفعل؛ قال: امرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات. قال: ويحك! ما أعجلكَ باليمين؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابي. فالتفت ابن جريج الى أصحابه فقـال: اعقِلوا رحمكم الله. ثم قال له: غنّني الصوتَ الذي أخبرتني أنّ ابنَ سريج غنّاه في اليوم الثالث من أيام مِنًى على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائي حتى تكسّرت المحاملُ. فغنّاه:

عوجي عليّ فسلِّمي جبرُ

فقال ابن جُريج: أحسنتَ والله! – ثلاثَ مرّات – ويحك أعِده. قال: أمِن الثلاثة؟ فإني قد حلَفتُ. قال: أعِده فأعاده؛ فقال: أحسنتَ! أعِده من الثلاثة؛ فأعاده وقام فمضى. فقال ابن جريج لأصحابه: لعلكم أنكرتم ما فعلتُ! قالوا: إنا لنُنكِره بالعراق. قال: فما تقولون في الرَّجَز؟ (يعني الحُداء) قالوا: لا بأس به. قال: فما الفرق بينهما!

**أحسن الناس حلوقاً في الغناء:**

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المَدينيّ قال:

ثلاثةٌ من المُغنّين كانوا أحسنَ الناس حُلوقاً: ابن تَيزن، وابن عائشة، وابن أبي الكنّات.

---

(١) كان هذا الاسم يطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد.

# صوت

## من المائة المختارة

سَقاني فروّاني كُميتاً مُدامةً على ظمإٍ مني سَلامُ بن مِشكَمِ
تخيّرتُه أهلَ المدينــة واحداً سِواهم فلم أغبَن ولم أتندَّمِ [1]

عروضُه من الطويل . والشعر لأبي سفيان بن حرب . والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعثة [2]، خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

(١) ورد هذا البيت في سيرة ابن هشام هكذا :

إني تخيرت المدينة واحداً لحلف فلم أندم ولم أتلوّم

(٢) الاشاعثة : منسوبون الى الاشعث بن قيس الكندي الصحابي، نزل الكوفة .

# ذكر ابي سفيان وأخباره ونسبه

هو صخر بن حرب بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . وأمُّ حرب بن أميَّة بنتُ أبي هَمهَمةَ بن عبد العُزّى بن عامر بن عَميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة . وأمّ أبي سفيان صفيَّة بنت حَزْن بن بُجَير ابن الهُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعصَعَة ، وهي عمّة ميمونة أم المؤمنين وأمِّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أمّ بني العباس بن عبد المطلب . وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أميَّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أول هذا الكتاب .

وكان حربُ بن أميَّة قائدَ بني أميَّة ومن مالأهم في يوم عُكاظ . ويقال : إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته وقتلت مِرداسَ بن أبي عامر السُّلَميّ لإحراقهما شجرَ القُرَيَّة[1] وازدراعهما إيَّاها . وهذا شيء قد ذكرته العربُ في أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه ، والله أعلم .

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمي مُصعَب ، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيد عن عمه عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ :

أنّ حربَ بن أميَّة لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوتُه مرّ بالقُرَيَّة ، وهي إذ ذاك غَيضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام . فقال له مرداسُ بن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى . قال : نِعمَ المُزدَرَعُ هو ، فهل لك أن نكون

(١) القرية : موضع في ديار بني سليم .

شريكين فيه ونُحرِّق هذه الغَيضةَ ثم نَزدَرِعه بعد ذلك ؟ قال نعم . فأضرما النَّار في الغَيضة . فلما ٱستطارت وعلا لَهَبُها سُمِع من الغَيضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ، ثم ظهرت منها حيَّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قطعتْها وخرجت منها . وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك :

إني ٱنتخبتُ لها حرباً وإخوتَه إني بحبلٍ وثيقِ العَقْد دسَّاسُ
إني أُقوِّمُ قبلَ الأمرِ حُجَّتَه كيما يقالَ وليُّ الأمرِ مِرداسُ

قال : فسمِعوا هاتفاً يقول لما ٱحترقت الغَيضةُ :

ويلٌ لحربٍ فارساً مُطاعِناً مُخالِساً
ويل لعمرو فارسا إذ لبسوا القَوانِسا[1]
لَنقْتُلَنْ بقتلِه جَحاجِحاً عنابسا

ولم يلبث حربُ بن أميَّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا . فأمَّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيَّة . ثم ٱدَّعاها بعد ذلك كليبُ بن أبي عَهمةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ . فقال في ذلك عبَّاس بن مرداس :

أكليبُ ما لكَ كلَّ يوم ظالماً والظلم أنكدُ وجهُه ملعونُ
قد كان قومُك يحسبونك سيِّداً وإخال أنك سيِّدٌ معيونُ

— المعيونُ : الذي أصابته العين، وقيل : المعيون : الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له — .

فإذا رجعتَ إلى نسائك فأَدْهِنْ إنّ المُسالِمَ رأسُه مدهونُ
وٱفعل بقومك ما أراد بوائلٍ يومَ الغدير[2] سَمِيُّك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلَها في صَفحتَيك سِنانُها المسنون

(١) القوانس : جمع قونس، وهو أعلى البيضة . ويروى : «القلانسا» .

(٢) يشير الى تحكم كليب في موارد الماء ونفيه بكر بن وائل عنها حتى كاد يقتلهم عطشاً .

إن القُرَيّةَ قد تبيّنَ أمرُها إن كان ينفع عندك التّبيينُ
حيث أنطلقتَ تخطُّها لي ظالماً وأبو يزيدَ بجوّهـا مدفون

أبو يزيد : مرداس بن أبي عامر .

**منزلته في قريش :**

وكان أبو سفيان سيّداً من سادات قريش في الجاهليّـة ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وكهفاً للمنافقين في أيامـه، وأسلم يوم الفَتْح . وله في إسلامه أخبارٌ نذكرها هنا . وكان تاجراً يجهّز التجار بماله وأموالِ قريش الى أرض العجم . وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُشاهَدةَ الفتح، وفُقِئتْ عينُه يومَ الطائف[١]، فلم يزل أعورَ الى يوم اليَرموك[٢]، ففُقِئَت عينُـه الأخرى يومئذٍ فعَمِي .

أخبرنا الطُّوسيّ والحَرَميّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قـال حدّثني عليّ بن صالح عن جـدّي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكّيّ عن أبي الهيثم عمّن أخبره :

أنّه سمع أبا سفيان يُمازح رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بنتـه أمّ حبيبة ويقول : والله إنْ هو إلا أن تركتُكَ فتركتْك العربُ فما أنتطحت جمّاء[٣] ولا ذاتُ قَرْنٍ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول : « أنت تقول ذاك يا أبا حنظَلة[٤] ! » .

---

(١) يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأصاب عينه .

(٢) اليرموك : واد بناحيـة الشام في طرف الغور يصب في نهر الاردن ثم يمضي الى البحيرة المنتنة .

(٣) الجماء : الشاة التي لا قرن لها .

(٤) حنظلة : ابن كان لابي سفيان قتله علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم بدر .

قال الزبير وحدّثني عمي مصعب :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج أمّ حبيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذٍ مُشرِكٌ يحارب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وقيل له : إن محمداً قد نكح ابنتك؛ فقال : ذلِكَ الفحلُ لا يُقدَعُ[1] أنفُه . وأسمُ أمّ حبيبة رملة، وقيل : هند، والصحيح رملة .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ عن مَسلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال :

أذِنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوماً للناس، فأبطأ بإذن أبي سفيان . فلما دخل قال : يا رسولَ الله، ما أذِنتَ لي حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان « كلُّ الصيد[2] في جوف الفَرَا » .

حدّثنا محمد بن العباس قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجاني قال حدّثنا عطاء ابن مُصعَب قال حدّثني سفيان بن عُيَينة عن جعفر بن يحيي البرمكيّ قال :

أذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، فكان آخِرُ من دخل عليه أبا سفيان بن حرب . فقال : يا رسول الله، لقد أذِنتَ للناس قبلي حتى ظننتُ أن حجارةَ الخَندَمةِ[3] لَيؤذن لها قبلي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما واللهِ إنّك والناسَ لكما قال الاول : « كلُّ الصيدِ في بطن الفَرا » » . أيّ كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدكَ مثل ما لهم كلّهم .

---

(١) فحل لا يقدع أنفه، أي لا يضرب أنفه، لكرمه . وذلك ان الفحل اذا اراد ركوب الناقة قدع وضرب أنفه بالرمح او غيره اذا كان غير كريم وحمل عليها فحل كريم غيره .

(٢) هذا مثل يضرب لمن يفضل أقرانه .

(٣) الخندمة : جبل بمكة .

**عند هرقل :**

حدّثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدّثنا داود بن عمرو الضَّبي قال حدّثنا المثنى بن زُرْعة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزُّهري عن عبد الله بن عبد الله عن عُتبة عن ابن عبّاس قال حدّثني أبو سفيان بن حرب قال :

كُنّا قوماً تجاراً، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا . فلما كانت الهدنةُ هدنة الحُدَيبِيَة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرجتُ في نفر من قريش الى الشام، وكان وجهُ متجرنا منه غزة، فقدمناها حين ظهر هرقلُ على من كان بأرضه من الفرس، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الأعظمَ وكانوا قد استلبوه إياه . فلما بلغه ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استُنقِذ منهم، وكانت حمص منزلَه، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين ردّ عليه ما ردّ ليصلّيَ في بيت المقدس تُبسَط له البُسُطُ وتُلقى عليها الرّياحين . فلما انتهى الى إيلياء فقضى فيها صلاته وكان معه بطارقته وأشرافُ الروم، أصبح ذاتَ غُدوة مهموماً يقلّب طرفه الى السماء . فقال له بطارقته : والله لكأنك أصبحتَ الغداةَ مهموماً . فقال : أجل ! رأيتُ البارحةَ أن مُلك الختان ظاهر . فقالوا : أيها الملك، ما نعلم أمةً تختتن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث الى كلّ من لك عليه سلطانٌ في بلادك فمُرْه فليضرب أعناقَ مَن تحت يدك منهم من يهود واسترِح من هذا الهمّ . فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبّرونه إذ أتاه رسولُ صاحب بُصرى[1] برجلٍ من العرب يقوده – وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم – فقال : أيها الملك، إن هذا رجلٌ من العرب من أهل الشاء والإبل يحدّث عن أمر حدَث فاسأله . فلما انتهى به الى هرقل رسولُ صاحب بُصرى، قال هرقلُ لمن جاء به : سَله عن هذا الحديث الذي كان ببلده؛ فسأله، فقال : خرج بين أظهُرنا رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، وقد اتبعه

(١) بصرى : بلد من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران .

ناسٌ فصدّقوه وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ في مواطنَ كثيرةٍ، وتركتُهم على ذلك . فلما أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ ؛ فقال : هذا والله النبيّ الذي رأيت لا ما تقولون، أعطوه ثيابه ويَنطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له : اقلبِ الشامَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل. فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرطته فقال : أنتم من قوم الحجاز ؟ قلنا نعم . قال : أنطلِقوا الى الملك، فأنطلقوا بنا . فلما أنتهينا اليه قال : أنتم من رهط هذا الرجلِ الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : فأيُّكم أمَسُّ به رَحِماً ؛ قال : قلت أنا — قال أبو سفيان : وأيمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف[1] (يعني هِرَقل ) : ثم قال : أدنِه، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، وقال : إني سأسأله، فإن كذَب ترُدّوا عليه .

— قال : فوالله لقد علمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا عليّ ، ولكنّي كنتُ امرأً سيّداً أتبرّم عن الكذب؛ وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذَبتُه أن يَحفظوه عليّ ثم يحدّثوا به عني، فلم أكذِبه — قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدّعي ما يَدّعي . فجعلتُ أزَهّد له شأنَه وأصغِر له أمورَه، وأقول له : أيها الملك، ما يهمّك من شأنه ! إنّ أمرَه دون ما بلَغك؛ فجعل لا يلتفت الى ذلك مني . ثم قال : أنبئني فيما أسألك عنه من شأنه . قال : قلت : سَلْ عمّا بدا لك . قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محضٌ، هو أوْسطُنا[2] نسباً . قال : أخبرني هل كان أحدٌ في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبّه به ؟ قال : قلت لا . قال : هل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتَرُدّوا عليه مُلكَه ؟ قال : قلت لا . قال : أخبرني عن أتباعه منكم من هُمْ ؟ قال : قلت : الضعفاء والمساكينُ والأحداثُ من الغِلمان والنساء، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتبعه منهم أحدٌ . قال : فأخبرني عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلزمه أم يَقليه ويفارقه ؟ قال:

---

(١) الأغلف : الذي لم يختتن .

(٢) أي خيرنا وأفضلنا نسباً .

قلت: قلّما يتبعه أحدٌ فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجالٌ يُدال علينا ونُدال عليه. قال: فأخبرني هل يَغدِر؟ فلم أجد شيئاً سألني عنه أغتمِز فيه غيرَها. قال: قلت: لا، ونحن منه في مُـدَّة[١] ولا نأمَن غدرَه. قال: فوالله ما ألتفت اليها مني. ثم كرّر عليّ الحديث فقال: سألتُـك عن نسبه فيكم، فزعمتَ أنه محضٌ من أوسطكم نسباً؛ فكذلك يأخذ اللهُ النبيَّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً. وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو يتشبَّه به، فزعمتَ أن لا. وسألتُك هل كان له مُلكٌ فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه، فزعمتَ أن لا. وسألتُك عن أتباعه، فزعمتَ أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء، وكذلك أتباعُ الأنبيـاء في كل زمان. وسألتُك عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلزمه أم يَقلِيه ويفارقه، فزعمتَ أنه لا يتبعه أحـدٌ فيفارقه، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرُجَ منه. وسألتُك عن الحرب بينكم وبينه فزعمتَ أنها سِجالٌ تُدَالون عليه ويُدال عليكم، وكذلك حربُ الأنبياء، ولهم تكون العاقِبةُ. وسألتُك هل يَغدِر، فزعمتَ أن لا. فلئن كنتَ صدَقتَني عنه فَلَيَغلِبَنّ على ما تحت قَدَميّ هاتين، ولَوَدِدتُ أني عنـده فأغسِل قدميه! إنطلقْ لشأنك. فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يديّ على الأخرى وأقول: يا لعبادِ الله! لقد أَمِرَ[٢] أمرُ ابن أبي كَبْشة[٣]! أصبحتْ ملوكُ بني الأصفر[٤] يهابُونه في ملكهم وسلطانِهم.

قال ابن إسحاق: فقدِم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم مع دِحْيَة[٥] ابن خليفة الكلبي، فيه:

---

(١) في مدة: يعني بها مدّة صلح الحديبية.

(٢) أمر: عظم.

(٣) أبو كبشة: رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الاوثان وعبد الشعري العبور.

(٤) بنو الأصفر: لقب ملوك الروم.

(٥) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبي الصحابي المشهور.

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى هِرَقل عظيم الروم . السلامُ على من ٱتبع الهدى . أمّا بعد، فأسلِم تَسلَم يُؤتك الله أجرَك مرّتين، وإن تتولّ[1] فإن إثمَ الأكابر عليك » .

قال ٱبن شهاب : فأخبرني أسقُفُ النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرِ هرقل وعَقله، قال : فلما قدِم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل دِحْيةَ بن خليفة، أخذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصرته ، ثم كتب الى رجل برُومية[2] كان يقرأ العبرانية ما تقرأونه، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب اليه صاحبُ رُومية : إنه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه ، فٱتبِعه وصدّقه . قال : فأمر هرقلُ ببطارقة الرّوم فجُمِعوا له في دَسكرة[3] ملكه ، وأمر بها فأغلِقت عليهم أبوابُها، ثم ٱطّلع عليهم من عِلّيّةٍ وخافهم على نفسه فقال : يا معشر الرّوم، قد جمعتُكم لخبر، أتاني كتابُ هذا الرجل يدعو الى دينه، فوالله إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره ونجده في كتابنا ؛ فهلمّ فلنبايعه ولنصدّقه فتسلم لنا دنيانا وآخِرتنا . قال : فنخَرَتِ[4] الرومُ نَخرةَ رجلٍ واحد وٱبتدروا أبوابَ الدّسكرة ليخرجوا فوجدوها قد أُغلِقتْ دونهم . فقال : كُرّوهم عليّ وخافهم على نفسه؛ فكَرّوهم عليه . فقال : يا معشر الرّوم، إنما قلتُ لكم المقالةَ التي قلتُ لأنظرَ كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدَث ؛ فقد رأيتُ منكم الذي أُسرّ به ؛ فخرّوا سُجّداً . وأمر بأبواب الدّسكرة ففتحت لهم فٱنطلقوا .

---

(١) في صحيح مسلم والبخاري : « فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين » ( هم الفلاحون والزراعون ) .

(٢) رومية : هي عاصمة ايطاليا الآن .

(٣) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .

(٤) نخر : مدّ الصوت من خياشيمه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن زكريا الغَلابي قال حدّثني أبو بكر الهُذَليّ عن عِكرمة عن ٱبن عبّاس قال قال لي العبّاس :

خرجتُ في تِجارة الى اليمن في رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدمتُ اليمن . فكنتُ أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفَر، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كنتُ أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ الى بيتي وتُرسلَ الى غدائك ؟ فقلتُ : نعم . فٱنصرفتُ أنا والنَّفَرُ الى بيته وأرسلت الى الغداء . فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمت يا أبا الفضل أن ٱبنَ أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ قلت : وأيُّ بني أخي ! قال أبو سفيان : إيّاي تكتم ! وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجلٌ واحد ! قلت : وأيُّهم هو على ذلك ؟ قال : محمد بن عبد الله . قلت : ما فعل ! قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إليّ كتاباً من ٱبنه حَنظلة بن أبي سفيان : إني أخبرك أن محمداً قام بالأبطح[1] غُدْوةً فقال : أنا رسول الله أدعوكم الى الله . قال : قلت : يا أبا حنظلة، لعلّه صادق . قال : مهلاً يا أبا الفضل، فوالله ما أُحِبّ أن تقولَ مثل هذا، وإني لأخشى أن تكون على بَصَر من هذا الأمر – وقال الحسن بن عليّ في روايته : على بصيرة من هذا الحديث – ثم قال : يا بَني عبد المطّلب، إنه والله ما بَرِحتْ قريشٌ تزعم أن لكم يُمنةً وشؤمةً كلّ واحدة منهما عامّةٌ، فنشدتُك اللهَ يا أبا الفضل هل سمعتَ ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهذه والله إذاً شُؤمتُكم . قلت : فلعلّها يُمنتنا . فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِم عبد الله بن حُذافة السِهميّ بالخبر وهو مؤمنٌ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس الى حَبْر من أحبار اليمن؛ فقال له اليهوديّ : ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال : هو ما سمعتَ . قال : أين فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمُّه . قال اليهوديّ : أأخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حدِّثني عنه . قال : لا تسألني، فما كنتُ أحسب أن يَدّعي هذا الأمر أبداً،

(١) أبطح مكة : مسيل واديها .

وما أُحبُّ أن أعيبَه ، وغيرُه خيرٌ منه . قال اليهوديّ : فليس به أذًى، ولا بأس على يهودَ وتوراة موسى منه . قال العبّاس : فتأدّى إليّ الخبر لخَمِيتُ، وخرجتُ حتى أجلسَ الى ذلك المجلس من غدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ . فقلت للحبر : بلغني أنك سألتَ ابن عمي هذا عن رجل منّا يزعم أنه رسول الله، فأخبرَك أنه عمُّه ، وليس بعمّه ولكنّه ابن عمه، وأنا عمه أخو أبيه . فقال : أأخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصدَق ؟ قال : نعم صدَق . قال فقلت : سلْني عنه، فإن كذبتُ فليردد عليّ . فأقبل عليّ فقال : أنشُدُك الله ، هل فشَتْ لابن أخيك صَبوة أو سَفهة ؟ قال قلت : لا وإِلٰه عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش الأمينَ . قال : فهل كتب بيده ؟ قال عبّاس : فظننتُ أنه خيرٌ له أن يكتب بيده، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان وأنه مُكذّبي ورادٌّ عليّ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبرُ وترك رداءه وجعل يَصيح : ذُبحتْ يهود ! قُتِلت يهود !

قال العبّاس : فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنّ اليهوديّ لفَزعٌ من ابن أخيك . قال قلت : قد رأيتَ ما رأيتَ ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقًّا كنتَ قد سَبقتَ ، وإن كان باطلًا فمعك غيرُك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أومن به حتى أرى الخيلَ تطلعُ من كَداء ( وهو جبل بمكة ) . قال قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمةٌ والله جاءت على فمي ما ألقيتُ لها بالًا ، إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلًا تطلُع من كَداء ، قال العبّاس : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ ونظرنا الى الخيل قد طلَعت من كَداء ، قلتُ : يا أبا سفيان، أتذكر الكلمة ؟ قال لي : والله إني لذاكرُها ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

حدّثنا محمد بن جرير الطّبري قال حدّثنا البَغَويّ[1] قال حدّثنا الغَلابيّ أبو كُرَيب

---

(١) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو جعفر الأصم البغوي من شيوخ ابن جرير الطبري توفي ببغداد سنة ٢٤٤ هـ .

محمد بن العلاء قال حدّثنا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق قال حدّثني الحسين ابن عبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال :

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظَّهرانِ[1] (يعني في غَزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : يا صَباحَ[2] قريش ! والله لئن بَغَتها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها لهلاكُ قريش آخر الدهر . فجلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وقال : أَخرُجُ الى الأَراك[3]، لعلّي أرى حطّاباً أو صاحبَ لَبَن أو داخلاً يدخل مكةَ فيُخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَستأمِنونه . فوالله إني لأَطوفُ في الأَراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ صوتَ أبي سفيان وحَكيم[4] بن حِزام وبُدَيل[5] بن وَرقاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيتُ كالليلة قطُّ نِيراناً . فقال بُديل بن ورقاء : هذه والله نِيرانُ خُزاعة حَمَشَتها[6] الحربُ . فقال أبو سفيان: خُزاعةُ ألأمُ من ذاك وأذَلّ . فعرفتُ صوتَه فقلت : أبا حنظلة ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ؛ فقال : لبَّيك، فِداؤك أبي وأمي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دلَف[7] اليكم بما لا قِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركبُ عَجُزَ هذه البغلة فأستأمِنُ لك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فوالله لئن

(١) مر الظهران : واد قرب مكة .

(٢) يا صباح كذا ويا صباحاه : مما يستعمل عند الانذار بالغارة .

(٣) الأراك : واد قرب مكة .

(٤) هو حكيم بن خويلد بن عبد العزى الأسدي أبو خالد ابن اخي خديجة زوج النبي .

(٥) هو بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي من خزاعة، وهو الذي كتب اليه الرسول يدعوه الى الاسلام، وهو من كبار مسلمة الفتح .

(٦) حمش الشيء : جمعه وفلاناً هيجه .

(٧) يقال : دلفت الكتيبة الى الكتيبة في الحرب اي تقدمت .

ظفر بك ليَضربنّ عنقك . فردَفني فخرجتُ به أركُض بغلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلما مررتُ بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ قالوا : عمّ رسول الله على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى مَرَرنا بنار عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقد ولا عهد ؛ ثم اشتدّ نحو النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وركضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان – قال العباس : – حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبَقتُ عمرًا بما تَسبِق به الدّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء . فدخل عمرُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضربْ عنقَه . قلت : يا رسول الله، إني قد أجرتُه : ثم جلستُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذتُ برأسه وقلت : والله لا يُناجيه اليومَ أحدٌ دوني . فلما أكثر فيه عمرُ قلت : مَهلًا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من عبد مَناف، ولو كان من بني عديّ بن كعب ما قلتَ هذا ! قال : مَهلًا يا عبّاسُ ! فوالله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلَم ؛ وذلك لأني أعلم أن إسلامَك أحبّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلَم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب فقد أمَنّاه حتى تَغدوَ به عليّ الغَداةَ » فرَجع به الى منزله . فلما أصبح غدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يَأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله » ! فقال : بأبي أنتَ وأمي ! ما أوصَلَك وأحلَمَك وأكرَمك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّي شيئًا . فقال : « ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبلَ والله أن تُضرَب عنقُك » . قال : فتشهّد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان : « انصرف يا عبّاس فاحتَبِسه عند خَطم الجبل بمضيق الوادي حتى يمرّ عليه جنود الله » . فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاجعلْ له شيئًا يكون في قومه . فقال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ومن أغلق عليه بابَه فهو آمنٌ » . فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطم الجبل

بمضيق الوادي، فمرّت عليه القبائل، فجعل يقول: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُلَيْمٌ، فيقول: ما لي ولسلَيم! ثم تمرّ به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلَم، فيقول: ما لي ولأسلَم! وتمرّ به جُهَينة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: ما لي ولجهينة! حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء، كتيبةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرَى منهم إلا الحدَقُ، فقال: مَن هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلتُ: هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك! إنها النبوّة؛ قال: نعم إذاً. فقلتُ: الحق الآن بقومك فحذّرهم. فخرج سريعاً حتى أتى مكةَ فصرخَ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمدٌ قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به. قالوا: فَمَهْ! قال: مَن دخل داري فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تُغني عنّا دارُك! قال: ومن دخل المسجدَ فهو آمن ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن.

**عدم إخلاصه الاسلام:**

حدّثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سلَمةُ بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيي بن عبّاد عن عبد الله بن الزبير قال:

لمّا كان يومُ اليَرْموك خلّفني أبي، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهم، فكانت الرّومُ إذا هَزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان: إيه بَني الأصفر، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبَنُو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـــرّوم لم يبق منهــمُ مَذكورُ

فلما فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال: قاتله الله! يأبى إلا نِفاقاً؛ أوَلسنا خيراً له من بني الأصفر! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: حدِّثهم، فأُحدِّثهم فيَعْجبون من نفاقه.

حدّثني أحمد بن الجَعْد قال حدّثني ابن حميد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال :

دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفّ بصرُه ، فقال : هل علينا من عَين ؟ فقال له عثمانُ : لا . فقال : يا عثمان، إن الأمر أمرُ عالميّة ، والملكَ ملكُ جاهليَّة ، فاجعل أوتاد الأرض بَني أميَّة .

حدّثني محمد بن حَيَّان الباهليّ قال حدّثنا عمر بن عليّ القَلّاس قال حدّثنا سهل ابن يوسف عن مالك بن مِغوَل[1] عن أشعث بن أبي الشَّعثاء عن مَيسَرة الهمدانيّ عن أبي الأبجر الأكبر قال :

جاء أبو سفيان الى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلّها ! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلاً ورَجلاً . فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عادَيت اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً ، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا ولي أبو بكر قال :

وأضحت قريش بعد عزّ ومَنعةٍ ... خُضوعاً لتَيمٍ[2] لا بضرب القواضِبِ
فيا لهف نفسي للذي ظَفِرتْ به ... وما زال منها فائزاً بالرغائب

وحدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثني محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال :

لمّا ولي عثمانُ الخلافةَ ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بني أميَّة ، إن

---

(١) هو مالك بن مغول البجلي أو عبد الله احد علماء الكوفة وعبادها توفي سنة تسع وخمسين ومائة .

(٢) هو تيم بن مرة بن كعب، وبه سميت القبيلة التي ينسب اليها أبو بكر الصدّيق .

الخلافةَ صارت في تَيم وعَدِيّ(١) حتى طَمِعَتْ فيها ، وقد صارت اليكم فَتَلَقَّفوها بينكم تَلَقُّفَ الكُرَةِ ، فوالله ما من جنّة ولا نار – هذا أو نحوه – فصاح به عثمان : قُمْ عنّي فعل الله بك وفعل . ولأبي سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكرُها ، وفيما ذكرتُ منها مَقْنَع .

والأبياتُ التي فيها الغناء يقولها في سَلَّام بن مِشْكَم اليهوديّ ويُكنى أبا غُنْم ، وكان نزل عليه في غزوة السَّويق ، فقَراه وأحسن ضيافته . فقال أبو سفيان فيه :

سقاني فروّاني كُمَيتاً مُدامةً على ظَمَأٍ منّي سَلَّامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهلَ المدينة واحداً سواهم فلم أُغْبَن ولم أَتَنَدَّمِ
فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكُنْ لأُفرِحه أبْشِرْ بعُرف ومَغْنَمِ
وإنّ أبا غُنْمٍ يجود وداره بيثربَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرِمِ(٢)

---

(١) هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، وبه سميت القبيلة التي ينسب اليها عمر بن الخطاب .

(٢) الخضرم : الجواد الكثير العطية ، مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء .

# ذكر الخبر عن غزوة السويق ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكم

كانت هذه الغَزوةُ بعد وقعة بَدْر. وذلك أن أبا سفيان نَذَر ألا يَمسَّ رأسه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمراً حتى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج في عدّة من قومه ولم يصنع شيئاً؛ فعيّرته قريش بذلك وقالوا: إنما خرجتم تشربون السَّويقَ(١)؛ فسمِّيت غزوةَ السَّويق.

حدّثنا محمد بن جرير، قرأتُه عليه، قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلمة ابن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك — وكان من أعلم الأنصار — قال:

كان أبو سفيان حين رَجع الى مكة ورَجع فَلّ قريش من بَدْر، نذر ألا يمسَّ ماء من جنابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم. فخرج في مائتي راكب من قريش لِيُبِرَّ يمينه، فسلَكَ النَّجدِيّةَ حتى نزل بصدر قَناةٍ الى جبل يقال له تيت(٢) (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بني النَّضير تحت الليل، فأتى حُيَيَّ بن أخطب بيَثْرب فدقّ عليه بابَه فأبى أن يفتح له وخافه؛ وانصرف الى سَلَّام بن مِشْكَم — وكان سيّد بني النَّضير في زمانه ذلك وصاحبَ

---

(١) السويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير.

(٢) تيت: ضبط في القاموس وشرحه كميت (أي بسكون الياء وبتشديدها مكسورة). وضبط في ياقوت بالقلم بتشديد الياء مفتوحة. ومنهم من قال: «تيب» بالتحريك وآخره باء موحدة، جبل قريب من المدينة على سمت الشام، وقد يشدّد وسطه للضرورة.

كَنْزهم – فأستأذن عليه فأذِن له، فقَراه وسقّاه ونظر له خبرَ الناس . ثم خرج في عقِب ليلته حتى جاء أصحابه ؛ فبعث رجلًا من قريش الى المدينة ، فأتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيض، فحرّقوا في أصوارٍ[1] من نخل لها، وأتوا رجلًا من الأنصار وحليفاً له في حَرْث لهما فقتلوهما ثم أنصرفوا راجعين . فنذِرَ[2] بهم الناسُ ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم حتى بلغ قَرقَرة الكُدْر[3]، ثم أنصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه، وقد رأوْا من مَزاود القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفّفُون منه للنّجاء . فقال المسلمون حين رجَع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنطمَع أن تكون غزوةً، قال « نعم » . وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجاً من مكة الى المدينة أبياتاً من شعر يحرّض فيها قريشاً فقال :

كُرّوا على يَثرِبٍ وجمعِهِمُ فإنّ ما جمّعوا لكم نَفَلُ
إن يك يومُ القَليبِ[4] كان لهم فإن ما بعدهم لكم دُوَل
آليتُ لا أقرَبُ النساءَ ولا يَمسّ رأسي وجلديَ الغُسل
حتى تُبيدوا قبائلَ الأوسِ والـــخزرَجِ إن الفؤاد مُشتعِل

فأجابه كَعبُ بن مالك :

يا لَهفَ أمّ المسبّحينَ على جيش أبن حرب بالحرّة الفَشِلِ[5]
أتطرحون الرجال من سَنَم الـــظّهر تَرَقّى في قُنّة الجبل
جاءوا بجمعٍ لو قِيس منزلُه ما كان إلا كمُعْرَس الدّئِل[6]
عارٍ من النصر والثّراء ومنْ نَجدة أهل البَطحاء والأَسَل

(١) الصور : الجماعة من النخل . وقيل : النخل الصغار .

(٢) نذر : علم .

(٣) قرقرة الكدر : موضع على ستة أميال من خيبر .

(٤) هو قليب بدر .

(٥) الفشل : الضعيف الجبان .

(٦) المعرس : الموضع الذي يعرس فيه ( ينزل ) . والدئل : دويبة كالثعلب، وقيل هي شبيهة بابن عرس . وفي الطبري : « كمفحص الدئل » .

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثنا سليمان بن سعد عن الواقديّ :

أن غزوة السَّويق كانت في ذي القعدة من سنة ِثنتين من الهجرة .

حدّثني عمي قال حدّثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثنا ابن سعد عن الواقديّ عن أبي الزّناد عن عبد الله بن الحارث قال :

شرِب حسّان بن ثابت يوماً مع سَلَام بن مِشكم ، وكان له نديماً، معهم كعبُ بن أسد وعبد الله بن أبيّ وقيسُ بن الخطيم؛ فأسرع الشرابُ فيهم وكانوا في مُوادعةٍ وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسّان : تعالَ أشارِبْك؛ فتشارَبا في إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئاً ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال حسّان وعرَف الشرّ في وجهه : أو خيراً من ذلك أجعلُ لك الغَلَبةَ . قال : لا ! إلّا أن تشربه؛ فأبى حسّان . وقال له سَلَام بن مِشكم : يا أبا يزيد ، لا تُكرهه على ما لا يَشتهي ، إنما دعوتَه لإكرامه ولم تَدعُه لتستخِفّ بـه وتُسيء مجالسَته . فقال له قيس : أفتدعوني أنت على أن تُسيء مجالستي ! فقال له سَلَام : ما في هذا سوء مجالسة ، وما حملتُ عليك إلّا لأنك منّي وأني حليفك ، وليست عليك غضاضةٌ في هذا ، وهذا رجلٌ من الخزرَج قد أكرمتُه وأدخلته منزلي ؛ فيجب أن تُكرم لي من أكرمتُه . ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم ؛ فافترقوا . وآلى سَلَامُ بن مِشكم على نفسه ألّا يشرب سنة؛ وقد بلغ هذا من نديه وكان كريماً .

## صوت

### من المائة المختارة

مَنْ مُبلغ عنّي أبا كامـلٍ أنّي اذا مـا غاب كالهامِلِ

قد زادني شوقاً الى قربـه مَعْ ما بدا من رأيه الفاضِلِ

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبي كامل . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أن لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى .

# فهرس

## المجلد السادس من كتاب الأغاني